الامانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة
دار القرآن الكريم
مركز البحوث والدراسات القرآنية
قم المقدسة

# تلك الرسل

## حواريات في قصص الأنبياء
## الوارد ذكرهم في القرآن الكريم

تأليف
معروف عبد المجيد

جميع الحقوق محفوظة
للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى
١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م

الامانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة
دار القرآن الكريم
مركز البحوث والدراسات القرآنية
قم المقدسة

العنوان: ايران . قم المقدسة . شارع جمهوري . فرع ٣٦
مجمع وارث الأنبياء . الطابق الثالث

الهاتف: ٣٢٦١١٦٩٦ ٢٥ ٩٨+
E-mail: im.hu.qu@gmail.com

مركز البحوث والدراسات القرآنية

قم المقدسة

الطبعة الأولى ١٤٣٦ ـ ٢٠١٥

**اسم الكتاب: تلك الرسل**

**تأليف: معروف عبد المجيد**

**التصميم والإخراج الفني: علي سعدون**

**الناشر: العتبة الحسينية المقدسة ـ قسم دار القرآن الكريم**

**مركز البحوث والدراسات القرآنية ـ قم المقدسة**

**المطبعة: دار الوارث للطباعة والنشر**

**عدد النسخ: ١٠٠٠**

بسم الله الرحمن الرحيم

تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ
عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ
وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ

البقرة: ٢٥٣

# للمركز كلمة

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وآله الطاهرين المعصومين.**

**السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين**

هذا هو الإصدار الثالث من بواكير إصدارات مركز البحوث والدراسات القرآنية ـ قم المقدسة بعد كتابي (علوم القرآن) و(الأخلاق) الذين يعد كلاهما منهجا تعليميا متميزاً وتجربة نموذجية للكتابة والتأليف في حقل التعليم الواسع الذي تنطلق منه الأجيال نحو الآفاق المستقبلية مسلحة بالعلم والمعرفة.

ويشكل كتاب (تلك الرسل) خطوة رائدة وفريدة على طريق العناية بقصص الأنبياء، كما يمثل حلقة وصل بين محاولات الماضي وانجازات الحاضر التي بذلت جهداً علمياً في سبيل التعاطي الأدبي مع القصص القرآني، ذلك الجدول المتدفق بالجاذبية والحيوية والعذوبة والجمال، دون التخلي عن الهدف الأساس، وهو ﴿لَقَدْ كانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَابِ﴾ تاركين المزيد من الإشارات والتوضيحات إلى كلمة المؤلف التي تم فيها تسليط الضوء على المنهج والأسلوب.

ونحن إذ نضع هذا الكتاب بين يدي القارئ الكريم، فإننا نأمل أن نكون قد

أضفنا صفحة جديدة إلى سفر المعارف القرآنيـة والنبويـة، وكلنـا طمـوح في الأفضـل والأكمل، واثقين أن المتأمل في هذا الكتاب لن يحرمنا من رأيه ورؤيته.

**ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا، وإليك المصير**

**منك المدد، وإليك التوسل، وأنت من وراء القصد**

معروف عبد المجيد

مركز البحوث والدراسات القرآنية

قم المقدسة

٥ جمادى الاولى ١٤٣٦هـ

٢٠١٥/٢/٢٤م

# وللمؤلف كلمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وآله الطاهرين المعصومين.

منذ صدر الإسلام الأول، ونزول الوحي الإلهي، واشراقة الأرض بنور ربها، واغتسال الإنسان من أدرانه المتراكمة بعطر الهداية الملكوتية، والقرآن الكريم يفتح لنا كل يوم بابا من أبواب إبداعه وإعجازه.

إن ثراء القرآن وغناه لا حد له، وإن جلاله وجماله لا نظير له، وإن رواءه وبهاءه لاند له، وها هي كنوزه المعرفية تتفجر في كل حين وآن بالصدفات واللآلئ، منها ما يطفو على أمواج بحر آياته الزاهر، ومنها ما لا يناله إلا الغواصون من ذوي اللب واللباب، ومنها ما لا يدركه إلا الراسخون في العلم، ومنها ما قد استأثر الله بعلمه وغيبه فلا يطلع على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول.

وبمرور الحقب والأزمان أخذت الدراسات القرآنية تخطوا الخطوة تلو الأخرى إلى الإمام حتى باتت لها مكاسب واسعة من الكشوفات والفتوح، وغدا لها شأن وأي شأن، فتعدّدت في أقسامها ومعارفها وعناوينها وأسمائها، وشقت طريقها إلى مقاعد الدرس والتحصيل في المدارس والمعاهد والجامعات والأكاديميات والحوزات العلمية، ومازالت إلى يومنا هذا تحقق النجاح إثر النجاح وتسجل الانجاز بعد الانجاز.

وعلى تكثر الآفاق العلمية والمعرفية والأدبية في نصوص القرآن البليغة، فان أفق القصص القرآني يبقى له من الاتساع الفني والعمق المعرفي والتفرد الأسلوبي والتميز المنهجي ما يجعل المتأمل يقف أمامه مشدوها من روعة التعبير، وجزالة الأسلوب، ومتانة الصياغة، ورشاقة الكلمة، وحلاوة المشهد، وفخامة المضمون، وانسيابية الجملة، وسحر البيان، ووقع التأثير، وسوى ذلك مما يدخل في باب التحدي والإعجاز.

إن الباحث في هذا الحقل الأخضر المزدهر من حقول القرآن المجيد المزدانة بالأقاحي والرياحين وياسمين العطر الفياح، وهو حقل القصص، لن يُعدم العديد من التجارب والأقلام التي أورقت إبداعاتها وتكللت فروعها بالثمار اليانعة، وهي بلا شك تمثل سبقا أدبيا ومعرفيا نشهد له بالتقدير والاحترام، ما عدا حزمة من الملاحظات:

١ـ افتقار البعض إلى الخلاقية الأدبية، وقواعد العمل الفني، وأساليب الإبداع القصصي، والاقتصار على المعلومة مجردة من جمالية التعبير.

٢ـ تكرار ما سبق من صياغات وتركيبات ونصوص، كشأن العديد من المفسرين الذين اكتفوا بإعادة آراء السابقين، دون إضافة أو رؤية.

٣ـ نفوذ الإسرائيليات إلى قلب الشكل والمحتوى القصصي، ولاسيما في بعض قصص أنبياء بني إسرائيل، والقصص المروي بآيات النص المتشابه وحتى المحكم في بعض الأحيان.

٤ـ سيطرة الخرافات على بعض المشاهد المصنوعة للقصة القرآنية دون التنبه

لخطورة ذلك.

٥ـ إغفال أصل عصمة الأنبياء أحيانا، وتصوير السفراء الإلهيين وكأنهم كسائر أنواع البشر، وعدم الالتفات إلى مايعتور بعض القصص القرآني من شبهات عقائدية جراء ذلك.

٦ـ الوقوع في حبائل المذهبية والطائفية، وهو ما أفقد التجربة الصدق والمصداقية في كثير من الأحيان.

وهذا كله ما حاولنا اجتيازه وتفاديه والبعد عنه في تجربتنا هذه الموسومة بـ (تلك الرسل)، وذلك على النحو التالي:

١ـ اعتماد أسلوب الحوار كملمح من ملامح الجاذبية في العمل الأدبي والفني.

٢ـ تحري السلاسة والسهولة في اختيار الكلمة وصياغة الجملة وتتبع الحدث وتكامل المشهد وعذوبة الأسلوب.

٣ـ حل الكثير من المعضلات الفقهية والعقائدية والرد على العديد من الشبهات بما يضمن للنص القرآني كما له وتمامه ومصداقيته من حيث عدم التناقض والتعارض وأنه وحي السماء وكلام الله المنزل على نبيه وخاتم رسله (محمد)صلى الله عليه وآله.

٤ـ تخيّر النص القرآني أساسا للصياغة والحوار حيث أنه بلغ من الحلاوة والطلاوة والفصاحة والبلاغة والتهذيب والأناقة ما يعلو ولا يُعلى عليه.

٥ـ اشتقاق أسماء القصص من النص القرآني تحرياً للكمال والدقة والنسق التعبيري الفائق.

٦ـ الاعتماد على آراء المفسرين العظام من مدرسة أهل البيت عليهم السلام نظرا لأنهم اغترفوا من نبع الولاية وبحر النبوة الزاخر، فلا أروع، ولا أجمل، ولا أهدى.

٧ـ احترام آراء المدارس الأخرى، وعدم إغفالها أو تجاهلها، طالما كانت تتلاءم مع هَدْي وإرشادات الثقلين الأكبرين: الكتاب، والعترة.

٨ـ الاقتصار على قصص الأنبياء الوارد ذكرهم في القرآن الكريم، مع كثرة عدد من لم يُذكروا فيه، ما عدا قصة (أشعيا) التي جاءت في مطاوي قصص أنبياء بني إسرائيل، وفيها ما فيها من جمال الوحي وروعة الإيحاء.

٩ـ عدم الانطلاق في التصوير والتمادي في الخيال، حفاظا على عقلانية النص القرآني وواقعيته.

١٠ـ تمهيد الطريق أمام رواد الإبداع الفني، ومناشدتهم لإخراج هذا القصص الحسن في أعمال درامية مصورة.

١١ـ الرغبة في الإفصاح عن أن هذا العمل خرج إلى النور في حلقات إذاعية تمثيلية لاقت رواجا واستحسانا لدى جمهور الكلمة المسموعة.

١٢ـ استخدام كلمة (إحالات) بدلا من كلمة (مصادر) و(مراجع) تنكبا عن التقليدية وعدولا عن النمطية.

ونحن إذْ نقدم هذا العمل المتواضع للمكتبة القرآنية والأدبية، فإننا لا نبغي به سوى وجه الكريم المتعال الذي تعجز عن إدراك كنهه العقول، وتضيع في لجج أنواره الافهام، بغير ادعاء للكمال الذي لم يتدثر به سوى الكامل وذوي الكمال من أهل الرفعة الربانية والعصمة الإلهية، راجين القبول والعفو والمغفرة.

﴿رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾

معروف عبد المجيد

مركز البحوث والدراسات القرآنية

شتاء ٢٠١٥م

## إني جاعلٌ في الأرض خليفة

❁ تُرى كيف كانت بداية الأمر الإلهي في خلق الإنسان؟

❁ وما هي الحكمة الربانية في خلقه؟

❁ ولماذا سُمي الإنسان الأول، ونبيُّ البشرية الأولُ آدم عليه السلام بالخليفة؟

❁ وما معنى خلافة الإنسان في الأرض؟

❁ إن التساؤلات كثيرة حول هذه الظاهرة الفريدة، فالإنسان توّاق بطبعه للبحث عن جذوره وأصوله.

❁ فلنعد إذَن للمشهد الأول لنستطلع معالم هذا الحدث الخطير، ونتبينَ عناصر الحوار الأول بشأن خلق الإنسان.

❁ وليكن دليلنا القرآن الكريم.

***

❁ ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾

***

❁ يبدو أن أول صفة أطلقها الله على الإنسان هي أن يكون «خليفة» .

فعمّن تقرر أن ينوب الإنسان؟

هنا تتضح الحكمة في الأمر الإلهي، فالحكمة من خلق آدم عليه السلام، وهو أبو البشر، أن يكون خليفة في الأرض لمن تقدّمه من الجان، ولم يكن المقصودُ من خلقه أن يكون في الجنة.

وربما قيل أيضاً بأن الخلافة هنا تعني خلافة الإنسان لله على الأرض.

نعم، وهذا ما رآه بعض المفسرين.

ولذلك تعجب الملائكة، وقالوا: أتجعل فيها من يُفسد فيها ويَسفك الدماء!

والمفروض إن الاستخلاف يكون لعمارة الأرض وإصلاحها.

فسؤال الملائكة كان بهدف استكشاف ما خفي عليهم من الحكمة التي غلبت تلك المفاسد واستخبار ما يزيح شُبههم.

ولكن لماذا سُمي آدمُ عليه السلام بهذا الاسم؟

قيل: لأنه خُلق من أديم الأرض.

وقيل أيضا بأن اسمَ الأرض الرابعة أديم، وفيها خُلق آدم، فلذلك قيل من أديم الأرض.

ولا ننسى حواء، وهي النصف الآخر للرجل.

بل هي الأم والأخت والزوجة والابنة.

فلماذا سُميت حواءُ بحواء؟

❁ سُميت حواء لأنها من حي، يعني آدمَ عليه السلام.

❁ فإذا علمنا بأن اسم آدم مشتق أيضا من الأُدم بمعنى الألفة والاتفاق..

❁ لاتضحت حينئذ طبيعةُ الإنسان، ومدى حاجة المرأة والرجل أحدُهما للآخر، لتكامل العنصر البشري في الذات والصفات والمودة.

***

❁ فلماذا خلق الله آدم من الطين، وخلق حواء من آدم؟

❁ لكي تكون همّةُ الرجال في الأرض وتكونَ همةُ النساء في الرجال..!

❁ أهذا مجرد استنباط؟!

❁ كلا، كلا، لكنه حديث يُروى عن الإمام الصادق عليه السلام.

❁ ولكن كيف خلق الله حواء من آدم؟ إنهم يقولون بأنه تعالى خلقها من ضلع من أضلاع آدم..!

❁ كذبوا..! وكأنه عَجَز أن يخلقها من غير ضلعه!

❁ فكيف إذن خلقها؟

❁ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله تبارك وتعالى قبض قبضة من طين بيمينه، وكلتا يديه يمين، فخلق منها آدم، وفَضَلت من الطين فضلة فخلق منها حواء.

❁ فماذا يقولون إذن في الروايات التي تنص على أن الله تعالى خلق حواء من ضلعٍ من أضلاع آدم، وهو الضلع الأيسر؟

❁ قالوا إنه محمول على التأويل، والمراد به هو أن الطينة التي قررها الله سبحانه لذلك الضلع خلق منها حواء، وليس أنها خُلقت منه بعد خلقه، فانه يلزم من ذلك أن يكون آدمُ ينكح بعضُه بعضا، فيقوى بذلك مذهبُ القائلين بنكاح المحارم..!

***

❁ فهل تعلم لماذا سُميت المرأة مرأة، والنساءُ نساءاً..؟

❁ يسرني الاستماع للجواب منك..!

❁ قالوا: سُميت المرأة مرأة لأنها خُلقت من المرء يعنى من آدم. وسُميت النساء نساءاً لأنه لم يكن لآدم أُنسٌ غير حواء..!

***

❁ وتبقى حكمة الله البالغة التي يعجز الإنسان عن إدراكها.

❁ فقد خلق آدم عليه السلام من غير أب وأم، وعيسى عليه السلام من غير أب، وليُعلَم أنه قادر على أن يخلق خلقا بيده ويجعلَ من ذريته أنبياءاً وعبادا صالحين وأئمةً مهديين يجعلهم خلفاء في أرضهِ لإصلاحها بعد ما جرى فيها من الفساد.

❁ وهو ما لم يكن يعلمه الملائكة.

❁ فقال لهم جل وعلا: إني أعلم ما لا تعلمون.

***

❁ خلق الله آدم عليه السلام من طين لازب، وقدّر له حياته ودوره على الأرض، وخاطب ملائكته قائلاً: إني جاعل في الأرض خليفة.

❁ وكان حوار الخالق جل وعلا مع الملائكة على النحو الذي أسلفنا.

❁ وكانت مشيئة الله هي النافذة، وهو الذي يقول للشيء كن فيكون.

❁ فكان آدم عليه السلام، وارتسمت الحلقة الأولى من سلسلة الحياة البشرية.

❁ وأخذ تاريخ الإنسان يكتبه بنفسه الإنسان،ليس جبرا، ولا تفويضا، لكنه أمرٌ بين الأمرين

❁ ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.

❁ ويسقط القناع عن وجه إبليس لدى الاختبار الإلهي الأول أمام آدم أب الإنسانية ونبيها الأول عليه السلام.

❁ فلم يكن من الملائكة، ولم يكن لإبليس أن يكون منها.

❁ وكان الله يعلم انه ليس منها.

❁ فعن جميل بن دراج، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال:

❁ سألته عن إبليس أكان من الملائكة وهل كان يلي من أمر السماء شيئا؟

❁ فقال أبو عبد الله: لم يكن من الملائكة، ولم يكن يلي من أمر السماء شيئا. كان من الجن، وكان مع الملائكة، وكانت الملائكة تراه أنه منها، وكان الله يعلم أنه ليس منها، فلما أُمر بالسجود، كان منه الذي كان.

❊❊❊

❁ وكان إبليس أول من قاس فأخطأ القياس.

❁ ويقول «ابن عباس»:

❁ أول من قاس إبليسُ، فأخطأ القياس، فمن قاس الدين من رأيه قرنه الله بإبليس.

❁ ولكن ... أيكون السجود لغير الله؟

❁ كلا بالطبع.

❁ فلماذا أمر اللهُ الملائكة بالسجود لآدم؟

❁ يقول علماءُ الإسلام باتفاقٍ إن ذلك السجودَ لآدمعليه السلام لم يكن سجودَ عبادةٍ، وإلا لحصل الشرك.

❁ فماذا إذاً كان هذا السجود؟

❁ قيل بأن ذلك السجود كان لله تعالى، وكان آدمعليه السلام قِبلة. وقيل مرويا عن أبي عبد اللهعليه السلام بأن السجود كان تعظيماً لآدمعليه السلام وتكرمةً له، وهو في الحقيقة عبادةٌ لله تعالى لكونه بأمره، فهو لله جل وعلا، وهو الأظهر من الأخبار.

***

❁ وهناك مشهد من مشاهد السجود ورد في كتاب «فضائل الشيعة»

❁ تقصد تلك الرواية التي نقلها الشيخ الصدوق طاب ثراه بإسناده عن أبي سعيد الخدري؟

نعم، أحسنت.

فلنفتح هذا الكتاب اذاً.

علينا بالكتاب.

عن أبي سعيد الخدري قال:

كنا جلوسا مع رسول الله صلى الله عليه وآله إذْ أقبل إليه رجل فقال:

يا رسول الله، أخبرني عن قول الله عز وجل لإبليس ﴿أَسْتَكبَرْتَ أَمْ كنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ فمن هم يا رسول الله الذين هم أعلا من الملائكة؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : أنا وعلي وفاطمة والحسن والحسين، كنا في سرادق العرش نسبّح وتسبّح الملائكة بتسبيحنا قبل أن خلق الله عز وجل آدم بألفي عام.

ثم ماذا؟

يقول نبي الإسلام صلى الله عليه وآله: فلما خلق الله عز وجل آدم، أمر الملائكة أن يسجدوا له، ولم يأمرنا بالسجود، فسجدت الملائكة كلهم إلا إبليس، فقال الله تبارك وتعالى له: ﴿أَسْتَكبَرْتَ أَمْ كنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ من هؤلاء الخمسة المكتوبة أسمائهم في سرادق العرش..؟

***

سبحان الله يا صديقي. ومع كل هذا الاستكبار فقد سمى جماعةٌ إبليسَ هذا بسيد الموحدين، كما ينقل المرحوم السيد نعمة الله الجزائري..!

أستغفر الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وكيف يكون هذا المستكبر اللعين سيد الموحدين وهو المخالف صراحة لأمر الله الواحد الأحد؟

يُروى بأن تلك الجماعة شكروا لإبليس إباءه عن السجود لآدم!

يالهم من مغالين، وما دليلهم على ذلك؟

زعموا بأنه أراد اختصاص السجود بالله تعالى، فسمَّوْه بذلك سيدَ الموحدين.

بئس هذا من استدلال..!

فعلى إبليس وعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

***

ويُروى أيضا في هذا الباب أن الاستكبار كان معصية إبليس الأولى.

فقد قال إبليس: يا رب اعفني من السجود لآدم وأنا أعبدك عبادة لم يعبدك إياها ملك مقرب ولا نبي مرسل.

فقال الله تعالى لا حاجة لي إلى عبادتك، إنما أريد أن أُعبد من حيث أريد لا من حيث تريد، فأبى إبليس اللعين أن يسجد لآدم عليه السلام .

فأمره المولى سبحانه قائلا: اخرج منها فانك رجيم.

فأصبح إبليسُ اللعينُ قائلا: كيف يا رب وأنت العدل الذي لا تجور، فهل بطل ثوابُ عملي؟

فقال تعالى: كلا، ولكن سلني من أمر الدنيا ماشئت ثوابا لعملك أُعطك.

❁ فكان أولَ ما سأل البقاءُ إلى يوم الدين.

❁ فأعطاه الله ذلك.

❁ فقال اللعين: سلطني على وُلد آدم

❁ قال تعالى: سلطتك

❁ فقال اللعين: أجرِني فيهم مجرى الدم في العروق؟

❁ قال تعالى: فقد أجريتك.

❁ فطلب اللعين: ولا يولد لهم واحد وإلا وُلد لي اثنان، وأراهم ولا يروْني وأتصور لهم في كل صورة شئت.

❁ قال تعالى: فقد أعطيتك

❁ فقال إبليس اللعين: يا رب زدني

❁ فأجابه المولى سبحانه: قد جعلت لك ولذريتك صدورهم أوطانا.

❁ فعندئذ قال اللعين: يا رب حسبى، ثم قال: فبعزتك لأغوينهم أجمعين، إلا عبادك منهم المخلَصين.

***

❁ إنّا لله وإنّا إليه راجعون. فماذا كان موقف آدمعليه السلام من هذه البلية التي ابُتلي بها هو ووُلده من بعده؟

***

❁ اختلف العلماء حول جَنّةِ آدم.

وهل كانت في الأرض أم في السماء.

وهل هي جنةُ الخلد والجزاءِ أم سواها.

فذهب بعضهم إلى أنها جنة الخلد، وأن الخروج منها ممكن بعد الدخول والاستقرار.

وذهب البعض إلى أنها كانت بُستاناً من بساتين الدنيا في الأرض، وأن الهبوط يعني الانتقالَ من أرض إلى أرض كقوله تعالى ﴿**ٱهْبِطُواْ مِصْراً**﴾.

وأيّاً كان الأمر، فقد خرج منها آدم عليه السلام مع زوجه حواء.

***

فلماذا خرج آدم عليه السلام ، من الجنة وقد عاش فيها والتذَّ بنعيمها؟. ولماذا خرجت معه حواء؟

لذنب ارتكباه.

هب أن حواء قد ارتكبت ذنباً، فهل من الممكن أن يرتكب آدمُ عليه السلام ذنباً هو الآخرُ وهو نَبيٌّ؟

إن القرآن يصرح بذلك، فيقول: ﴿**وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ**﴾.

وهل تصدر المعصيةُ من الأنبياء عليهم السلام ؟

كلا، ولكنهم قالوا بأن ذنب آدم كان تركَ الأوْلى.

فكيف وقع ذلك؟

دعنا نتتبع ذلك في آيات القرآن الكريم.

❁ نعم، فهذا عينُ الصواب.

***

❁ قال تعالى:﴿وَقُلْنَا يَا ءَادَمُ ٱسْكنْ أَنتَ وَزَوْجُك ٱلْجَنَّةَ﴾.

❁ ﴿وَكلَا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا﴾.

❁ ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكونَا مِنَ ٱلظَّالِمِينَ﴾.

❁ ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كانَا فِيهِ﴾.

❁ ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾.

***

❁ ياللعجب! فكيف دخل الشيطان الجنة؟

❁ لقد اختلفوا في كيفية وصول إبليس إلى آدم وحواء حتى وسوس لهَما وهو الذي أُخرج من الجنة حين أبى السجود وهما في الجنة.

❁ فماذا قالوا؟

❁ قال البعض إن آدم كان يخرج إلى باب الجنة وإبليس لم يكن ممنوعا من الدنوّ منه، فكان يكلمه،وكان هذا بعد خروج إبليس من الجنة وقبل هبوطه إلى الأرض.

❁ وقالوا إن إبليس دخل في شِدْقِ الحية وخاطب آدم وحواء من شِدقها.

❁ وهل هناك من يقتنع بمثل هذا؟!

❁ لا أعتقد، ولكن دعنا نعد إلى قول المعصوم عليه السلام .

❁ فماذا قال؟

❁ قال أبو عبد الله عليه السلام :لما خرج آدم من الجنة نزل عليه جبرائيل عليه السلام.

❁ فهل حدّثه في هذا الأمر؟

❁ نعم، وقال له: يا آدم أليس الله خلقكَ بيده ونفَخَ فيك من روحه وأسجد لك الملائكة، وزوجك حواء أَمَتَهْ، وأسكنك الجنة وأباحها لك مشافَهَة ألّا تأكل من الشجرة، فأكلت منها وعصيت الله؟

❁ فبماذا أجابه آدم عليه السلام؟

❁ قال له: إن إبليس حلف لي بالله إنه لي ناصح، فما ظننت أنّ أحدا من خلق الله يحلف بالله كاذباً.

❁ ياله من شيطان ملعون!

❁ نعم يا صديقي، ويؤكد قولَ الإمام المعصوم هذا قولُ الله تعالى حكايةً عن هذا الحادث: وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين.

***

❁ ونعود الآن يا أخي إلى تلك الشجرة التي كانت سببا في تغرير إبليس بآدم وحواء، فماذا كانت؟

❁ قالوا: شجرةُ التين .. أو الحنطة

❁ وقالوا: الكرمة .. أو السنبلة

❁ وقيل شجرة الكافور .. أو الحسد

❁ وقيل شجرة علم الخير والشر.

❁ وقالوا أيضا: إنها شجرة الخلد

❁ ولعل ذلك هو الصحيح، حيث صرّح القرآن الكريم على لسان إبليس في خطابه لآدم وحواء: ﴿**هَلْ أَدُلُّك عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْك لَّا يَبْلَىٰ..**﴾!

***

❁ وهناك رواية أخرى تنير لنا طريق المعرفة حول أصل هذه الشجرة.

❁ فدعنا ننقلها لزيادة الفائدة

❁ جاء في معاني الأخبار، بإسناده إلى الهروى، قال:

❁ قلت للرضا عليه السلام يا ابن رسول الله، أخبرني عن الشجرة التي أكل منها آدم وحواء، ما كانت؟ فقد اختلف الناس فيها، فمنهم من يروي أنها الحنطة، ومنهم من يروي أنها العِنب، ومنهم من يروى أنها شجرةُ الحسد.

❁ فقال عليه السلام : كل ذلك حق.

❁ فقلت: فما معنى هذه الوجوه على اختلافها؟

❁ فقال: يا أبا الصلت، إن شجرة الجنّةِ تحمِلُ أنواعاً، وليست كشجرة الدنيا.

❁ وإن آدم عليه السلام لما أكرمه الله تعالى بأسجاد ملائكته وإدخاله الجنة قال في نفسه: هل خلق الله بشرا أفضل مني؟

❁ فَعَلِمَ اللهُ عز وجل ما وقع في نفسه.

❁ فناداه: ارفع رأسك يا آدم، فانظر إلى ساق العرش.

❁ فرفع آدمُ رأسه فنظر إلى ساقِ عرش الرحمان.

❁ فوجد عليه مكتوبا: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين، وزوجه فاطمة سيدة نساء العالمين، والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة.

❁ فقال آدم عليه السلام : يا ربّ، من هؤلاء؟

❁ فقال عز وجل: من ذريتك، وهم خير منك ومن جميع خلقي، ولولاهم ما خلقتك ولا خلقت الجنة والنار ولا السماء والأرض، فاياك أن تنظر إليهم بعين الحسد وتتمنى منزلتهم.

❁ فلما تمنى آدم منزلتهم تسلط الشيطان عليه حتى أكل من الشجرة التي نُهي عنها، وتسلط على حواء لنظرها إلى فاطمة عليها السلام بعين الحسد حتى أكلت من الشجرة كما أكل منها آدم.

❁ فأخرجهما الله عز وجل من جنته وأهبطهما عن جواره إلى الأرض.

***

❁ ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: لقد طاف آدم عليه السلام بالبيت مائة عام ما ينظر إلى وجه حواء.

❁ ولقد بكى على الجنة حتى صار على خديه مثل النهرين العظيمين من الدموع.

❁ ولقد قام على باب الكعبة، ثيابُهُ جلودُ الابل والبقر.

❁ فقال اللهم أقلني عثرتي واغفر لي ذنبي وأعدني إلى الدار التي أخرجتني منها.

❁ فقال الله عز وجل: قد أقلتك عثرتك، وغفرتُ لك ذنبك، وسأعيدُك إلى الدار التي أخرجتك منها.

***

❁ ولعل هذا يدل على أن الجنة التي أُخرج منها آدم عليه السلام هي جنة الخلد، لأنها التي سيعود إليها، وأنها كانت برزخية على ما يقول البعض.

❁ وكذلك ما أسلفناه من رواياتٍ تَدُلُّ على أنه نظرَ إلى منزلةِ محمدٍ وآله صلى الله عليه وآله ، ورآهم مكتوبين على أركان العرش.

❁ فان العرش سقف جنة الخلد كما جاء في الحديث الشريف.

***

❁ وأما الكلمات التي تلقاها آدم عليه السلام من ربه فتاب عليه. فهي النبيّ وآلُ بيته عليهم السلام .

❁ ومعنى أتمهُنّ ـ في (الكلمات) التي ابتلى الله بها إبراهيم عليه السلام ـ أي أتمهن إلى القائم عليه السلام إثني عشر إماماً. كما يقول الإمام الصادق عليه السلام.

❁ وقيل بأن هذه الكلمات هي: ربَّنا ظلمنا أنفسنا.

❁ وورد أيضاً أنها: سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جَدك.

❁ وثمة أيضا آراءٌ أخرى.

❁ ولكن الجمع بين هذه الروايات يدل على أن الأصل هو ما ورد عن السادة الأطهار من أهل البيت عليهم السلام من أنها أسماؤهم.

***

❁ فما شأنُ الهبوط إذاً.. وأين هَبَطَ آدمُ وحواءُ. وفي أي مكانٍ من الأرض..؟

❁ هناك العديد من الروايات أيضاً في هذا الأمر.

❁ فقد قيل بأنهما هبطا في الهند.

❁ وقيل بأن آدم هبط على الصفا، وحواء نزلت على المروة.

❁ وقيل أيضاً بأن آدم هبط على جبل سرنديب، بينما هبطت حواءُ في جدة.

❁ ولكنهما عاشا في مكة بجوار البيت الحرام بعد أن بناه الله لهما.. ومن هناك كانت بداية الأجيال.

❁ وبداية الشقاء في الأرض بعد التنعُّمِ في الجنان.

***

❁ وهناك رواية جامعة لقصة الخلق والسجود والإسكان في الجنة والمعصية والتوبة والهبوط.

❁ وهي عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام.

❁ فعن عبد الله بن سنان قال:

❁ سُئل أبو عبد الله عليه السلام وأنا حاضر:

كم لبث آدم عليه السلام وزجته في الجنة حتى أُخرجا منها؟

فقال: إن الله تبارَكَ وتعالى نفخ في آدم روحَهُ بعد زوال الشمس من يوم الجمعة.

ثم برأ زوجته من فضل طينته.

ثم أسجَدَ له ملائكتَهُ في نفس اليوم.

فما استقر آدم وزوجته في الجنة إلا ست ساعات من ذلك اليوم..

حتى عَصَيا الله.

فأخرجهما الله منها بعد غروب الشمس وما باتا فيها، وصُيرا بفناء الجنة حتى أصبحا.

فبدت لهما سوآتُهُما

فطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة

فناداهما ربهما: ألم أنهكما عن تلكما الشجرة؟!

فاستحييا من ربهما وخضعا

وقالا: ربنا ظلمنا أنفسنا فاغفر لنا.

فقال جل جلاله: ﴿اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾.

﴿فَتَلَقَّىٰ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

***

وعند ذلك نخر إبليس نخرته الثانية.

فقد رُوي أن إبليس اللعين رنَّ أربعَ رنات: أَوَّلُهُنَ يومَ لُعِن..

والثانية حين أُهبط إلى الأرض

والثالثةُ حينَ بُعث محمدصلى الله عليه وآله على فترة من الرسل.

والرابعة حين أُنزلت أمُّ الكتاب

ورُوي أنه نخر نخرتين:

حين أكل آدمُ وحواء من الشجرة

وحين أُهبطا من الجنة.

فما الفرق بين الرنة والنخير؟

قالوا بأن الرنة هي الصوت والصياح، وإن النخيرَ هو الصوت من الأنف والأول للحزن والثاني للفرح.

***

وعلى قدر فرح إبليس ، كان حزن آدم.

فبعد هبوطه من الجنة إلى الأرض ظل آدمعليه السلام يبكي فصار أوَّل البكائين.

ولهذا يقال: البكاؤون خمسة.

آدم، ويعقوب، ويوسف، وفاطمة بنت محمدصلى الله عليه وآله ، وعلي بن الحسين.

فأما آدم فبكى للجنة حتى صار في خديه مثل الأودية.

ولكن الله رَحِمَ آدم وحواء وتاب عليهما فأهبط لهما جبرائيلعليه السلام

بخيمة من خيام الجنة فضربها مكان البيت وأنزل آدَمَ من الصفا وحواءَ من المروة، وجمع بينهما في الخيمة كما ورد في المأثور.

ثم أمرهما الله تبارك وتعالى بالحرث والزرع.

وطرح إلى آدم غَرسا من غروس الجنة

فأعطاه النخل والعنب والزيتون والرمان، فقال له إبليسُ اللعين: يا آدم، ما هذا الغرسُ الذي لم أكن أعرفُهُ في الأرض، وقد كنت بها قبلك؟ ائذن لي أن آكل منه شيئا.

فأبى آدم أن يطعمه

فانصرف اللعين إلى حواء.

فقالت له: إن آدم عهد ألا أطعمك من هذا الغرس لأنه من الجنة، ولا ينبغي لك أن تأكل منه.

وكما وسوس الشيطان لهما في الجنة، ابتدأ يوسوس على الأرض بعد الهبوط.

وبدأ الصراع بين الشيطان والانسان.

فالشيطان يزيّن، والانسان يهتدى أو يضل.

ويعمل إبليس جاهدا على فرض سلطانه على البشر.. فيغوي الكثيرين

إلا عباد الله المخلَصَين.

وبعد الحرث والزرع، يكون النسل والانجاب

***

❁ يقول البعض بأن الله تبارك وتعالى، بعد أن زوّج آدم من حواء، وَوُلد له عدة بطون، أمره أن يزوج بناته من بنيه.

❁ ولكن البعض الآخر يعترضون على ذلك قائلين بأنه يلزم عليه أن يكون الله عز وجل جعل صفوة خلقه وأنبيائه من زواج الاخوة بالأخوات، وهو حرام.

❁ فيُرد عليهم بأن ذلك لم يكن حراماً لأن الشريعة كانت تقتضيه بسبب الضرورة. ويتساءلون في الوقت ذاته: إذَن.. فكيف كان النسل البشري؟

❁ فيقال لهم بأن الله تعالى أنزل حوراء من الجنة اسمها (نزلة) فزوّجها آدمُ عليه السلام من شيث، ثم أنزل حوراء أخرى اسمها (منزلة) فزوجها من يافث وكلاهما ابنا آدم عليه السلام ، فوُلد لشيث غلام، ووُلد ليافث جارية فأمر الله عز وجل آدم، حين أدركا، أن يزوّج بنتَ يافث من ابن شيث، ففعل ذلك فوُلد الصفوة من النبيّن والمرسلين

***

❁ وهناك أيضا من يرى بأن ابني آدم، وهما هابيل وقابيل، قد زوجهما آدم عليه السلام بأمر من الله تعالى، بجاريتين من الجن، أو بحوريتين من الجنة.

❁ وكل هذا، يا عزيزي، لدفع شبهة زواج الإخوة بالأخوات؟!

❁ نعم أحسنت.

❁ ولكن هذا تترتب عليه شبهة أخرى.

❁ وما هي؟

❁ عدم صفاء الجنس البشري، ومخالفة قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً﴾.

❁ فما العمل إذن لدفع كل هذا الشبهات؟

❁ دعنا نَعُد إلى الأثر والتفسير.

***

❁ جاء في كتاب (الخرائج) عن الثمالي قال: سمعت علي بن الحسين عليه السلام يحدّث رجلا من قريش.

❁ فقال له: لمّا تاب الله على آدم، واقع حواء، ولم يكن غشيها منذ خُلقت إلا في الأرض.

❁ وكان آدم عليه السلام يعظّم الحَرَم، حيث كانا يعيشان في مكة، وإذا أراد أن يغشى حواء خرج من الحرم وغشيها في الحلّ ثم يغتسلان ويعودان إلى فناء البيت.

❁ فوُلد لآدم من حواء عشرون ولداً ذكرا وعشرون أنثى، وفي كل بطن وَلدٌ وأنثى، فأمره الله تعالى أن يزوج الولد من هذا البطن من الأنثى من البطن الآخر، وكذلك الأنثى من هذا البطن من الولد من البطن الآخر.

❁ فقال القُرشي لعليّ بن الحسين عليه السلام متسائلا: فأولداهما؟

فأجابه: نعم

فقال القرشي متعجباً: فهذا من فعل بعض الملحدين اليوم في بعض بقاع الأرض؟

فقال له عليّ بن الحسين عليه السلام: أليس الله خلق زوج آدم منه ثم أحلها له؟

فأجابه: نعم.

فقال الإمام عليه السلام: فكان ذلك شريعةً من شرائعهم، ثم أنزل الله التحريم بعد ذلك.

***

وليس هذا بالرأي المرفوض تماماً على علاته!

ولهذا فقد أخذ به بعض المفسرين.

ولكنّ الكثيرين يقولون بأنها رواية ضعيفة متناً وسنداً، وأنها تخالف ما عليه عامة المسلمين، وأنها مرسلة وتتعارض مع الروايات الأخرى الواردة عن آل البيت عليهم السلام والتي تنص على التحريم، وأنها مدسوسة على الإمام السجّاد عليه السلام.

فكيف يُحل الإشكال إذاً..؟

أن زواج قابيل من حورية وزواج هابيل من جنيَّة، كما يقولون، لا يتنافى مع قوله تعالى

﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾

فالنفس الواحدة هي آدم عليه السلام وزوجها هي حواء.

فماذا يقولون في لفظ المثنى في قوله تعالى ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً﴾؟

يقولون إن هابيل وقابيل كانا من آدم وحواء، فأن يتزوجا من حورية أو جنية لا يُطعنُ في صفاء الجنس البشري وهو ما يدفع شبهة الزّواج بالأخوات.

***

ويبقى علينا الآن أن نبين لماذا وكيف قتل قابيل أخاه هابيل، وماذا عن الحادثة الاولى من نوعها في تاريخ البشرية.

نعم يا عزيزي، لقد ورد في المأثور وعند بعض المفسرين أن السبب كان حقدَ وحسدَ قابيل لأخيه هابيل الذي أوصى له أبوه بأمر من الله تعالى.

أحسنت، وهذا أوجهُ عند العقلاء من أن يكون قد قتله بسبب امرأة!

امرأة ؟! إنها إسرائيليات أرادوا بها تدليس تاريخ الولاية والوصية وأنها كانت منذ آدم عليه السلام إلى الخاتم صلى الله عليه وآله ، وذلك لغايات معروفة!

رائع! فكيف قتل قابيل أخاه هابيل؟

لم يكن يدري كيف يقتله حتى أتاه إبليس اللعين فعلّمه، وقال له: ضع رأسه بين حجرين ثم اشدَخْه!

ولكنه واجه مشكلة أخرى، وهي كيف يدفنه!

***

❁ والله يا أخي لقد كان قابيل غنياً عن كل هذه المشاكل!

❁ ولكنه الحسد من جهة، والشيطان من أخرى!

❁ فما اجمل التصويرَ القرآني لهذه القصة المؤلمة عندما يقول:

❁ ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِـٱلْحَقِّ﴾

❁ ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً﴾

❁ ﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الأَخَرِ﴾

❁ ﴿قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ﴾

❁ ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾

***

❁ ويحاول هابيل المظلوم دفع القتل عن نفسه وهداية أخيه الظالم. فيخاطبه في كلام متواصل:

❁ ﴿لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾.

❁ ﴿إِنِّي أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَالَمِينَ﴾.

❁ ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ ٱلنَّارِ﴾.

❁ ﴿وَذَٰلِكَ جَزَاءُ ٱلظَّالِمِينَ﴾.

❁ ولكن قابيل رفض النصيحة وأبى الهداية.

❁ وبعد صمت لم يطل، اتخذ قراره النهائي.

❁ ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ﴾

❁ ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ﴾.

***

❁ ووقف قابيل مدهوشا أمام جثة اخيه المقتول لا يدري ماذا يفعل بها.

❁ فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه.

❁ قال يا ويلتا أعَجَزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواريَ سوأة أخي!

❁ فأصبح من النادمين!

❁ ولات حين مندم!

❁ لأنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا.

❁ ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً.

***

❁ لقد قلت يا صديقي آنفا بأن سبب قتل قابيل لأخيه هابيل هو حسده على الوصية، فهل لديك دليل على ذلك؟ مع أن البعض يقول بأسباب أخرى..؟

❁ نعم يا أخي، فقد ورد في (الخصال) عن الصدوق عن أبيه بسند صحيح ينتهي إلى الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: لما أوصى آدم عليه السلام إلى هابيل حسده قابيل فقتله.

❁ فماذا صار من أمر الوصية؟ هل دفعها آدم عليه السلام حينئذ إلى قابيل؟

❁ كلا بالطبع يا عزيزي، فالوصية لا تُدفع إلى أيدٍ ملوثة بالدم.

❁ إذن.. ماذا حدث؟

يقول الإمام الصادق عليه السلام : وهب الله لآدم عليه السلام ولداً وهو المسمى (هبة الله) وهو(شيث) وأمره أن يوصي إليه.

فلماذا لم يقتله قابيل حسداً هو الآخر؟

أحسنت، هذا سؤال في محله. وقد كان ما توقعته أنت على وشك الحدوث!

***

فهل قتل قابيلُ هبةَ الله أيضاً؟!

كلا، فلقد أمر الله تعالى آدم عليه السلام أن يكتم الوصية كما ورد عن الصادق عليه السلام.

وهل ظل الأمر خافيا على قابيل؟

يبدو يا صديقي أن الأمر لم يدم طويلاً.

إذن، فقد علم به قابيل!

نعم، فقال لأخيه محذرا: قد علمتُ أن أباك قد أوصى إليك، فان أظهرت ذلك أو نطقت بشيء منه لأقتلنك كما قتلتُ أخاك!

***

ولكن، يا أخي، ما هو دخل القربان في الوصية؟

سؤال رائع!

وجوابُه؟!

جوابه عن رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال في حديث مسند: إن الله تبارك

وتعالى أوحى إلى آدمعليه السلام أن يدفع الوصية إلى هابيل.

❁ يبدو أنه كان الابنَ الأكبر؟

❁ لا يا صديقي، ليس هكذا. بل كان الابنَ الأصغر. وكان قابيل أكبر منه.

❁ فالموضوع ليس بالسن إذن؟

❁ أحسنت! بل بالاستحقاق.

❁ ولذلك غضب قابيل!

❁ نعم، وقال: أنا أولى بالكرامة.

❁ وكان لابد من حسم القضية.

❁ وهو كذلك. حيث أمرهما آدمعليه السلام بوحي من الله تعالى أن يقربا قربانا، ففعلا، فقبل الله قربان هابيل، فحسده قابيل، فقتله!

***

❁ فدعنا نواصل إذن ما تبقى من أيام آدمعليه السلام.

❁ نعم يا أخي. يبدو أنهعليه السلام ظل يقوم بدوره كخليفة في الأرض حتى اختاره الله إلى جواره.

❁ أهكذا ؟! لقد اختصرت التاريخ في كلمة!

❁ لم أختصره أنا، ولكن اختصره المؤرخون!

❁ والسبب؟

❁ السبب يعود إلى عدم توفر المعلومات الكافية والصحيحة حول ما تبقى

من عمر آدم عليه السلام ، سوى أنه ظل يواصل حياته كنبيّ يحمل رسالة، وكإنسان يحمل رسالة أخرى.

***

❁ فهات ما عندك الآن عن وفاته عليه السلام.

❁ ليس لدي الكثير. وأما القليل الذي استخلصته من الروايات ومن الآثار التاريخية فهو أن آدم عليه السلام مرض عشرة أيام بالحمى، وأن وفاته كانت يوم الجمعة لأحد عشر يوماً خلت من المحرم.

❁ فكم كانت سنوات عمره؟

❁ قالو في رواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله إنه عاش تسعمائة وثلاثين سنة.

❁ فأين دُفن آدم عليه السلام ؟

❁ ذكر السيد ابن طاوس في (سعد السعود) بأن دفنه عليه السلام كان في غار جبل أبي قبيس ووجهه إلى الكعبة.

❁ فكيف يزار مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام في النجف الأشرف؟!

❁ هذا ما سوف أوافيك بخبره بعد قليل.

***

❁ كلي أذُنٌ صاغية لسماع ذلك الخبر.

❁ ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى نوح عليه السلام وهو في السفينة أن يطوف بالبيت أسبوعاً.

❁ وما دخل هذا فيما نحن فيه؟

❁ استمع يا صديقي إلى بقية الخبر. فلقد طاف نوح عليه السلام بالبيت أسبوعاً، ثم نزل في الماء إلى ركبتيه بأمر من الله تعالى، فاستخرج تابوتاً فيه جسد آدم عليه السلام فحمله في جوف السفينة.

❁ إلى أين؟!

❁ إلى باب الكوفة. ثم أخذ التابوت ودفنه في الغريّ.

***

❁ أحسنت يا أخي على هذا التوفيق في جمع الروايات. ولكن أخبرني عن قصة الجريدة التي توضع فوق قبر الميت وأحياناً معه.

❁ قالوا بأن آدم عليه السلام لما حضرته الوفاة قال لولده: إني كنت آنس بالنخلة في حياتي، وأرجو الأنس بها بعد وفاتي، فاتخذوا منها جريداً وشقّوه نصفين وضعوه معي. ففعل وُلده ذلك، وفعلته الأنبياء بعده، ثم اندرس ذلك في الجاهلية، فأحياه النبي صلى الله عليه وآله وفعله، فصارت سنّةً متبعة.

***

❁ إنا لله وإنا إليه راجعون. فماذا كان موقف إبليس اللعين وهو كان السبب في مأساة آدم عليه السلام ؟

❁ جاء في الأثر أنه لما مات آدم عليه السلام شمت به إبليس وقابيل، فاجتمعا في الأرض، وجعل إبليس وقابيل المعازف والملاهي شماتةً بآدم عليه السلام ،

فما كان في الأرض من هذا الضرب، فإنما هو ابنُ ذاك!

***

❁ لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم! فماذا كان موقف زوجه حواء؟

❁ يبدو أنها كانت تأنس به كما كان يأنس بها.

❁ نعم، فلقد شاركته مصيره كلَّه!

❁ حتى بالموت!

❁ أي أنها ماتت معه؟

❁ كلا يا عزيزي. ولكن بعده بسنة، حيث ورد في الأثر أن حواء مابقيت بعد آدم عليه السلام إلا سنة، ثم مرضت خمسة عشر يوما، ثم توفيت، ودفنت إلى جواره.

❁ وهكذا مصير الإنسان!

❁ نعم يا أخي.. من تراب إلى تراب!

***

❁ ﴿قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

***

❁ وتتوالد الأجيال جيلا بعد جيل.

❁ وتُبعث الرسل والأنبياء الواحدُ تلو الآخر.

❁ ويتقدم ركب البشرية نحو الأمام.

❁ وهو لا يخلو أبدا من آدم وحواء.

❁ ولا من هابيل ولا من قابيل

❁ ولا من قربان هذا وقربان ذاك.

❁ ويبقى قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ معياراً للعطاء وميزانا للقبول!

❁ إلى يوم الفصل ويوم الجزاء.

## واذكر في الكتاب إدريس

❁ قال تعالى في كتابه المجيد ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيًّا. وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيًّا**﴾ صدق الله العليُّ العظيم.

❁ فهل تعرفُ، ياصديقي، ما هو نسبُ ادريسَ عليه السلام؟

❁ نعم، قالوا إنه جدّ أب نوح عليه السلام. فهل تعرف أنت، يا عزيزي، لماذا سمي بادريس!

❁ رُبما يكون عند أمين الاسلام الشيخ الطبرسي، رحمهُ الله ، جوابُ سؤالِك فلقد قالَ إنه سُميّ بادريس لكثرةِ دَرْسِه الكتُب.

❁ وهل كانت الكتب والكتابة معروفة في ذلك العهد المتقدم من تاريخ الانسان؟

❁ إن المقصودَ بالكتب هنا هو كتبُ اللهِ وحكمُه. على أنهم قالوا أيضاً بأن إدريسَ عليه السلام كان أولَ من خطّ بالقلم، فيمكن أن يبدأ تاريخُ الكتابة من هناك وليس من تاريخٍ آخر كما يَرى بعضُ المؤرخين للكتابةِ والنقوش.

***

❁ ويبدو أيضا، يا أخي، أن ادريس عليه السلام كان على معرفة بمهن وعلوم كثيرة.

❁ مثلاً..

❁ قيل بأنه كان خياطا، وأولَ من خاط الثياب.

❁ رائع. أما أنا فلقد قرأتُ بأن اللهَ سبحانه وتعالى علمهُ عِلمَ النجوم والحسابِ والهيئة.

❁ هذا صحيح. وكان ذلكَ من معجزاته عليه السلام.

❁ ولذلك رفعه الله مكاناً عليّا، كما ورد في الآية الشريفة.

❁ أحسنت. أي منحه الله مكانا رفيع الشأن ومحلا سامقا ومرتبة رفيعة. وكل ذلك برسالات الله.

❁ وهناك أيضاً تفسيراتٌ أخرى.

❁ وما هي؟

❁ قيل إنه رُفع إلى السماءِ السادسة. وورد عن ابن عباس ومجاهد أنه رُفع عليه السلام كما رُفعَ عيسى سلامُ الله عليه. وهو حيٌ إلى الآن لمْ يَمُتْ.

❁ هذه، يا صديقي، تفسيرات ناظرة إلى رفعة المكان لا إلى رفعة المكانة.

❁ نعم. وهذا لا يتنافى كثيراً مع الرأي الأول. فالمراد بكل ذلك تكريمُ اللهِ تعالى له عليه السلام.

***

❁ أخبرني الآن يا صديقي، كيف كانت الحياةُ أيام ادريس عليه السلام، وكيف صار نبياً، وما الذي حدث بينه وبين قومه؟

❁ لذلك قصةٌ طويلةٌ وعجيبة..!

❁ كيف؟

❁ إليك بهذه الوريقات من التاريخ، ودعنا نتصفحْها معاً.

***

❁ يُحكى أنه كان هناك ملك جبار.

❁ وأنه ركبَ ذاتَ يوم وذهبَ في نزهة

❁ فمر بأرض خضراء ناضرة لرجل من المؤمنين.

❁ فسأل أحدَ أعوانِه: لمن هذه الأرض؟

❁ فأخبره بصاحبها.

❁ فقال الملك: عليَّ به في الحال

❁ فلمّا أحضروه، قال له الملك: امنحني أرضك هذه.

❁ فقال له الرجل: عيالي أحوجُ إليها.

❁ فقال الملك: إذن..فبعني إياها.

❁ فأجابه الرجل: إنها كلُ ما عندي، ومنها نَقتات.

❁ فغضب الملك غضباً شديدا، وأراد انتزاعها بالقوة. ولكن أحد أتباعه الحكماء أوصاه بألا يفعل ذلك

❁ فانصرف الملكُ إلى داره، وهو مغمومٌ يُفكر. وليس له همٌ سوى تلك الأرض الخضراء الناضرة..!

***

❁ وهنا يأتي دور المرأة..!

❁ المرأة؟ وما للمرأةِ والمُلْكِ وتدبيره يا صديقي؟

❁ ألم تسمع بقول من قال: واء كل رجل امرأة؟!

❁ منذ ذلك الوقت؟

❁ بل منذ آدمَ عليه السلام!

❁ فلنعدْ مرةً أخرى إلى صفحات التاريخ.

❁ نعم، يا عزيزي، فلقد كانت للملك امرأة تشير عليه.

❁ فلمّا علمتْ بسببِ غضبه وحزنه وأنه يَهّمُ بقتل الرجل واستلاب أرضِه، نَهْتهُ عن ذلك قائَلةً: أتقتله بغير حُجتة؟!

❁ فقال لها وهل من حجة؟

❁ فقالت: أنا أكفيك أمرَه، وأُشير عليك أيضا بحجةٍ مُحكمَة!

***

❁ وكان للمرأة أصحابٌ يرَون قتلَ كل من ليس على دين الملك.

❁ فبعثتْ إلى قومٍ منهم، فأتوها.

❁ فأمرتهم أن يشهدوا على ذلك الرجل المؤمن صاحب الأرض بأنه قد برئ من دين الملك، وأن يكون ذلك في محكمة أمام الملك.

❁ فأطاعوا المرأة ، وشهدوا عليه.

❁ فقتله الملك ، وأخذ أرضه.

وتمت حيلة المرأة ، فزاد إعجاب الملك بها.

ولم يدر بخلدهما أن الله لهما لبالمرصاد ..!

***

نعم، يا صديقي إن ربَك لبالمرصاد.

فلقد غضب الله للمؤمن الشهيد.

وعندئذ أوحى إلى إدريس عليه السلام، قائلاً: اذهب إلى عبدي هذا، وقل له: أما رَضيت أن قَتلت عبدي المؤمن حتى أخذت أرضه، وأحوجت عياله مِن بعده؟

وقال الله تعالى لادريس عليه السلام انقل إلى عبدي هذا تهديدي وانتقامي وقل له على لساني: أما وعزتي وجلالي لأنتقمنّ له منك في الآجل، ولأسلبنك ملكك في العاجل، ولأخربَنَّ مدينتك، ولأطعمن الكلاب لحم امرأتك، فقد غرّك حِلمي عنك!

***

وذهب إدريس عليه السلام برسالةِ ربهِ إلى ذلك الملكِ الطاغية

فماذا كان موقف الملك؟

إن الملوكَ هم الملوكُ، ودأ بُهم الغطرسة!

ألم يخش هذا التهديد الالهي الخطير؟!

كلا، بل ازدادَ اصراراً واستكباراً، وقالَ لادريس: أُخرج يا ادريسُ لئلا أقُتلك!

❁ سبحان الله، وكذلك يفعل الملوك!

❁ بل زوجات الملوك!

❁ المرأة مرة أخرى؟!

❁ نعم، يا عزيزي، فلقد قالتَ له امرأتُه: لا يهولنَّك أمر إدريس ورسالةُ إلهه، فأنا أرسلُ إليه من يَقتلُه، فتبَطل رسالَةُ إلِهه.

❁ وهل وافقَ الملك؟

❁ بالطبع يا صديقي، كما وافقها من قبل. وقال لها: افعلي!

***

❁ لقد قلت يا صديقي الآن بأن زوجة الملك احتالت مع زوجها لقتل إدريس عليه السلام ، فماذا كانت خطة تلك المرأة الآثمة؟

❁ نعم يا عزيزي، فلقد بعثت امرأةُ ذلك الملكِ الجبار أربعين رجلاً إلى إدريس عليه السلام ليقتلوه.

❁ وهل قتلوه؟

❁ كلا، لأنهم أتوه فلم يجدوه.

❁ فلعل إدريس عليه السلام علم بالمؤامرة؟

❁ نعم، أخبره بأمره نفرٌ من أصحابه المؤمنين، فخرج من تلك القرية مع بعض أصحابه واتخذوا لهم مخبأً بالقرب منها.

❁ فماذا كان من أمر إدريس عليه السلام فلربما عَثَر عليه رجالُ الملك، وقتلوهُ

وأصحابَهُ؟!

كلا يا عزيزي، ألم تقرأ قولَهُ تعالى: كتب الله لأَغلبنَّ أنا ورسلي؟ فلقد ناجى إدريس عليه السلام ربَّه في السحر، وقال: يا ربّ توعَّدني الجبار بالقتل، وجمعت امرأتُهُ رجالاً لقتلي. فنجني من القوم الظالمين.

وهل استجاب الله دعاءه؟

[illegible]

***

[illegible]

[illegible] عليه السلام

[illegible]

***

[illegible] عليه السلام

بسيط الأرض من غير ماء.

فيرد عليهم قائلاً: ﴿إِنْ تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾

ومضت سنوات عديدة، ونوح عليه السلام يكمل صناعة الفلك، وهو الذي كان نجاراً،بينما لم يكف عن الدعوة والإنذار.

وكان يقول لقومه: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾.

وجعل الله تعالى علامة نزول العذاب ان يفور الماء من التنور.

***

وتمت صناعة الفلك.

وجاء أمر الله.

وفار التنور.

وأبرقت السماء وأرعدت.

وانهمر المطر من السماء

وتفجّر من الأرض.

وجرت السيول.

واشتد الطوفان.

وظل الماء يرتفع إلى قلل الجبال حتى كاد يغطيها

فأمر الله تعالى نوحاً عليه السلام بركوب السفينة، وقال: ﴿احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ

زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ﴾

وكان لم يؤمن مع نوح عليه السلام سوى قليل من قومه

فنجّى الله المؤمنين، وأغرق الظالمين.

***

وركب نوح عليه السلام السفينة هو ومن معه من المؤمنين.

وقال لهم: ﴿ارْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

وراحت السفينة تجري بهم في موج كالجبال.

وارتفعت السفينة على الماء الذي كان يعلو منهمرا من أبواب السماء ومن عيون الأرض المتفجرة، وقد التقى الماء على أمر قد قُدِر.

وأخذ الظالمون يغوصون إلى الأعماق وقد أغرقهم الله بعذابه.

***

وعندما ثار العذاب، واشتد الهول، أخذ نوح عليه السلام ينظر حوله باحثاً عن أهله.

فوجد امرأته تهوي إلى الأعماق وقد سبق عليها القول.

ورأى ابنه في معزل يبحث عن سبيل للنجاة.

فناداه نوح عليه السلام وقلبه يشفق عليه من الغرق: ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلاَ تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾.

❁ فأجابه وقد أضله الكبر والغرور: سآوي إلى جبل يعصمني من الماء.

❁ فقال له نوح عليه السلام وهو ما زال يرجو نجاته: ﴿لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ﴾.

❁ ولكنَّ الابنَ لم يلتفت إلى حكمة النبوّة

❁ ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ﴾.

❁ ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾.

***

❁ واغتمّ نوح عليه السلام ، وحزن حزنا شديدا

❁ فنادى ربَّه من حزنه قائلاً ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَاكِمِينَ﴾.

❁ فأنت لا تجور في حكمك، ولا تجهل في قضائك، فما الذي جرى على ابني؟! وقد وعدتني بنجاة أهلي

❁ فأخذته العناية الالهية، وحالت بينه وبين التصريح بالسؤال في نجاة ابنه، وهو سؤالٌ لما ليس له به علم.

❁ وأوحى الله تعالى إليه قائلا: ﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْئَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾.

❁ فانكشف الأمر لنوح عليه السلام ، والتجأ إلى ربه تعالى قائلاً: ﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ

بِكَ أَنْ أَسْئَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

❁ ولم يكن نوح عليه السلام يعلم من ابنه إبطان الكفر كما كان يعلم من امرأته، ولو كان علم بذلك لما أحزنه أمره، وهو القائل: رَبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً.

***

❁ وعمّ الطوفان جميع البسيطة.

❁ فلم يُبقِ على شيء إلا وأغرقه

❁ واستمر الطوفان مائة وخمسين يوماً بلياليها.

❁ وقيل ستة أشهر.

❁ وقد شاع أمرهُ في تاريخ الأمم السابقة.

❁ فتحدثت عنه نصوص التوراة ، ولا سيما في سفر التكوين.

❁ وهي كما عادة تحريفها تطفح بالخرافات والأساطير.

❁ كما ورد في أخبار الكلدانيين.

❁ وهو شبيه بما ورد في التوراة.

❁ وروى الاغريق أيضاً خبرا عن الطوفان أورده أفلاطون نقلا عن الكهنة المصريين.

❁ وورد خبره أيضاً عن قدماء الفرس.

وفي التراث الهندي.

وهو ما يمكن الاستدلال به على أنّ الطوفان كان عاما، كما أن رسالة نوح عليه السلام كانت عامة.

***

ويبقى الماء مسيطرا على البسيطة، فلا حرث، ولا نسل، ولا حياة.

وكانت الشمس تُشرق على الماء، وتغرُبُ عن الماء.

وكانّ الأرض كانت تستعد لحياة جديدة.

فما هي إلا هنيهة من عمر التاريخ حتى بلعت الأرض ماءها، وأقلعت السماء، وغيض الماءُ، وقضي الأمر.

وعندئذ، استوت سفينةُ نوح عليه السلام على الجوديّ.

وقيل بُعداً للقوم الظالمين.

وأشرق فجر جديد من حياة الانسان.

***

وأوحيَ إلى نوح عليه السلام أن اهبط إلى الأرض ﴿بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾.

﴿وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

فأدرك نوحٌ عليه السلام رسالةَ السماء، آمِلاً في السلام والبركة.

وحذرا أيضاً من غد البشرية.

***

❁ فأين كان جبل الجودي هذا، يا صديقي، الذي استوت عليه سفينة نوح عليه السلام ؟

❁ ذكروا أنه في جبال تصل بين الموصل وجبال أرمينية، وأنه سُميّ في التوراة باسم (أراراط)

❁ ولكني سمعت بأنه جبل في الجزيرة. وسمعت أيضاً بأنه في النجف الأشرف.

❁ ربما يكون الأمر كذلك. غير أن الدراسات التاريخية والحفريات الأثرية لم تقل الكلمة الاخيرة بعد.

***

❁ فماذا فعل نوح عليه السلام بعد نزوله من السفينة؟

❁ عند نزوله عليه السلام مع من معه، أخذوا يعبدون الله بالتوحيد، ويستأنفون حياتهم بالحرث والنسل، وبناء القرى والمدن.

❁ يا له من رجل قوي صابر.

❁ نعم، يا أخي، ولهذا فانه أول أولي العزم سادةِ الأنبياء والمرسلين.

❁ فهل كانت رسالتُه عامةً أو خاصةً؟

❁ لقد كانت عامة، يا صديقي، بعثه الله إلى عامة البشر بكتاب وشريعة، فكتابه أول الكتب السماوية المشتملة على شرائع الله، وشريعتُه أول الشرائع الإلهية.

***

❁ يقال، يا أخي، بأن نوحاً هو الأب الثاني للبشرية، فكيف ذلك؟

❁ هذا صحيح، وجوابه واضح، فنوح عليه السلام هو الأب الثاني للنسل الحاضر من الإنسان، إليه ينتهي نسبه، والجميع ذريته.

❁ وما الدليل على ذلك؟

❁ قوله تعالى: وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ

***

❁ فهلا ذَكَرْتَ لنا بعضَ صفاته ما دام الأمر كذلك؟

❁ بالتأكيد، يا صديقي، فلأحيلُك على القرآن.انظر سورة الصافات، لقد خصّه الله تعالى بسلام لم يشاركه فيه أحد غيره، حيث يقول: ﴿**سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَالَمِينَ**﴾.

❁ ثم ماذا؟

❁ اصطفاه على العالمين، كما في سورة آل عمران.

وعدّه من المحسنين، كما في الأنعام.

وسماه عبداً شكوراً، كما في الإسراء.

وسماه عبداً صالحاً، كما في التحريم.

❁ فهلا قَصَصت لنا شيئاً عن عمر نوح عليه السلام ، فلقد جاء في التاريخ أنه عمّر طويلا.

❁ بكل سرور، يا أخي، ولكن بعد لحظات نفتح فيها دفتر التاريخ.

***

❁ فهاهي أمامك صفحات التاريخ.

❁ نعم. يقصّ البعض بأنه عمَّر تسعَمائةٍ وخمسين عاماً.

❁ ويروي البعض الآخر أيضا أنه عمّر نحو ألف وخمسَمائة سنة.

❁ وهناك أقوال أخرى. ولكن القرآن يقول: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ) .

❁ فهذه مدة دعوته كما هو واضح، وليس مجملَ عمره.

❁ القرآن، كما ترى، وهو الكتاب الصحيح،حدد عمره على وجه الدقة ، وذلك طبعا إذا عرفنا الفرق بين السنة والعام ، فتأمل حسابيا في ذلك..

***

❁ ما دمنا نتصفح التاريخ، يا صديقي، فدعني أخبرك خبرا عن العثور على سفينة نوح عليه السلام.

❁ إنه لا شك خبر مثير.

❁ نعم يقال بأن مجموعة من علماء الآثارعثروا في بعض قُلَل (أراراط) في شرقي تركيا، على قطعاتِ أخشابِ يُعطي القياسُ أنها قطعاتٌ متلاشية من سفينةٍ قديمةٍ تعود إلى الفين وخمسمائة عام قبل الميلاد.

❁ ثم ماذا؟

❁ هذه القطعُ عثروا عليها على ارتفاع ١٤٠٠٠ قدم من الجبل المذكور، ثم أخذوها إلى سان فرانسيسكو للتحقق من أمرها.

لقد قرأت هذ الخبر نفسه، ولكن بصيغ وتعبيرات مختلفة. وأيا كان الأمر، فان العالم بأجمعه في شغف بالغ لمعرفة حقيقة مثل هذا الموضوع.

ألا ترى بأن علماءَ الآثار المسلمين أولى من غيرهم في هذا المضمار.

صدقت، وهو ما رغبت عن التصريح به.

***

بقي عندي سؤال أخير، فهلا أجبت عنه مما بين يديك من الأوراق.

وما هو؟

هب أن قوم نوح عليه السلام أُغرقوا بذنوبهم، فما هو ذنبُ سائر الحيوانات التي كانت على الأرض والتي أهلكها الطوفان؟!

سؤال وجيه. وجوابه عند علماء العقيدة.

فماذا يقولون؟

يقولون بأن هذا مِن أسقط الاعتراض! فما كلُّ هلاك، ولو كان عامّاً، يُعتبر عقوبة وانتقاماً..!

وما هو دليلهم على ذلك؟

دليلهم الحوادِثُ العامةُ التي تُهلِك الآلافَ والآلاف كالزلازل والسيول والأوبئة، وهي كثيرةُ الوقوع. فليست كلُّها عقوبة، وإن لله حكمة فيما يقضي ويقدّر.

سبحان الله ، والحمد له على قضائه وقدره ..

***

وبدأ التاريخ دورة جديدة.

واخضَّرت الأرض وأزهرت.

وانطلق الإنسان يشق طريقه نحو مستقبل حضاري أفضل.

آخذاً العِبَرَ من ماضيه.

وعلى رأسها جميعاً عبرة الطوفان.

وأن الهلاك هو مصير الظالمين والمشركين.

ويعمل نوح عليه السلام في قومه بالخير والصلاح ويُقرّ بينهم أركان العدل.

حتى يُوافيه الأجل المحتوم.

فيكون آخر دعائه ﴿**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلاَ تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَارا**﴾

## ياهودُ .. ما جئتنا ببيّنة ..

❁ أشرقت الشمسُ على مدينة إرَم.

❁ فانعكست أشعتها على أعمدة المدينة المرصعة بالدر والياقوت.

❁ وشمخ حِصنُها المنيعُ يناطِح السحاب.

❁ وتألقت قصورها في جلال الشروق.

❁ وكانت قصوراً معلّقة وتحت كلّ قصر منها أعمدةٌ من الزَّبَرْجَد والياقوتِ والأحجار الكريمة .

❁ وفوق كل قصر غرفٌ، وفوق الغرَف غرفٌ مبنية من الذهب والفضة واللؤلؤ.

❁ وعلى كل بابٍ من أبواب هذه القصور مصاريعُ من عودٍ طيّب نُضّدت عليه اليواقيت.

❁ وقد فُرشت القصور باللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران

❁ ورفرفت على الحصن والقصور آلافُ الأعلام الحريرية الخفاقة.

❁ وضجت الشوارع والأزقة بالمارة والعابرين، بينما أخذت نسائم الصباح تتلاعب بالأشجار الخضراء المثمرة وقد جرت من تحتها الأنهار.

***

❁ وخرج الملكُ شدّادُ بنُ عاد في زينتِهِ وقد اعتلى عربةً فاخرةً مرصّعة بالذهب واللآليء، تحفُّهُ الحاشية، ويترامى خلفه الرَّكبُ الملكي في أُبَّهَةٍ وعظمة.

❁ بينما كان أهالي إرمَ ذاتِ العماد مصطفين على جانبي الشوارع يقدّمون الولاء لمليكهم ويحيّون الركب الملكي الذي تنبعث من جوانبه فواحةً رائحةُ الأطايب وشذى العطور.

❁ وانطلق الركبُ الملكي في نظامٍ رتيبٍ على إيقاع موسيقى الفرقةِ الملكية في طريقِهِ إلى معبَدِ إرَم المحفوف بالزروع والنخيل.

***

❁ وعندما استقر الركب الملكي في معبد إرمَ ذاتِ العماد، التي لم يُخلق مثلُها في البلاد، واصطفت جموع الناس كل حسب فئته داخل المعبر وخارجه، وقد برزوا بأجسادهم الطويلة..

❁ تقدّم كاهِنُ القصر إلى الملك شدادِ بن عاد، فَقَبَّلَ الأرض بين قدميهِ، وقَدَّمَ لَهُ أسمى آيات التبجيل، ثم سأله أن يشرع متكرماً بافتتاح مراسِم تَقديم القرابين.

❁ فاقترب الملك من المذبح، وقدم أضحية لإله المطر.

❁ وأُضحيةً لإله الرزق.

❁ وأضحية لإله الشفاء والصحة.

❁ وأخرى لإله السَّفَر.

❁ ثم تبعه الكهنة، ثم الحاشية، ثم الجمهور.

***

❁ وبينما كان الملأُ منهمكين في أداءِ الشعائر الوثنية، وإذا بصوتٍ قادمٍ من بعيد يشقُّ عنانَ السماء..

❁ وتردد الصدى في ردهات المعبد لرجل يقول: ﴿**يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ**﴾.

❁ فانتبهت الجموعُ من غفلتها.

❁ وحدّقت بالنذير القادم.

❁ وإذا برجل من الحرس يقول مطمئِناً الجمعَ الوثني وهو يحثّه على مواصَلَةِ طقوسه:

❁ ما عليكم بهذا المزارع المسكين، فما هو إلا سفيه مجنون!

❁ فارتفعَ صوتٌ آخر من بين الجموع المحتشدة قائلاً: إنه لأخونا هود!

❁ وعندئذ تزايد الهمس والهمهمة، ثم تصاعد الضجيج.

***

❁ وفي هذه الأثناء، خرج رجلٌ من بين أفراد الحاشية، واتّجه إلى هود عليه السلام قاطعاً طريقه، وقال له:

❁ ماذا تبغي يا أخا عاد؟ إن كنت تريد مالاً أغنيناك، وإن كنت تريد أجراً

آجرناك!

❁ فقال هود عليه السلام: ﴿يَا قَوْمِ لاَ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾؟!

❁ فقالت له شرذمة من الأراذل: أفلا تعقل أنت، وقد سفّهت آلهتنا؟

❁ وقالت أخرى: أما ترى ما نحنُ فيه من قوةٍ ونعمةٍ ونعيم فهل هذا من فعل إلهك أم من أفعال آلهتنا؟!

❁ فقال لهم هود عليه السلام بلسان الناصح المشفق الواعظ: ﴿يَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّواْ مُجْرِمِينَ﴾.

❁ فعارضَهُ القومُ قائلين: ﴿يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

***

❁ وواصل هودٌ عليه السلام رسالته إلى قومه الكافرين غير عابئ بالتهم التي أخذو يصبونها عليه بوحي من الكهنة والملك.

❁ فقال لهم عليه السلام اتركوا آلهتكم هذه التي لا تضرُّ ولا تنفعُ، لقد بعثني اللهُ إليكم برسالةِ التوحيد، وهذا قولي لكم، فماذا تقولون؟

❁ فأجابه القوم ساخرين وقد دبروا له الكيد: إن نراك إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء.

❁ فقال هود عليه السلام : ﴿إِنِّي أُشْهِدُ اللهَ وَاشْهَدُواْ أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لاَ تُنْظِرُونِ﴾.

❁ وغرت النعمة قوم عاد حتى غيروا ما بأنفسهم

❁ فاستأصلت فيهم الوثنية وتجذرت.

❁ وأطاعوا طغاتَهم المستكبرين.

❁ وعَصَوْا أخاهم هوداً، وبالغوا في التنكيل به.

❁ بينما استمر عليه السلام يدعوهم إلى الحق ويُرشدهم إلى عبادة الله، ورفض الأوثان، والعلم بالعدل والرحمة.

❁ فبالغ في وعظهم وبثِّ النصيحة فيهم، وإنارة الطريقِ وإيضاحِ السبيل أمامهم، حتى قَطَعَ عليهم العذر.

❁ فقابلوه بالإباء والامتناع.

❁ وواجهوه بالجحد والانكار.

❁ ولم يؤمن به إلا شرذمةٌ قليلون.

❁ وأصر جمهورهم على البغي والعناد.

***

❁ وفي ذلك اليوم، بالغ شدّادُ بنُ عادٍ الملكُ في تمجيد الأوثان كيداً لهود عليه السلام .

❁ فتأججت النيران في المحارق.

وسالت دماءُ القرابين حتى أغرقت المذابح.

وتصاعدت الأبخرة والأدخنة ، فاختلطت بأريج المدينة ذات العماد المصقولة.

وانتهت مراسِمُ الولاء الماجنة.

فعاد الملك تحفّه حاشيته وقد اشتد غضبه على نبي الله.

وغرَّه ما هو فيه من نعمة ورخاء.

فأضمر النكال لرسول التوحيد الالهي

وبالغ في تبجيل آلهته الأوثان.

وبلغ الملك أبواب قصره المرصعة بالجواهر واللآليء.

وكان تاجُهُ الذهبي ما زال يلتمع تحت أشعة الشمس.

وكانت الأنهار ما زالت تجري من تحت المدينة الأسطورة.. !

***

عاد الملك شدادُ بنُ عاد إلى قصرِهِ في مدينةِ ارم بعدَ تقديمِ القرابين لآلهته الأوثان.

وكانت رائحة البخور وأدخنة المحارق ما زالت تتصاعد من المعبد الكبير حيث الردهة الفسيحة بأعمدتها المصقولة وقد نُصبت في أرجائها الأصنام.

وعاشت الأحقافُ في ذلك اليوم عيدها السنوي الكبير غارقة في طقوس

الكفر والشرك.

وبينما كانت جموع الناس منهمكة في الصخب والمجون في مدينة إرم إذ أقبل عليهم هودٌ من جديد.

***

ولكن القوم لم يعيروا اهتماما لأخيهم النبي، بل ازدادوا عبثاً إمعانا في التنكيل به والسخرية منه.

فصعد هود عليه السلام على صخرة عالية في ركن من أركان الميدان الكبير، ورفع يده داعيا قومه إلى الاصغاء لما يقول.

فلم يأبه به أحدٌ.

فانبرى جماعة منهم قائلين:

وما عليكم لو أصغيتم إلى أخيكم هود؟!

وما زالوا بهم حتى توقف الصخب والضجيج.

فرفع هودٌ عليه السلام صوته قائلاً: يا قومي لقد جئتكم نذيراً ألاَّ تعبدوا إلا الله.

فتصدى له أحدهم، وقال: يا هود، ﴿**أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا**﴾؟

فأجابه هود عليه السلام : بل جئتُكُم بعبادةِ الاله الواحدِ الذي يضر وينفع، ويحيي ويميت، ويعطي ويمنع، وما آلهتكم إلا أصنام وأوثان لا حول لها ولا قوة.

فعارضه آخر بالقول: ياله من ضلال يا هود! أفتأمرنا أن نتخلى عن عبادة

آلهتنا على كثرتها ونعبد إلهك على وحدته وانفراده، فهل هذا إلا الإفك المبين؟!

❁ إن الهي هو الواحد الأحد، الفرد الصمد، لا يشرك في حكمه أحدا، وهو خالقكم وبارئ الحبة والنسمة وفاطر السماوات والأرض.

❁ فأجابوه بصوت واحد: دعك من إلهك هذا يا هود، وعد إلى عبادة آلهتنا علها تصرف عنك ما اعتراك منها من سوء.

❁ فقال لهم هود عليه السلام متعجباً: أفأدعوكم إلى الهدى وتدعونني إلى الضلال؟ أأدعوكم إلى الجنةِ وتدعونني إلى النار؟

❁ فتولوا عنه قائلين: ما نحن بتاركي آلهتنا إلى إلهك هذا، فماذا بوسعه أن يفعل؟

❁ فأجابهم عليه السلام مُشفِقاً: ﴿**إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾.

❁ فسخروا منه عليه السلام، وانصرفوا إلى ما هم فيه من لهو ولعب وصخب وضوضاء.

***

❁ وفي غَمرةِ الضجة الصاخبة لم يملك هود عليه السلام إلا أن يخاطب قومه بالقول: ﴿**إِنِّي تَوَكَلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾.

❁ وعندئذ خرج رجل عملاق من بين الجموع الحاشدة، واتجه إلى

هود عليه السلام بخطى واثقة، فتوقفت الضوضاء، وصمت القوم بانتظار ما ستسفر عنه المواجهة.

❁ فرفع العملاق قبضته في وجه هود عليه السلام مهدداً، وهو يقول: يا هود لقد أمعنت في تخويفنا وتهديدنا، فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين.

❁ فضجت الأصوات من هنا وهناك: بلى يا هود، فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين!

❁ فأجابهم هود عليه السلام بلسان الوحي: ﴿**إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ**﴾.

***

❁ ومرّت الأيامُ وتعاقب الزمان.

❁ حتى جاء أمر الله.

❁ وكانت بدايتُهُ أن حَبَسَ اللهُ المطرَ عن قوم عاد سبع سنين حتى أجدبوا وذهب خيْرُهُم.

❁ واستمر هود عليه السلام يدعوهم فلم يؤمنوا.

❁ حتى كان ذاتَ يوم

❁ فرأوا سحابة مقبلة، ففرحوا بالمطر.

❁ وسخروا من هود عليه السلام قائلين: لقد غَلَبَتْ آلهتُنا إلهك..!

❁ فقال لهم :إنها ريح فيها عذاب أليم كما أوحي إليّ من ربي .

فانكروا قوله معرضين: ﴿هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾.

فاستدرك عليهم هود بقوله: بل هو ما استعجلتم به، ريح فيها عذاب أليم، تدمر كل شيء بأمر ربها.

***

ونزل العذاب بقوم عاد في يوم نحس مستمر.

حيث أرسل الله عليهم ريحا صرصراً عاتية.

واستمرت الريح في أيام نحسات، وتواصلت سبع ليال وثمانية أيامٍ حسوماً.

فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية.

وكانت الرياح العقيم تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر.

فأصبحوا لا يُرى إلا مساكنهم.

وكذلك يجزي اللهُ القوم المجرمين.

ونجّى الله هود والذين آمنوا معه برحمة منه.

***

ومالبثت ان هدأت العاصفة.

وعادت الحياة من جديد.

وأورث الله الأحقاف لعبادِهِ الأخيار.

ومرت آلاف الأعوام.

حتى كان ذات يوم أن خرج رجلٌ في طلب إبل له قد شَرَدَت.

فبينما هو في صحارى عدن في الفلوات إذ وقع نظره على مدينة عليها حصن.

وحول ذلك الحصن قصور كثيرةٌ وأعلامٌ طِوال.

فعقل ناقته، وسلّ سيفه، ودخل من باب الحصن.

فاذا هو ببابين عظيمين لم يَرَ في الدنيا أعظم منهما ولا أطول.

***

وفتح الرجل أحد البابين، ودخل.

فاذا هو بمدينة لم ير الراؤون مثلها قط.

وإذا هو بقصورٍ معلقة تحتها أعمدة من الزبرجد والياقوت.

وقد فُرشت هذه القصور بالؤلؤ والمسك والزعفران.

ففزع مما رأى حيث كانت القصور خالية.

فانطلق في شوارع المدينة.

فاذا هو بأشجار عتيقة قد أثمرت، ومن تحتها أنهار تجري.

فقال هذه هي الجنةُ التي وعد الله بها عباده المؤمنين، فالحمد لله الذي أدخلني الجنة وأسكنني غرفها الفسيحة..!

***

ونسي الأعرابي إبله.

وحمل على ناقته ما استطاع من لؤلؤ وياقوت.

وعاد إلى الأمير وقص عليه الخبر.

فاستدعى الأمير أحد خواصّه واستوضَحَهُ الأمر، والرجلُ عنده.

فقال له: أما المدينة فهي إرم ذات العماد، التي لم يُخلق مثلُها في البلاد. وأما صاحبها فهو شداد بن عاد الذي بناها.

وإن في الكتب أنَّ رجلاً يدخلها ويرى ما فيها ثم يخرج فيحدث الناس بما رأى، فلا يُصدَّق ، وسيدخلها أهل الدّين في آخر الزمان.

فقال الأمير: فهذا هو الرجل..!!

## أتعلمون أنّ صالحا مُرسلٌ من ربه؟!

❁ يُروى، أن ثمود كانوا قوماً من العرب العاربة. وكانوا يسكنون وادي القرى بين يثرب والشام.

❁ وقد نشأت ثمود بعد عاد، وكانت لهم حضارة عظيمة ومدنية متقدمة.

❁ كما أن الله استخلفهم في الأرض فراحوا يعمرونها، ويتخذون من سهولها قصوراً، وينحتون من الجبال بيوتاً آمنين.

❁ وكانوا يعتمدون في حياتهم على الزراعة، وذلك باجراء العيون، وإنشاء الجنّات والنخيل، والحرث.

❁ وأما نظام الحكم في ثمود، فقد كان ديكتاتورياً، حيث كانت السيادة لسادتهم ومشايخهم، فتسلطوا على المستضعفين واستعبدوا الناس، واستأثروا بالمال والثروة.

***

❁ وكانت لثمود مدينة كبرى هي عاصمتهم.

❁ وهناك في تلك المدينة، كان التقدم قد بلغ أوجه، والرخاءُ قد جاوز ذروته.

❁ وكان الفساد قد شاع.

❁ فقد كان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يُصلحون.

فطغوا في الأرض، وعبدوا الأصنام.

وكانت سبعين صنماً.

وبقدر ما كانت تأتيهم النعمة، كانوا يُفرطون في الشرك والعتو والفساد.

***

وكان صالح بنُ ثمود، الذي يعود نسبه إلى سام بن نوح عليه السلام، في السادسة عشرة من عمره.

وكان حسن الصيت والسمعة ومرجوّاً في قومه.

وفي أحد الأيام كان القوم محتشدين حول أصنامِهم يُقدّمون لها الأضاحي والقرابين.

وإذا بالفتى صالح وقد أقبل عليهم وأخذ يدعوهم إلى نبذ أصنامهم وعبادة الله الواحد.

فناداهم قائلاً: ﴿**يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيب**﴾.

فكذبوه وأنكروا عليه دعوته، وقالوا له:

﴿**يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا**﴾..!

﴿**أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا**﴾..!

﴿**وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ**﴾!

***

وظل صالح عليه السلام يواصل دعوته حتى بلغ العشرين بعد المائة من عمره.

فلم يُجِبْهُ قومُهُ بخير

سوى عدد من المستضعفين قليل.

فأنكر عليهم المستكبرون إيمانهم بدعوة صالح عليه السلام وتوعدوهم بالويل والثبور.

فزادهم إيمانا على إيمانهم.

إلى أن جاء يوم المناظرة.

***

وفي ذلك اليوم احتشد الناس في ساحة المدينة العظيمة يتقدمهم سادة وشيوخ ثمود.

فقال لهم صالح عليه السلام : (يا قوم إني قد بُعثت إليكم وأنا ابن ستٍّ عشرة سنة، وقد بَلَغْتُ عشرين ومائةَ سنة، أفلا تؤمنون) .

فأجابوه قائلين: يا صالح، إنا بما أرسلت به لكافرون، ولا سبيل لاغوائنا وصرفنا عما يعبد آباؤنا.

فحاجّهم صالح عليه السلام وقال: فأنا أعرض عليكم أمرين.

إما أن تسألوني، فأسأل إلهي حتى يجيبكم فيما تسألون.

وإما سألتُ آلهتكم، فان أجابتني فيما أسألُ خرجت عنكم .

فقالوا: لقد أنصفت فيما تعرض يا صالح.

❁ وضربوا فيما بينهم موعداً للمواجهة.

***

❁ وفي اليوم الموعود، خرج قوم ثمود بأصنامهم، ثم قربوا طعامهم وشرابهم، حتى إذا فرغوا، دعوا صالحا، وقالوا يا صالح سل.

❁ فدعاهم صالح للاتيان بكبير أصنامهم..

❁ فدلوه عليه.

❁ فسألهم صالح: ما اسمُهُ؟

❁ فأخبروه باسمه.

❁ فناداه صالح باسمِهِ

❁ فلم يُجب كبيرُ الأصنام.

❁ فوقعوا في الحيرة والدهشة..!

***

❁ ولكن قوم ثمود أصروا واستكبروا، ولم يتقبلوا الهزيمة.

❁ فعرضوا على صالح عليه السلام أن ينادي غيرَهُ.

❁ فناداه باسمه.

❁ فلم يُجب..!

❁ ومن صنم إلى آخر، حتى بلغ الصنم السبعين، فلم يحر هو الآخر جواباً.

❁ فبُهت القومُ، وحاروا في أمر أصنامهم.

***

ولما رأى صالح عليه السلام ما وقع فيه قومه، قال لهم: (لقد دعوت آلهتكم واحداً واحدا، فلم يُجبني منهم أحد، فاسألوني حتى أدعو إلهي فيجيبكم الساعة إن شاء) .

فرفضوا ما قال صالح عليه السلام ، وبالغوا في العناد.

وقالوا لنبيهم: يا صالح، تنحَّ الآن عنا وعن آلهتنا.

فتنحّى عنهم وعن أصنامهم.

وراحت ثمود تسعى من جديد لاستدراك الأمر وتلافي الفضيحة المشهودة!

***

واقترب وقت الزوال.

فتشاور كبراء ثمود فيما بينهم، حتى توصلوا إلى قرار أخير.

فرموا بتلك البسط التي بسطوها.

وقذفوا بعيدا بآنية الطعام والشراب.

وعلى التراب أخذوا يتمرغون أمام الأصنام، ويقدمون القرابين، ويسألونها بحقها وحق ملكوتها وقدرتها أن تجيب.

حتى إذا أُنهكوا، واستولى عليهم التعب الشديد، وظنوا أن آلهتم قد استجابت دعوتهم، وأنها لا شك مشفقة عليهم، فانهم اصطفوا أمامها في القُدَّاس الأخير.

❁ وألقوا على أصنامهم حجتهم الأخيرة.

❁ فقالوا محرضين: اسمعي وعي أيتها الآلهة، يا من عبدناك نحن وآباؤنا، لئن لم تُجبن صالحاً لتُفْضَحُنّ!!

❁ وقدم كبير الكهنة القربان العظيم، ثم سأل القوم أن يدعوا صالحا.

***

❁ ولبَّى صالح الدعوة في الحال.

❁ فأقبل على الجموع وقد تعالت الأصواتُ بتمجيد الآلهة واكتساب رضا الأوثان.

❁ وخرج سادة ثمود فاستقبلوا صالحا، وقالوا:

❁ هيا يا صالح، فَسَلْ آلهتنا الآن.

❁ وتوجه نبيُّ الله إلى كبير الأصنام من جديد، وصاح فيه: (ما اسمك يا هذا؟)

❁ وأضاف صمت الوثن صمتا آخر إلى صمت الحشود التي حبست أنفاسها في صدورها بانتظار الجواب الذي لن يأتي أبدا.!

***

❁ ولما فشل قوم صالح عليه السلام وهم ثمود في مناظرتهم ومحاججتهم لصالح عليه السلام وعجزت أصنامهم عن جواب نبي الله فإنهم أُسقط في أيديهم ووجدوا أنفسهم مضطرين إلى الخيار الثاني.

وهو أن يسألوا صالحاً عليه السلام أمراً حتى يدعوُ الله فيجيبهم إن شاء الله تعالى.

وكان النهار قد أشرف على الانتهاء.

فقال لهم صالح عليه السلام : يا قوم قد ذهب النهار، ولا أرى آلهتكم تُجيبني، فاسألوني حتى أدعو إلهي، فيجيبكم الساعة.

فقبل القوم مرغمين خوفاً من الفضيحة، وصدورهم تنبض بالأمل في عجز إله صالح كما عجزت آلهتهم.

***

وانتدبت ثمود سبعين رجلاً من كبرائها.

وقالوا: فإنّا نسألك يا صالح.

فقال لهم: وهل يرضى بكم كلُ هؤلاء القوم!

فأجابوه: نعم.

فقال لهم: سلوني إذن.

فقالوا: نحن نسألك، فان أجابك ربك تابعناك واتّبعك جميع قريتنا.

فوافق صالح عليه السلام وقال: فسلوني ما شئتم.

فقالوا: انطلق بنا إلى هذا الجبل.

فانطلق معهم.

وكانت آمالهم ما زالت معقودة على الوهم الوثني.

بينما كان صالح عليه السلام يتقدم بثقة إلى الإمام يحدوه وحيُ السماء.

***

ووصلوا إلى قمة الجبل.

وكانت هناك صخرة تُعظمها ثمود، وتدين لها بالعبادة، وتذبح لها في كل رأس سنة، وتجتمع حولها.

فقالوا: يا صالح ادع ربك وسله أن يُخرج لنا الساعة من بطن هذه الصخرة الصماء ناقة حمراءَ وبراءَ عُشَرَاء..!

فقال لهم صالح عليه السلام بلسان النبي المؤيد بروح القُدُس: سألتموني شيئاً يعظم عليّ ويهونُ على ربي.

وتوجه إلى الله القادر بالسؤال.

بينما وقف القوم، وقد توزعهم اليأس والأمل..!

***

وفجأة.. انصدع الجبل صدعا كادت تطير منه العقول، وانشقت الصخرة، واضطربت كما تضطرب الحامل عند المخاض.

وإذا برأسٍ قد طَلَع من ذلِك الصدع.

ثم تبعته رقبة.

فما استتمت الرقبة حتى اجتر الفم.

ثم خرج سائر الجسد.

واستوت الناقة بأوصافها قائمة على الأرض.

واستولى الذهول على مشايخ ثمود..!

***

وعلى عظم الإعجاز عظم عناد القوم..!

فقالوا مفنّدين: يا صالح، ما أسرع أن أجابك ربك!

فقال صالح عليه السلام: بيده الملك وهو على كل شيء قدير وما ذلك على الله بعزيز.

ولم يخضع القوم للحقيقة السافرة، فسألوا صالحا سؤالاً آخر.

فما هو هذا السؤال، يا صديقي، وقد جاء الحق وزهق الباطل؟!

قالوا: يا صالح، فاسأل ربَّك أن يُخرِج لنا الساعة فصيل الناقة..!

يا لها من نفوس سقيمة!

ولكن الله يأبى إلا أن يقيم حجته على المنكرين ومرضى النفوس.

فماذا كان من الأمر إذن يا عزيزي؟

لم تمض لحظات حتى رمت الناقة بالفصيل، فراح يدبّ حولها..!

***

وتوجه صالح عليه السلام إلى الرجال السبعين،

وقال لهم: أبقي شيء؟

فقالوا: لا.

فقال: ولكن الله أوحى إلي بأن يكون لهذه الناقة شِربٌ ولكم شِربُ يوم معلوم.

فقالوا: لك ذلك، فانطلق بنا إلى قومنا حتى نخبرهم بما رأيناه، ويشهدوا الناقة وفصيلها، فيؤمنوا بك وبإلهك.

فعادوا منحدرين من الجبل، والشمس تتحسس طريقها، وتدق باب الغروب.

***

وتقدم صالح عليه السلام بناقته وفصيلها الرجال السبعين في طريق العودة.

فلما قطعوا شوطاً، نظر صالح عليه السلام إليهم، فاذا بهم وقد ارتد منهم أربعة وستون رجلاً.

فأنكر صالح عليه السلام أمرهم، وقال لهم: أفهذه الموعدة؟!

فأجابوه: لقد وفّينا، فهلا كنت قد وفّيت؟!

فسألهم: فماذا تعنون؟!

فأجابوه إنه السّحرُ يا صالح وليست المعجزة!

فأعرض عنهم صالح عليه السلام وسار متقدما الركب.

***

ولما مشى القوم شوطاً آخر، ثبت السّتة الباقون حول صالح عليه السلام وقالوا: دعك من هؤلاء الجاحدين، فالحقُ ما رأيناه.

حتى إذا بلغوا مشارف المدينة، نظر صالح عليه السلام فإذا بواحد من الستة وقد

ارتاب، ثم أخذ يتقهقر وقد ارتد، والتحق بجمع المنكرين.

ولم يلبث القومُ قليلاً حتى دخلوا المدينة العاتية.

***

وخرج المستكبرون لاستجلاء الأمر.

فلما شاهدوا الناقة وفصيلها جحدوا بها واستيقنتها أنفسُهُم، ظلما وعلوًّا.

فقال لهم صالح عليه السلام: قد جاءتكم بينة من ربكم، هذه ناقة الله لكم آية، فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم.

فاتهموه بالسحر.

فواجههم قائلاً: أرأيتم إن كنت على بينة من ربي، وآتاني منه رحمة، فمن ينصرني من الله إن عصيته، فما تزيدونني غير تخسير.

فتبجحوا عليه بالملك والسلطة وما هم فيه من نعمة ورخاء.

فذكرهم صالح عليه السلام بذلك، وحذرهم من الفساد، وقال: واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عادٍ وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون من الجبال بيوتاً، فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين!

فأعرضت ثمودُ عن دعوة أخيهم صالح وأقاموا على شركهم وعنادهم، وانطلقوا يلومون المستضعفين الذين آمنوا بالرسالة.

قال الملأ الذين استكبروا للذين استضعفوا لمن آمن منهم: أتعلمون أن

صالحا مُرسل من ربه؟!

قالوا: إنا بما أُرسل به مؤمنون.

فقال الذين استكبروا: إنّا بالذي آمنتم به كافرون..!

وعندئذ.. أخذت السُّنّةُ التاريخيةُ في التكامل..!

***

لما عاد صالح عليه السلام إلى قومه بالناقة العشراء التي أخرجها له الله من الصخرة الصماء في محاججته معهم، فان قلوبهم المقفلة لم تنفتح أمام المعجزة الإلهية الكبرى

ولكنهم استمروا في جحودهم واستهزائهم.

فأنبأهم صالح عليه السلام بوحي السماء حول الناقة- المعجزة.

وقال لهم: إن الله جعل هذه الناقة لها شرب يوم ولكم شرب يوم معلوم.

فكانت الناقة إذا جاء يومُها شربت الماء، ثم شربوا هم من لبنها، فلا يبقى صغير ولا كبير إلا وقد ارتوى.

فاذا كان الغد شربوا هم من الماء ولم تشرب الناقة وفصيلها.

واستمر الحال على ذلك زماناً، حتى كانت الفاجعة..!

***

فذات ليلة ليلاء، وقد خيم الظلام على المدينة، اجتمع شيوخ ثمود في دار كبير لهم وتشاوروا في أمر الناقة.

❁ فقال أحدهم: خذوها إلى مكان بعيد حتى تبطل حجةُ صالح ونستعيد مكانتنا الأولى.

❁ وقال آخر: بل احبسوها في مكان حصين فيكون لنا الماء كله ولا يستعلي علينا صالح بناقته تلك.

❁ وقال ثالث: بئس الرأيُ ما رأيتم أيها القوم، بل اعقروها واستريحوا منها تخلُ لكم الأرض وما فيها.

***

❁ وبعدما قلبوا الأمور، واستقرّ رأيهم على عقر الناقة، فباتوا وقد بيتوا أمرا.

❁ ولكنّ الأمر عظم عليهم واحتاروا فيمن يعقر الناقة.

❁ وكان كل منهم يعتذر إلى الآخر.

❁ فما كان من كبرائهم إلا أن جعلوا جعلاً لمن يذبح ناقة الله التي جعلها لهم آية.

❁ وعندئذ برز لهم رجل أحمر أشقر أزرق، يقال له (قدّار) ، وكان ولد زنا لا يُعرف له أب، كما كان من أشقى الأشقياء

❁ وقال لهم: أنا أقومُ بعقرها.

❁ فكانت له الجائزة الكبرى على أن يلي هذا الأمر.

***

❁ وبدت ديارُ ثمود قاتمةً تحت الشمس الغائمة لوم ضبابي حزين.

وكان شِرْبُ الناقة في ذلك اليوم.

فخرجت يتبعها فصيلُها لترد الماء.

فلما شربت وقفلت عائدة إلى مستقرها كمن لها (قدار) في طريقها.

وسارت الناقة تخطو إلى الإمام برأسها المرفوع حانية على فصيلها الذي أخذ يتمسح في جنبيها، وهي تداعبه تارة، وتلحَسُ بدنه الرقيقَ تارة أخرى.

وفجأة، خرج الشقي من مخبأه.

فحسبته الناقة عابر طريق.

فأعرضت عنه مواصلة سيرها.

فاعترضها بسيفه المسلول وضربها على إحدى قوائمها.

فلم تفعل الضربة شيئاً.

فثنى لها ضربة أخرى أشد من الأولى

فرغت الناقة، وارتعد بدنها، وخرت على الأرض على جنبها.

ودُهش فصيلها، وراح يتفحص أمه بفمه ورأسه، وكأنه يستنهضها.

ولكنّ الذبيحة كانت تلفظ أنفاسها الأخيرة غارقة في دمها المطلول.

***

وعندئذ أقبل قوم صالح يتناسلون من كل حدب وصوب وقد جردوا سيوفهم ورفعوا أسلحتهم.

فخاف الفصيل وولى هاربا من أمام وجوههم وهو يتلفت بين الحين

والآخر متفقداً أمَّه العائمة في بحيرة الدماء.

❁ وتوافدت جموع القوم، فالتجأ الفصيل اليتيم إلى جبل يعصمه من الذبح، ورغا ثلاث مرات متوجها إلى السماء.

❁ فانشغل القوم عنه، وقصدوا الناقة، فلم يبق منهم أحد إلا شرك في قتلها.

❁ حتى إذا شهقت شهقتها الأخيرة، ذبحوها من الوريد إلى الوريد.

❁ واقتسم الأشقياء لحم ناقة صالح، فلم يبق منهم صغير ولا كبير إلا أكل من لحمها..!

***

❁ وارتجت السماء إثر وقوع الفاجعة، وتناهى الخبر إلى نبي الله صالح عليه السلام فاستعظم الجريمة النكراء، وأقبل على قومه الآثمين.

❁ فعاتبهم قائلاً: (يا قوم، ما الذي دعاكم إلى ما صنعتم؟ أعصيتم أمر ربكم؟).

❁ فسخروا منه واستهزأوا به.

❁ فقال لهم صالح عليه السلام : (يا قوم، إني رسول ربكم إليكم، وهو يقول لكم: إن تبتم ورجعتم واستغفرتم غفرت لكم وتبت عليكم) .

❁ فلم يرتدعوا وازدادوا بغياً وعتوا.

❁ فعنفهم صالح عليه السلام ، وقال: (لقد قتلتم ناقة بعثها الله حجة عليكم، ولم يكن لكم فيها ضرر، بل كانت عظيمة المنفعة عليكم، وإن الله مرسل

عذابه عليكم بعد ثلاثة أيام إن لم تتوبوا إليه وتستغفروه) .

❁ فقالوا له معاندين: يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين..!

***

❁ وأوحى الله إلى صالح عليه السلام ، فكلم قومه قائلاً: ياقوم، إنكم تصبحون غداً ووجوهكم مصفرة.

❁ وفي اليوم الثاني تصير وجوهكم محمرة.

❁ وأما اليوم الثالث فتصبح وجوهكم مسودة .

❁ فلما أن كان اليوم الأول، أصبحوا ووجوههم مصفرة، فمشى بعضهم إلى بعض، وقالوا: قد جاءكم ما قال صالح!

❁ فقال العتاة فيهم: لا نسمع قول صالح ولا نقبله وإن كان عظيما.

❁ ولما أن كان اليوم الثاني أصبحوا ووجوههم محمرة، فمشى بعضهم إلى بعض، فقالوا: قد جاءكم ما قال لكم صالح..!

❁ فأصر العتاة قائلين: لو أُهلكنا جميعاً ما سمعنا قول صالح ولا تركنا آلهتنا التي كان يعبدها آباؤنا.

❁ حتى إذا كان اليوم الثالث أصبحوا ووجوههم مسودة، فأوجسوا خيفة، ومشى بعضهم إلى بعض، فقالوا: لقد جاءكم ما وعدكم به صالح!

❁ فقال العتاة منهم: أتانا ما قال لنا صالح!

❁ ومع ذلك، فلم يؤوبوا إلى الله، وسلكوا طريق الهلاك..!

***

وحل ليل العذاب الموعود.

فلما انتصف الليل، كانوا قد تحنطوا وتكفنوا، واستعدوا للموت، وتمتعوا في دارهم ثلاثة أيام ثم أتاهم عذابٌ غيرُ مكذوب.

فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون

وصاح بهم جبرائيل عليه السلام صيحة تقطعت بها قلوبهم، وخُرقت منها أسماعُهم، فماتوا جميعا في طَرفةِ عين وأصبحوا في دارهم جاثمين

ومكروا مكرا ومكر الله مكرا، وهم لا يشعرون

فتولى عنهم صالح عليه السلام ، وقال: يا قوم لقد أبلغتكم رسالةَ ربي، ونصحت لكم، ولكن لا تحبون الناصحين.

ونجّى الله الذين آمنوا وكانوا يتقون.

ونادى منادي الاله وقد صبّت السماء عليهم اللعنة: ﴿**أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كفرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْداً لِّثَمُودَ**﴾!!

## إنّ إبراهيمَ كانَ أمّةً

❁ اجتمع المنجمون في مدينة (بابل) واصطفوا أمام مليكهم (نمرود) وقد تربع على أريكته المطهمة في قصره المشيد الحافل بمظاهر الأبهة والفخامة.

❁ واستدعى نمرودُ وزيره ومنجمه (آزر) ليمثل بين يديه، ويُخبره بما يراه في حساب النجوم.

❁ فقال آزر:

❁ أرى يا سيدي أن رَجُلاً يأتي في هذا الزمان، فينسخ هذا الدين، ويدعو إلى دينٍ آخر.

❁ وكان (نمرود بن كنعان) وثنياً، وطاغية جبارا، فاهتم للأمر.

❁ فسأل آزرَ قائلاً: وفي أيِّ البلاد يكون؟

❁ فأجاب الوزيرُ المنجم: في هذه البلاد.

❁ فسأله نمرودُ متوجساً: فهل وُلد أم لم يولد بعد؟

❁ فقال آزر: لم يخرج بعد إلى الدنيا.

❁ فحزم نمرود أمره، وأصدر قراره قائلاً:

❁ فلنفرق من هذه اللحظة بين الرجال والنساء.

***

وفشى الخبر سريعاً في المدينة.

وعمّ الهلع والرعب بابل، وقد شرع رجال نمرود في تنفيذ الأمر الملكي.

ولم يكن الأمر يسيراً بالطبع، بل كان يحتاج إلى تدابير إستثنائية.

ولكن إرادة الطواغيت تسري، ولو على رقاب العباد.. ما داموا يحكمون بالحديد والنار،وإن كانت عين الله لا تنام.

فجعل جنود نمرود الرجال في جانب من المملكة، والنساء في جانب آخر.

ولم تكن هناك من حيلة للشعب المغلوب على أمره سوى الرضوخ أمام حد السيف وسياط الجلادين.

وتغير شكل الحياة في مملكة نمرود.

ولكن الشمس كانت تطلع وتغرب كما هو دأبها في كل زمان.

***

وذات صباح مشرق، غادرت امرأة منزلها، وسارت في نقابها متجهة إلى غارٍ خارج المدينة.

وكانت وكأنها تعرف هذا الغار.

حتى إذا وقفت على بابه، فانها تلفتت يميناً ويسارا، ثم إذا اطمأنت، من عدم وجود العيون والمراقبين، دخلت الغار، وأغلقت بابه خلفها بأحد الأحجار.

❁ ولم تمكث السيدة سوى زمن يسير، حتى وضعت طفلاً وسيماً وديعاً، أسمته إبراهيم.

❁ فقمطته، وأرضعته، ثم تركته وحيداً داخل الغار، وسدت بابه بالحجارة، وقفلت عائدة إلى منزلها.

***

❁ وكان نمرود الطاغية قد وكل بكل امرأة حامل من يذبح وليدها إذا كان ذكراً.

❁ وظل الوليد ابراهيم بمنأى عن الذبح في الغار المهجور.

❁ وأجرى الله له لبنا من إبهامه.

❁ وكانت أمُه تأتيه بين الفينة والأخرى، فيدهشها الأمر.

❁ حيث كان طفلها يشب في الغار كل يوم كما يشبّ غيره في شهر.

❁ حتى بلغ الثالثة عشرة من عمره.

***

❁ وفي يوم من الأيام، زارته أمه كعادتها.

❁ فلما تملت حسن وجهه وجماله، عزّ عليها أن تفارقه.

❁ ولكنها تذكرت الخطر المحدق، فنهضت مذمعة العودة.

❁ فلما أرادت مفارقة ابنها، فانه تشبث بها، وقال: يا أمي أخرجيني، وخُذيني معك إلى منزلنا في المدينة.

❁ فانفطر قلب الأُم حزنا وعطفاً، فضمته إلى صدرها الحنون الدافيء، وسالت دموعها فبللت رأسه الملقى على صدرها.

❁ فألح الابن قائلا: يا أمي لو عدت بي معك إلى المدينة..!

❁ فكفكفت الأم دموعها، ومسحت شعره بأناملها الرقيقة.

❁ وقالت: يا بني إن الملك إذا علم بأنك ولدت في هذا الزمان قتلك!

❁ فقال إبراهيم: ولم يا أماه؟!

❁ فأجابت: لأنه لا يعبد الله، وقد أخبروه بأن رجلاً يأتي في هذا الزمان ومعه دينٌ آخر ينسخ به دين الملك، فأمر بقتل كل ذكر يولد.

❁ وغرق إبراهيم في تأملاته، بينما فارقته أمه في الغار، وعادت إلى المدينة.

***

❁ ومرت الأيام على هذه الحال، والصبي إبراهيم ينمو ويشب حتى صار فتى.

❁ إلى أن أخذته أمه معها إلى دارها ذات يوم.

❁ فالتفَّ حوله إخوته وقد أدهشهم أمره.

❁ فلما علموا أنه أخوهم، رقوا له، وأنسوا به، وقد زرع الله حبه في قلوبهم.

❁ وكان (تارخ) والد إبراهيم قد فارق الحياة.

❁ فلم يره إبراهيم، ولم ير إبراهيم، وقد حملت به أمه دون أن يظهر أثر

لحملها، وقد أصبح اليوم شاباً فتيّاً.

***

وذات مساء...

كان إبراهيم جالسا بين اخوته.

فجاء عمه آزر، لزيارتهم.

فلما رآه عجب لأمره، وسأل أمه قائلاً:

من هذا الفتى؟

فأجابت: إنه ابني.

فقال: وكيف ولدتيه؟

فقالت: حملت به قبل وفاة أبيه.

فاستفسر مندهشاً: وكيف بقي في سلطان الملك، والملك يقتل كل من يولد من الذكور؟

فأجابت الأم: أودعته الغار حتى شب.

فنظر آزر إلى إبراهيم، فملأ اللهُ قلبه به حُبّاً.

ولكنه مالبث أن قال لأم إبراهيم:

ويحك، إن الملك إذا علم بهذا قتله، ونزلت منزلتنا عنده..!

فقالت أم إبراهيم: لا عليك، إن الملك إذا لم يشعر به بقي لنا، وإن شعر به كفيتك الاحتجاج عنه.

فأخفى الوزير المنجم أمره على الملك!

***

وكان آزر مقرباً من نمرود، وكان يتخذ له الأصنام، ويأمر بصنعها، ثم يدفعها إلى أولاده وأولاد أخيه فيبيعوها للناس.

فودَّ إشراك إبراهيم في بيع الأصنام.

حتى إذا كان ذات يوم، دَفع آزر إلى ابن أخيه إبراهيم بعدد من الأصنام ليبيعها الناس.

فلم يرفض إبراهيم.

وعندما تسلم الاصنام، علق في عنق كل منها خيطاً، ثم أخذ يجرها على الأرض، وهو ينادي: من يشتري مالايضره ولا ينفعه!

وانتشر الخبر في المدينة، وشاع بين أهلها.

فبعث آزر من أحضره غاضباً وقال:

لم فعلت هذا يا إبراهيم؟

فتوجه إبراهيم إلى الأصنام قائلاً: تكلمي!

فلم تنطق الأصنام!

فأسقط في يد آزر، ونهى إبراهيم عن ذلك.

ولكن إبراهيم لم يستجب..

فعند ذلك أمر عمه آزر ـ وهو وزير الملك ـ بحبسه ومنعه من الخروج.

حتى كان يوم المهرجان

***

ظل الناس في مدينة بابل أياما عديدة يتجهزون ويعدون العدة ليوم المهرجان، وهو عيدهم السنوي الأكبر.

فغصت المدينة بمظاهر الصخب والزينة وعمتها مشاهد الفرح.

وكان من عادتهم الاحتفال بهذا اليوم خارج المدينة، حيث يُكبون على إقامة المراسم والطقوس الوثنية.

وكان إبراهيم عليه السلام محبوساً بأمر من عمه آزر بجرم النيل من الأصنام والاستهزاء بها!

فرقّ له قلب عمه في يوم العيد، وأطلق سراحه من الحبس، ليخرج مع القوم ويشاركهم أفراحهم في يوم المهرجان.

ولكن إبراهيم عليه السلام كره الخروج معهم وفضل البقاء في المدينة.

فوكله عمه ببيت الأصنام.

***

فلما ذهبوا، وخلا إبراهيم عليه السلام بأصنامهم، فانه عَمَدَ إلى طعامٍ وأدخله إلى بيت الأصنام.

فكان يدني الطعام من الصنم، ويقول له: كل، وتكلم!

فلم يكن الصنمُ يأكل أو ينطق.

❁ وعندئذ كان إبراهيم عليه السلام يأخذ القدوم فيكسر يدي الصنم ورجليه، ثم ينتقل إلى صنم آخر.

❁ حتى فعل ذلك بجميع الأصنام.

❁ فلما فرغ من أمرهم، أخذ القدوم وعلقه في عنق كبيرهم، وكان قائماً في الصدر.

❁ ثم جلس في الانتظار.

***

❁ وعادت الجموع إلى المدينة، يتقدمها نمرود في ركبه الملكي المجلل بأسباب الأبهة والعظمة.

❁ وتوجهوا إلى بيت الأصنام لاختتام الطقوس.

❁ فلما نظروا إلى الأصنام وجدوها جميعها محطمة، وعلى رأسها الصنم الأكبر وقد علق القدوم في رقبته!

❁ فاشتاط نمرود غضباً، وصاحَ قائلاً:

❁ ﴿**مَن فَعَلَ هَذَا بِئَالِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ ٱلظَّالِمِينَ**﴾..؟

❁ فأجاب عدة من الملأ قائلين: سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم.

❁ وكان إبراهيم عليه السلام قائماً في ركن قصي من بيت الأصنام يراقب الأحداث عن كثب.

❁ فجرّه الجلاوزة حتى مثلوا به أمام نمرود

❁ فسأله كبير الكهنة: أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم؟

❁ فأجاب عليه السلام : بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون..!

❁ وعندئذ ازداد نمرود حنقا والتهب صدره غيظاً.

❁ فأعرض عن إبراهيم عليه السلام ، وقال: ائتوني بآزر!

❁ ثم غادر بيت الأصنام إلى قصره.

***

❁ ومثل آزر بين يدي نمرود الجبار

❁ فصاح به نمرود غاضباً:

❁ لم خنتني وكتمت هذا الولد عني؟

❁ فأجاب آزر وقد طأطأ برأسه:

❁ إن هذا لمن عَمل أمه أيها الملك..!

❁ فقال نمرود: ولكنه يعيش تحت إمرتك وفي كنفك!

❁ فأجاب آزر: صدقت أيها الملك. ولكن أمه ذكرت أنها تقوم بحجته.

❁ فاستدعى نمرود أم إبراهيم في الحال، وقد خيم التوتر والتوجس على قصر بابل..!

***

❁ ولم يكد يمضي سوى اليسير من الوقت، حتى كانت أم إبراهيم ماثلة بين يدي نمرود.

❁ فسألها نمرود حانقاً: ما حملك على كتمان أمر هذا الغلام حتى فعل بآلهتنا ما فعل؟

❁ فأجابت: أيها الملك! نظراً مني لرعيتك!

❁ فتساءل نمرود في دهشة: وكيف ذلك؟

❁ فأجابت أم إبراهيم: لأني رأيتك تقتل أولاد رعيتك، فكاد يذهب النسل، فقلتُ إن كان هذا الذي يطلبه الملك دفعته إليه ليقتله، ويكف عن أولاد الناس.

❁ فسألها نمرود وقد نفذ صبره:

❁ وإن لم يكن؟!

❁ فأجابت أم إبراهيم: وإن لم يكن بقي لنا ولدنا وقد ظفرت به الآن، فشأنك به.

❁ فكف نمرود عن أولاد الناس، وصبّ اهتمامه على إبراهيم عليه السلام وقد أدرك أن الأمر قد فاته!

❁ ثم أمر بحبسه حتى يرى فيه رأيه..!

***

❁ وجمع نمرود وزراءه ومستشاريه وكبار رجال البلاط.

❁ واستشارهم في أمر إبراهيم.

❁ ولم يكن القوم على شيء من الحنكة والرشد.

❁ فقالوا لنمرود: ﴿حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾!

❁ ولم يقولوا له كما قال أصحاب فرعون في أمر موسى عليه السلام: أرجه وأخاه.

❁ وأعجب نمرود بمشورة رجاله، وظن أن فيها الخلاص من إبراهيم.

❁ فأمر باعداد العدة لحرق محطم الأصنام..!

***

❁ انطلقت الأعداد الغفيرة تجمع الحطب وتكدسه في ساحة أعدت خصيصاً لهذا الأمر على مبعدة من المدينة.

❁ حتى إذا جاء نمرود ليشهد المكان ذات يوم وجده مهيبا ومريعا، فانتفخ عجباً وخيلاءاً، وتضاعف أمله في الخلاص من إبراهيم واستتباب الأمور في مملكته كما كانت في السابق.

❁ وقرر أن يشهد الأمر بنفسه.

❁ وعندئذ أمر جلاوزته وجنوده باقامة بناء عظيم مرتفع حتى يشرف منه على النار ويرى كيف تلتهم إبراهيم.

❁ ولما كان الأمر مهولا، فقد احتاروا في كيفية إلقاء إبراهيم في النيران وقد التهبت وارتفعت ألسنتها المحرقة.

❁ فألقى إبليس الفكرة في روع نمرود.

❁ وفي الحال، التفت نمرود إلى زبانيته، وأمرهم باتخاذ المنجنيق ليُلقوا

بإبراهيم في النار، فلا يضرهم حرُّها..!

***

واستمر العمل قائما على قدم وساق، حتى شيدوا منصة عالية لنمرود ورجاله، وفرغوا من تصنيع المنجنيق.

ثم أشعلوا النيران في الحطب، فارتفعت ألسنة اللهب إلى عنان السماء، وامتدت الحرارة حتى كان الطائر يحترق من مسيرة فرسخ!

وكان آزر ما زال يحنو على ابن أخيه ويشفق عليه من الحرق.

فكان يزوره خلسة، ويخبره بأمر النيران التي أعدوها لحرقه ويدعوه للرجوع عما هو عليه.

بينما كان إبراهيم عليه السلام يدعوه لعبادة الواحد الأحد، المنجي الصمد، ووعده بالاستغفار له إن هو عاد عن عبادة الأصنام.

فلم يكن من أمر آزر إلا أن تمسك بآلهته وقد تيقن من ذهاب إبراهيم رمادا في أجيج النيران المستعرة.

فلما تبين لإبراهيم عليه السلام أن عمه عدو لله تبرأ منه.

***

وجاء اليوم الموعود.

فأتوا بإبراهيم من محبسه، وقيدوا يديه وقدميه، ووضعوه في المنجنيق ليقذفوا به إلى النيران عند إشارة من يد نمرود.

❁ وجلس نمرود في أبهى حلله يحفه رجال البلاط الملكي وقد اعتلى سدة في المنصة الشاهقة!

❁ واصطف الجنود، واحتشدت الجماهير، ودقت الطبول، وبدأت مراسم الحرق.

❁ ووقف الجميع وقد حبسوا أنفاسهم في صدورهم بانتظار إشارة الملك!!

***

❁ وألقى نمرود نظرة متعالية على الجمع الغفير، من فوق منصته المرتفعة.

❁ وأعجبه أن كل هذه الحشود تأتمر بأمره وتنتهي بنهيه.

❁ وزاده عجبا وخيلاءاً أنه لو شاء لما أحرق هذا الفتي إبراهيم، ولأبقى على حياته فعاش طول عمره عبد إحسانه وربيب نعمائه كما سولّت له نفسه.

❁ ولكن مشيئته كانت جهنمية، فلم تأب إلا حرق الفتى والتخلص منه وعودة الملك إلى هدوء البال ورخاء العيش.

❁ وانتفخ كبرياءاً وقد ظن أن كل ذلك بامكانه!

❁ فقال بغطرسة:

❁ حرّقوه وانصروا آلهتكم.

❁ وألقى إليهم بإشارة البدء.

***

وتعالت الصيحات من كل جانب.

وارتفع الصراخ والعويل.

واشتد الضجيج والعجيج.

وأخذ الجلاوزة إبراهيم فوضعوه في المنجنيق.

ثم مالبثوا إلا أن أطلقوه ليُلقي بالفتى في النيران.

فازداد النحيب، وتفاقمت الضوضاء، وعلت الجلبة!

***

وهنالك ضج الملأ الأعلى.

فقالت الملائكة: يا رب، خليلك إبراهيم يُحرق!

فقال اللهُ عز وجل: أما أنه إذا دعاني كفيتهُ.

فدعا إبراهيم عليه السلام ربّه جلت قدرته بسورة الإخلاص.

وقال: يا ألله، يا واحد، يا أحد، يا صمد، يا من لم يلد ولم يُولد، ولم يكن له كفوا أحد، نجني من النار برحمتك.

فلما كان في الهواء يحمله المنجنيق إلى أخدود النار، التقى معه جبرائيل.

فقال له: يا إبراهيم، هل لكَ إليَّ من حاجة؟

فقال إبراهيم عليه السلام : أمّا إليك فلا، وأما إلى رب العالمين فنعم.

فأوحى الله إلى النار: (كوني بردا وسلاما على إبراهيم) .

***

❁ وأْتَمرَت النار بأمر ربها فكانت بردا وسلاما.

❁ حتى اصطكت أسنان إبراهيم عليه السلام من البرد!

❁ فنزل جبرائيل عليه السلام معه، وجلس يحدثه وسط النيران وقد نبت النرجس حولهما.

❁ ونظر نمرود، ماذا بإبراهيم وقد جلس في روضةٍ خضراء وحواليه أشجار نضرة، وأنواعٌ من الزهورِ والنباتات مما لا يوجد في الفصول الأربعة.

❁ وجبرائيل قد جلس بجواره على هيئة شيخ يسامره.

❁ فاندهش نمرودُ.. أيما دهشة!

❁ ولكنه تميز غيظا، واستشاط غضبا!

❁ فترك منصته المشيدة حانقا، وهو يقول لآزر:

❁ ما أكرم ابن أخيك هذا على ربه!!

❁ ثم غادر المكان وقد أُسقط في يده!

❁ فأرادوا به كيداً فجعلناهم الأسفلين!

***

❁ واحتشدت الجموع حول إبراهيم، بين حائر ومندهش، ومكذب ومصدق.

❁ ولكن الحقيقة كانت سافرة للعيان.

وكانت المعجزة الالهيةُ تجسيداً لنور الحقيقة.

ورغم قوة الاعجاز، وانبلاج الحق سافرا بلا حجب ولا أستار، فقد ازداد القوم غيّاً وضلالا.

وراحوا في ضلالتهم يعمهون.

وهذا هو ديدن المستكبرين.

***

وذات يوم..

استدعى نمرود إبراهيم ليلقي عليه حجته بزعمه، وقد حالت السماء بينه وبين النيران.

فلما جيء بإبراهيم، حاجَّه نمرود في ربه، وقال:

من ربُك يا إبراهيم؟

فأجاب إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِـي وَيُمِيتُ﴾.

فقال نمرود مُكابراً: ﴿أَنَاْ أُحۡيِـي وَأُمِيتُ﴾.

فسأله إبراهيم: وكيف ذلك؟

فأجاب نمرود:

أعمد إلى رجلين ممن قد وجب عليهما القتل، فأطلق واحدا وأقتل واحداً، فأكون أمت وأحييت.

فلما قال ذلك، لم يمهله إبراهيم عليه السلام ، وأراد أن يردّ عليه حجته، وقد

أدرك المناورة.

❁ فقال لنمرود مُفاجئا: ﴿ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ﴾..!

❁ ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ﴾..!

❁ ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾!

***

❁ وأخلى نمرود سبيل إبراهيم حتى يجد وسيلة أخرى لمحاججته أو القضاء عليه.

❁ فكان إبراهيم عليه السلام يدعو قومه إلى التوحيد، فيُقبلون على عبادة الأوثان.

❁ وكان يراهم مقبلين على عبادة الأصنام، فيقول لهم: ﴿مَاذَا تَعۡبُدُونَ * أَئِفۡكاً ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ * فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَالَمِينَ﴾..؟

❁ كما كان يقول لعمه آزر: ﴿أَتَتَّخِذُ أَصۡنَاماً ءَالِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.

❁ وأخذ إبراهيم يواصل دعوته رغم جحود القوم، فأراه الله ملكوت السماوات الأرض، وليكون من الموقنين.

***

❁ وذات مساء..

❁ جنَّ على إبراهيم الليل.

❁ ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَباً﴾

❁ ﴿قَالَ هَـٰذَا رَبِّي﴾!

❁ ﴿فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ﴾!

❁ ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ ٱلْقَمَرَ بَازِغاً﴾.

❁ ﴿قَالَ هَـٰذَا رَبِّي﴾!

❁ ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾

❁ ﴿قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّالِّينَ﴾.

❁ ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً﴾

❁ ﴿قَالَ هَـٰذَا رَبِّي هَـٰذَا أَكْبَرُ﴾!

❁ ﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ﴾..

❁ ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾!

❁ ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَاْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

❁ واستمر الصراعُ ضاريا بين الحق والباطل

***

❁ فعارض الناس إبراهيم وحاجه قومه

❁ ﴿أَتُحَاجُّونِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾؟!

❁ وخوّفوه بأصنامهم

❁ فرد عليهم قائلاً: ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً وَسِعَ رَبِّي كلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلَا تَتَذَكرُونَ﴾.

❁ ولما حاجه قومه بالباطل، فان إبراهيم عليه السلام حاجهم بالحق

❁ وقال لهم في استدلال قويم: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكمْ أَشْرَكتُم بِـ للَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكمْ سُلْطَاناً فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِـ لْأَمْنِ إِن كنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؟! .

❁ ﴿وَتِلْك حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾..

❁ ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّك حَكيمٌ عَلِيمٌ﴾.

***

❁ ولما نازع نمرود إبراهيم عليه السلام في الإحياء، وأقام إبراهيم عليه الحجة فبهت الذي كفر..

❁ فانه توعده بالقتل إن لم يحي الله له الميت بحيث يشاهده أمامه..!

❁ وأتى جلاوزة نمرود بإبراهيم عليه السلام .

❁ فقال له نمرود:

❁ يا إبراهيم، إن لم يحي إلهك ميتاً الآن أمامي قتلتك..!

❁ وتوجه إبراهيم عليه السلام إلى الله قائلاً: ﴿رَبِّ أَرِني كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾..

❁ فقال له ربه وهو العالم بدقائق الأمور: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾؟

❁ قال: ﴿بَلَىٰ وَلَـكن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ .

❁ قال: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

***

❁ وأخذ إبراهيم عليه السلام أربعة من الطير كما أمره ربه.

❁ وقيل بأنها كانت طاووساً ونسرا وديكا وبطا.

❁ فالطاووس يريد به زينة الدنيا.

❁ والنسر يريد به طول الأمل.

❁ والديك يريد به الشهوة.

❁ والبط يريد به الحرص والطمع.

❁ فذبحهن إبراهيم عليه السلام وعزل رؤوسهن ودق لحمهن في الهاون مع عظامهن وريشهن حتى اختلطن.

❁ ثم جعلهنّ عشرة أجزاء على عشرة جبال.

***

❁ وجلس نمرود الجبار بين رجال حاشيته في انتظار الحدث العظيم.

❁ وكان يظن بأنّ الغلبة ستكون له على إبراهيم هذه المرة.

❁ فجعل يحث إبراهيم عليه السلام على إتمام الأمر

❁ بينما إبراهيم عليه السلام يقف متوجها إلى الله تعالى سائلاً إياه اللطف والكرامة.

ثم لم تكد تمضي سوى برهة يسيرة

حتى نادى إبراهيم عليه السلام الطيور الأربعة، ودعاهن قائلاً: (أئتين بإذن الله).

وكان نمرود ما زال متعلقا بآمال الانتصار.

***

وأتت لحظة الاعجاز الفاصلة.

فتطايرت الأجزاء العشرة بعضها إلى بعض.

اللحوم، والريش، والعظام.

حتى استوت الأبدان كما كانت

وجاءت الطيور الأربعة ترفرف وتسعى بين يدي إبراهيم عليه السلام.

فاستولت الدهشة على نمرود وحاشيته.

وأيقن بالهزيمة..!

وعندئذ صرف إبراهيم عليه السلام وقد نجاه الله من القتل بعزته وحكمته.

بينما راح نمرود يعمه في الضلال مأخوذا بطغيانه وجبروته.

وانثنى يُفكر في خطةٍ جديدة يتخلص بها من إبراهيم، وقد جحد بالمعجزة الالهية واستيقنتها نفسه ظلما وعلوّاً.

***

واعتزلهم إبراهيم عليه السلام وما يعبدون من دون الله.

بينما كان نمرود قد دبّر له أمراً.

❁ فأمر رجاله بنفي إبراهيم من البلاد.

❁ وأن يخرجوه بمن معه بعد تجريده من كافة أمواله.

❁ فانطلق الجند إلى بيت إبراهيم.

❁ واستولوا على جميع ما عنده من مالٍ وماشيةٍ وعقار.

❁ وأمروه بالخروج فوراً من المدينة

***

❁ ووجد إبراهيم عليه السلام نفسه وجها لوجه أمام الطغاة الناهبين.

❁ فسألهم عن سبب الاستيلاء على أمواله.

❁ فأجابوه بأنه جمعها من بلادهم، فلا حق له بالخروج بها.

❁ فحاجهم إبراهيم قائلا: فلو أخذتم ماشيتي ومالي فان حقي عليكم أن تردوا علي ما ذهب في بلادكم من عمري!

❁ فبهت القوم من حجته.

❁ واختصموا إلى القضاء.

❁ قضاء الطاغية بالطبع ..!

***

❁ ومثل نبي الله وخليله أمام قاضي نمرود.

❁ فأقام إبراهيم الحجة على القاضي أمام الملأ.

❁ فقضى بالحق لإبراهيم.

فما كان من أمرهم إلا أن خلوا سبيله وسبيل ماشيته وماله.

فجعل خليل الرحمان يتجهز للرحيل عن مسقط رأسه ومرابع صباه ومجالي شبابه.

***

وخرج إبراهيم عليه السلام من مدينته تشيعه شوارعها ومنازلها، وقد هاجت في نفسه الذكريات.

وانطلق إلى بيت المقدس ومعه نبي الله لوط عليه السلام ، وزوجته الوفية سارة، وكانت بنت خالته.

ومضى بين الجبال والسهول والوديان يشق طريق هجرته إلى الله.

حتى خرج من سلطان نمرود.

فتنفس إبراهيم عليه السلام الصعداء وقد نجا من الطاغية.

ولكنه ما لبث أن وجد نفسه في سلطان طاغية آخر..!

***

فبينما كان إبراهيم عليه السلام يسير بركبه النبوي، اعترضه رجال السلطان الجديد، وكان من الفراعنة.

فأمره كبيرهم بفتح متاعه ليأخذوا منه نصيب الملك.

ففك إبراهيم عليه السلام متاعه إلا هودجا، ضَنَّ عليه بالفتح.

فأمره الرجلُ بفتحِه.

فأبى إبراهيم عليه السلام وقال له: خذ ما شئت من ذهب أو فضة، ولكني لا أفتحه!

فثارت وساوس الرجل، وأبى إلا فتحه!

فوقف إبراهيم عليه السلام دونه.

وعندئذ نحاه رجال الملك بالقوة، وفتحوا ما أبى إبراهيم فتحه.

فغضب إبراهيم عليه السلام غضباً شديداً، وهمّ بالامتناع، لكنهم وقفوا دونه..!

***

ولما فتح رجال الفرعون الهودج راعهم ما فيه.. وتراجعوا إلى الخلف حائرين.

فقد كانت بداخله سيدة فائقة الحسن والجمال.

وأخذ كبير رجال الفرعون بحسنها، فسأل إبراهيم عليه السلام : ما هذه منك؟!

فأجاب إبراهيم عليه السلام : هي حرمتي وابنة خالتي.

فبعث رسولا إلى الملك ليعلمه بالأمر.

فبعث الملك رسولا من قبله ليأتوه بالهودج بمن فيه.

وأقبل الرجال على حمل الهودج والذهاب به إلى الملك..

فقال لهم إبراهيم عليه السلام : لا أفارق الهودج.

فحملوه مع الهودج إلى الملك.

فلما مثلوا بين يديه، أمر إبراهيم بفتح الهودج.

❁ فقال له إبراهيم عليه السلام : إن به حرمتي وابنة خالتي وأنا اضن بها على الظهور أمام الغرباء.

❁ فغضب الملك غضباً شديداً، وأمر رجاله بفتح الهودج.

❁ فلما رأى سارة بهره حسنها وذهب بلبّه جمالها الخلاب..

❁ فلم يملك إلا أن مد يده إليها..!

❁ فأعرض إبراهيم عليه السلام بوجهه، ودعا الله تعالى قائلاً: (اللهم احبس يده عن حرمتي وابنة خالتي)

❁ فلم تصل يد الملك إليها، ولم ترجع إليه.

❁ فاندهش الملك مما جرى، وأدرك أن وراء ذلك سرا يجهله. وقد رأي اللهَ في وجه إبراهيم عليه السلام.

***

❁ وأراد الملك أن يكتشف سر إبراهيم، وأن تعود يده إلى حالتها الأولى. وكانت قد بلغته بعض أخباره.

❁ فقال لإبراهيم عليه السلام :

❁ لابد وأن إلهك هو الذي فعل بي هذا..!

❁ فأجابه إبراهيم عليه السلام : بلى، فالهي غيور ويبغض الحرام.

❁ فقال له الملك:

❁ فادع إلهك أن يرد على يدي، فان أجابك فاني لا أتعرض لها ولك.

فدعا إبراهيم قائلاً: (إلهي، رد عليه يده ليكف عن حرمتي) .

فاستجاب الله تعالى دعاء خليله إبراهيم وردّ على الملك يده.

بينما يشهد الملأ في المجلس الملكي ما يجري أمام أعينهم وقد أخذ العجب منهم مأخذه..!

***

ولكن الملك لم يتمالك نفسه مرة أخرى، فأقبل على سارة ببصره، ثم عاد فمد يده نحوها.

فأعرض إبراهيم عليه السلام كراهية منه، في أن يرى ذلك.

ودعا قائلاً: (اللهم احبس يده عنها) .

فجمدت يدُ الملك ولم تصل إليها.

فقال الملك لإبراهيم عليه السلام :

إن إلهك لغيور، وإنك لغيور، فادع إلهك لكي يرد على يدي، فانه إن فعل لم أعد أفعل.

فاستدرك إبراهيم عليه السلام قائلاً: أسأله ذلك على أنك إن عدت لا تسألني أن أسأله مرة أخرى.

فأجابه الملك: نعم، ولك ذلك.

فتوجه إبراهيم عليه السلام بالدعاء إلى الله، وقال: (اللهم إن كان صادقاً فردّ عليه يده) .

وقبل اللهُ دعوة خليله ونبيه.

فعادت يد الملك إليه..!

***

ولما رأى الملك ذلك، وشاهد تلك المعجزة بعينيه، فان إبراهيم عليه السلام عظم عنده.

فأكرمه، وقرّبه، وكف عنه.

وقال له:

انطلق حيث شئت ولكن لي إليك حاجة.

فقال له: ما حاجتك؟

فأجاب الملك:

حاجتي هي، أن تأذن لي أن أقدم لزوجتك جارية قبطية جميلة وعاقلة تكون لها خادما.

فشكره إبراهيم عليه السلام وأذن له.

فقدم الملك (هاجر) ووهبها لسارة.

وأخذ إبراهيم عليه السلام يعدّ نفسه لاستئناف سفره وهجرته.

***

وخرج الملك يمشي خلف إبراهيم عليه السلام إجلالاً له وإعظاماً، حتى ودّعَه.

وعند الوداع، سلّم على إبراهيم عليه السلام وصافحه قائلاً:

أشهد أن إلهك لحليم كريم، وأشهد لك بالفضل والكرامة، وقد جعلني أرغب في دينك.

فحياه إبراهيم عليه السلام وقدم له فروض الاحترام والتبجيل، وواصل طريق الهجرة.

وقد انضم إلى ركبه مؤمن جديد، حيث كانت (هاجر) ابنة للملك (اخناتون) الموحّد.

وكانت قد وقعت في سبي الهكسوس عندما أغاروا على مصر..!

***

وسار إبراهيم عليه السلام ، حتى وصل إلى بيت المقدس، في أعلى الشامات، وهي منطقة (حبرون) آنذاك.

وكان قد خلّف لوطاً عليه السلام أدناها في قرية ظالمة يأتي أهلوها الفاحشة ما سبقهم بها من أحد من العالمين، وقيل بأنها سدوم.

وأمره أن يحذرهم وينذرهم بالهلاك إن لم يكفوا عن فعلهم الشنيع.

بينما استمر إبراهيم في دعوة الناس إلى الايمان بالله وتوحيده.

***

وتعاقب الزمان على إبراهيم عليه السلام ، وهو يعيش في فلسطين داعيا إلى الله وحده..

حتى صار شيخا وأتى عليه الكبر.

وكان الله تعالى لم يرزقه ذرية.

حيث كانت امرأته سارةُ عاقراً.

ومع رغبة إبراهيم عليه السلام في الولد، فانه لم يتزوج على سارة، إعظاماً لها وإكراماً، ومعرفة بحقها. وكانت سارة سيدة جليلة على قدر من الايمان كبير.

فشعرت بما يختلج في صدر إبراهيم عليه السلام وهي التي تدرك مكنونات قلبه الكبير.

فأتبعت سخاءها بسخاء عظيم جعلها تكبر أكثر فأكثر في عين إبراهيم عليه السلام.

إذ وهبته جاريتها هاجر، زوجة له عَلَّ الله تعالى يرزقه الولد منها.

فأكبر إبراهيم عليه السلام فعلها وهي ابنة خالته الوفية.

***

ولم تكد تمضي سوى شهور، حتى وهب الله تعالى ابناً لإبراهيم عليه السلام، وأمره بتسميته إسماعيل، وكان بكره من هاجر.

وعندئذ فقط تحققت دعوة إبراهيم عليه السلام عندما دعا ربه وهو في سبيل الخروج من بابل قائلاً: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّالِحِينَ﴾.

وفرحت سارةُ بفرح زوجها إبراهيم عليه السلام وقرّبت هاجر إليها، وغمرتها هي وولدها إسماعيل، بألوان العناية والعطف والرعاية.

ولم يكن لها ، وهي المؤمنة الصابرة الوفية الكريمة أن تحسد هاجر، أو تؤذي إبراهيم، أو أن تمزقها مشاعر الغيرة وهي السيدة الجليلة العظيمة.

بل إنها سألت إبراهيم عليه السلام أن يتوجه إلى الله بالدعاء، رجاء أن يرزقها الذرية هي الأخرى.

ولكن يبدو أن الغيرة كانت قد أخذت تشقُ طريقها إلى قلب سارة.

فعندئذ أمر الله إبراهيم عليه السلام أن يأخذ ابنه إسماعيل وزوجه هاجر، ويرحل بهما إلى مكان بعيد.

وكان هذا المكان واديا غير ذي زرع عند بيت الله المحرّم.

***

ولما أوحى الله سبحانه وتعالى إلى إبراهيم عليه السلام بأن يرحل مع زوجه هاجر وولده إسماعيل إلى بيته المحرّم.

فانه عليه السلام استعد للسفر، وخرج من (حبرون) قاصدا مكة المكرمة، حتى وافاها وعليه وعثاء السفر.

فوضع رحله محل البيت الحرام، وكان وادياً غير ذي زرع ولا ماء.

ولكن كانت فيه بعض الأشجار التي استظلوا تحتها.

وكان إسماعيل عليه السلام ما زال طفلاً صغيراً.

***

وعندما أراد إبراهيم العودة إلى الشام، والانصراف عن ذريته، فانه ألقى

عليهم نظرةً ملؤها الشفقة والعطف..

❁ وهو على وشك أن يتركهم وحدهم في موضع ليس فيه أنيس ولا ماء ولا زرع.

❁ وكان متيقناً أنه تعالى سيكفيهم، أليس الله بكاف عبده؟!

❁ فلما جهز رحله، واستعد للمسير، فانه عليه السلام التفت إلى زوجته هاجر، وولده إسماعيل، ثم توجه إلى الله تعالى بقلب سليم..

❁ وأخذ يدعو ويقول: ﴿**رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ**﴾.

***

❁ وبقيت هاجر وحدها مع طفلها الصغير.

❁ فلما ارتفع النهار، واشتدت حرارة الشمس، عطش إسماعيل عليه السلام وطلب الماء.

❁ فقامت هاجر تسير في الوادي في موضع المسعى، ونادت: (هل في الوادي من أنيس؟) .

❁ ولمّا لم يجبها أحد فانها صعدت على الصفا تبحث عن الماء.

❁ ولمع لها السراب في الوادي، فظنت أنه ماء. فنزلت في بطن الوادي وسعت.

وبلغت المسعى فغاب عنها إسماعيل.

ثم لمع لها السراب في موضع الصفا.

فهبطت إلى الوادي تطلب الماء.

فلما غاب عنها إسماعيل، عادت حتى بلغت الصفا.

فنظرت، حتى فعلت ذلك سبع مرات.

ولمّا تعثر على الماء..!

***

فلما كان الشوط السابع، وهي على المروة، نظرت إلى إسماعيل نظرة الأم الرؤوم.

فاذا بالماء يتفجر تحت قدميه..!

فدهشت هاجر لما أبصرت عينا ينبع منها الماء الزلال.

ولما كان الماء سائلاً، فانها جمعت حوله رملاً وزمّته حتى لا يتسرب في الوادي.

وأخذت تغرف من الماء وتطفئ ظمأ وليدها الصغير.

***

وعكفت الطيور والدواب على بئر زمزم ترتوي من مائها العذب الوفير.

وكانت قبيلة (جرهم) تنزل في عرفات.

فلما شاهدت مجمع الطيور، تابعت الأثر نحو مكة.

فوجدت سيدة وصبياً نازلين في ذلك الموضع يستظلان بشجرة، وقد ظهر لهما الماء.

فأقبل جمع من القبيلة، وقصدوا هاجر، وسألوها وهم في حيرة من الأمر.

وقالوا: من أنتِ؟ وما شأنك؟ وما هو شأن هذا الصبي..؟!

فأجابت: أنا أم ولد إبراهيم، خليل الرحمان، وهذا ابنُه.

فقالوا لها: أفتأذنين لنا أن نكون بالقرب منكم؟

فأذنت لهم .

فنزلوا بالقرب منهم، وأنست هاجر وإسماعيل بهم.

واستجاب الله دعاء خليله إبراهيم عليه السلام عندما ناجاه قائلاً: فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم.

***

وبلغ إسماعيلُ عليه السلام مبلغ الرجال.

وجاء إبراهيم عليه السلام ذات مرة ليزور زوجه وابنه.

فلما كان في مكة نزل عليه الوحي الإلهي: ﴿**وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**﴾.

وأمر اللهُ تعالى إبراهيم وإسماعيل عليه السلام ببناء الكعبة.

فجعلا يرفعان القواعد من البيت وهما يقولان:

﴿**رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾.

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

وعندما أقيمت قواعد البيت ورفعها إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام جعله الله مثابة للناس وأمنا.

ثم جاء النداء :

﴿وَاتَّخِذُواْ مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾.

***

وتواصلت رسالة الحج قادمة من السماء

فبعدما انتهى إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام من بناء البيت، جاء الوحي من جديد:

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾.

فباتت مكة المكرمة مهوى للقلوب ومنزلا للعاشقين الربانيين.

وهوت أفئدة من الناس إلى أهلها من آمن منهم بالله واليوم الآخر.

واكتملت المناسك..

وتقبل الله دعاء إبراهيم عليه السلام عندما سأله قائلاً:

﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً ءَامِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الأَخِرِ﴾.

***

❁ ومما ورد في الروايات بهذا الشأن أيضاً.

❁ أن الله تعالى عندما أمر إبراهيم ببناء البيت، لم يكن يدري في أية بقعة على وجه الدقة.

❁ فأوحى الله إليه، بأن ذلك يكون في البقعة التي أنزل الله فيها القبة على آدم عليه السلام فأضاء لها الحرم.

❁ فلم تزل القبة قائمة حتى كان طوفان نوح عليه السلام.

❁ فلما عم الطوفان الأرض رفع الله تلك القبة قبل أن تغرق.

❁ فسميت بالبيت العتيق.

❁ وعند رفع قواعد البيت من جديد

❁ كان إبراهيم وإسماعيل يأتيان بالأحجار من ذي طُوى، وقد حدد لهما جبرائيل عليه السلام مكان البناء.

❁ حتى أتما بناء الكعبة إلى تسعة أذرع

❁ ثم دل الله إبراهيم على موضع الحجر فاستخرجه، وأمره بوضعه في مكانه الذي هو فيه الآن.

❁ وكان الحجر الذي أنزله الله على آدم من الجنة أشد بياضا من الثلج، ثم

تغير لونه إلى السواد عندما مسّته أيادي الكفار والمشركين والخطاة.

ثم إذا اكتمل بناء البيت العتيق، وعلّم الله تعالى نبيه إبراهيم عليه السلام المناسك، وأمره بأن يؤذن في الناس بالحج، جاء وقت الابتلاء الكبير..!

***

فعندما انتهى إبراهيم بمعية ابنه إسماعيل عليه السلام من رفع قواعد البيت والإتيان بالمناسك وقد جعله الله للناس إماماً..

فانه ذات ليلة كان ينام ناعم البال مطمئن القلب شاكراً الله على نعمائه..

وإذا به يرى رؤيا في منامه عجيبة..!

***

فلقد أمر الله نبيه وخليله إبراهيم عليه السلام بذبح ولده الوحيد، اسماعيل..!

ولما كانت رؤيا الأنبياء صادقة، فان إبراهيم عليه السلام قام من نومه وقد عزم على إطاعة الأمر الالهي وذبح فلذة كبده.

إلا أنه راح يفكر في كيفية إخبار ولده بذلك.

ثم ماذا سيقول لأمه هاجر.. وكيف سيقع عليها هذا الخبر المؤلم..!

وأنار الله قلب خليله ونبيه، بأن دلَّه على الطريق..!

***

فذات صباح، وقد بلغ معه ولدهُ إسماعيل السعي..

قال له والده إبراهيم عليه السلام : يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك..!

❁ ولأنه كان حكيماً ورحيماً فقد قال لولده وكأنه يستشيره ويشركه في الأمر والقرار: فانظر ماذا ترى!

❁ وكان إسماعيل عليه السلام شاباً مؤمناً، ترعرع في كنف الرسالة، وفي ظلال النبوة، واغتسل قلبه الطاهر بشذى الوحي الإلهي.

❁ فقال لوالده وهو الابن المؤمن المطيع: يا أبتِ افعل ما تؤمر، ستجدني إن شاء الله من الصابرين..!

***

❁ وكانت كلمات إسماعيل عليه السلام ، المفعمة بالطاعة والرضوخ للأمر الإلهي، بلسماً لجراح إبراهيم الفاغرة.

❁ فاستسلما لأمر الله ورضيا به.

❁ وعزم إبراهيمُ عليه السلام على تنفيذ ما رآه في المنام.

❁ وعندئذ..!!

***

❁ عندئذ أقبل شيخ كبير، واقترب من إبراهيم عليه السلام ..

❁ وقال له: يا إبراهيم.. ماذا تريد من هذا الغلام؟!

❁ فأجابه إبراهيم عليه السلام : أريد أن أذبحه!

❁ فقال له: سبحان الله! أتذبح غلاما لم يعص الله طرفة عين؟!

❁ فأجابه إبراهيم عليه السلام قائلاً: إن الله أمرني بذلك.

❁ فاستدرك الشيخ قائلاً: إن الله ينهاك عن ذلك، وإنما أمرك به الشيطان!

❁ فصاح به إبراهيم عليه السلام وقد وقف على حقيقته: ويلك!، إن الذي بلّغني هذا المبلغ هو الذي أمرني به.

❁ فلم يدعه الشيخ، بل أخذ يلحّ عليه ويقول: يا إبراهيم، إنك إمام يُقتدى بك، وإنك إن ذبحته ذبح الناس أولادهم!

❁ فأعرض عنه إبراهيم عليه السلام ، وأخذ يعد العدة ويهيئ المكان لذبح ولده إسماعيل..! وإن هذا لهو البلاء العظيم..!

***

❁ وأضجع إبراهيم عليه السلام ولده إسماعيل عليه السلام وتلّه للجبين.

❁ وأخرج المُدية..!

❁ فقال له ابنه إسماعيل عليه السلام : يا أبت اشدد رباطي ووثاقي حتى لا أضطرب.

❁ واكفف عني ثيابك، حتى لا ينتضح من دمي شيء، فتراه أمي، .. فتشتدَّ مصيبتها ويزداد حزنها..

❁ واشحذ شفرتك..

❁ وأسرع من السكين على رقبتي ليكون أهون عليّ، فان الموت شديد..!

***

❁ فرقّ إبراهيم عليه السلام لولده، وأكبره، وقال له بلسان الوالد المبتلى: نعم

العون أنت يا بنيّ على أمر الله!

وأخذ إبراهيم عليه السلام المدية ووضعها على قفا ولده إسماعيل عليه السلام ، وقد كان ساجداً..

فقال له الذبيح: ألا تشدّ وثاقي يا أبتاه؟!

فأجابه خليل الرحمان عليه السلام : كلا يا بنيّ، لا أجمعُ عليك الوثاقَ والذَبح!

***

وذكر إبراهيم عليه السلام اسم الله على ذبيحته!

وجرّ المدية على رقبة إسماعيل عليه السلام ..!

وقد رفع خليل الرحمان رأسه إلى السماء، وهو يقول: (اللهم تقبل منا هذا القليل) .

فلما جرّ المدية المشحوذة على رقبة الذبيح المستسلم لأمر الله..

فاذا بالمدية تنقلب على الجهة الأخرى!

فنظر إبراهيم عليه السلام ..

فرأى جبرائيل عليه السلام ظاهرا أمامه وقد أبعدَ إسماعيل عليه السلام من تحت المدية ووضع كبشاً مكانه..!

وعندئذ جاء النداءُ من ميسرة مسجد الخيف:

﴿أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾

***

وأمر اللهُ تعالى خليله إبراهيم عليه السلام ، بأن يذبح الكبش العظيم فداء لولده إسماعيل عليه السلام .

وكان الكبش ذبحاً عظيماً قيل بأنه رتع في رياض الجنة أربعين عاماً، ثم أنزله الله فدية لإسماعيل عليه السلام.

وقيل بأنه كان ذلك الكبش الذي تقبله اللهُ تعالى من هابيل، عندما قربه، قرُباناً.

بل وقيل في أمر الذبح غير ذلك.

فماذا قيل يا صديقي؟

***

قيل نقلاً عن الإمام الرضا عليه السلام أن الله تعالى لما أمر إبراهيم عليه السلام بذبح الكبش الذي أنزله عليه مكان ابنه اسماعيل، فانه عليه السلام تمنى أن يكون قد ذبح ابنه اسماعيل وأنه لم يؤمر بذبح ذلك الكبش مكانه!

يا لها من خلةٍ، يا صديقي، ولكن لماذا؟ وهل يتمنى إنسان ذبح ولده؟!

كلا ، ولكن ليرجع إلى قلبه مايرجع إلى قلب الوالد الذي يذبح اعزّ ولده بيده !

وما حكمة ذلك؟

حكمته أن يستحق أرفع درجات أهل الثواب على المصائب!

فياله من عزم صادق، وبلاء مُبين، استحق عليه إبراهيم عليه السلام ، أن يكون

للناس إماماً..!

❁ نعم، يا عزيزي، بل إنه قيل في الذبيح أيضاً كلام آخر..!

❁ كلام آخر..؟! فما هو؟

***

❁ زعمت طائفة أن الذبيح هو إسحاق وليس اسماعيل عليهما السلام!

❁ وما دليلهم على ذلك؟

❁ استدلوا بقوله تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

❁ ولكن، ما وجه الدلالة في ذلك على أنه هو الذبيح؟

❁ قالوا: أي بشرناه بنبوة إسحاق وصبره على الذبح.

❁ ولكنه بعيد، يا صديقي، والسياق لا يساعد عليه.

❁ نعم .. هذا صحيح.

❁ فكيف ردوا على هذه الطائفة؟

❁ ردوا بقول الرسول صلى الله عليه وآله : أنا ابن الذبيحين، أي إسماعيل وعبد الله. ثم إن إسحاق عليه السلام لم يولد إلا بعد إسماعيل عليه السلام حيث بشر الله به إبراهيم عليه السلام بعد حادثة الذبح كما هو ظاهر من سياق آيات القرآن الكريم.

❁ أحسنت، يا أخي، فلعل هذا الزعم، ورد أيضاً عن طريق الإسرائيليات!

❁ وعسى أن يكون كذلك، فهل تركت الإسرائيليات أمراً إلا وزجّت بأنفها فيه!!

ورغم ذلك يصدّقها البعض ..!

***

ولما عاد إبراهيم عليه السلام إلى الشام مرة أخرى استقبلته سارةُ بلهفة شديدة حيث كانت قد بقيت فترة طويلة وحيدة بدونه.

فبينما كان إبراهيم عليه السلام ، يقصّ عليها بعض ما حدث عند بيت الله الحرام..

إذا بنفر يمرون به ويلقون عليه السلام.

فرد عليهم السلام، واستضافهم.

ولما رأى منهم هيئة حسنة وتوسم فيهم فضلاً، فانه أبى إلا خدمتهم بنفسه.

وكان خليل الرحمان صاحب ضيافة.

فما لبث إن جاء بعجل سمين حنيذ.

ولكنه عندما قربه إليهم ووضعه بين أيديهم

رأى أيديهم لا تصل إليه.

فنكرهم، وأوجس منهم خيفة..!

***

وكان سبب خوف إبراهيم عليه السلام من ضيفه

إنهم كانوا في ذلك الزمان، إذا همّ أحدُهم بامرئ سوءاً لم يأكل عنده.

❁ يقول: إذا أكرمت بطعامه، حُرم عليّ أذاه

❁ فخاف إبراهيم أن يريدوا به سوءاً

❁ فاضطربت مفاصله

❁ وكانت امرأته سارة، قائمة تخدِمُهم

❁ فضحكت، وقالت لزوجها إبراهيم عليه السلام: ولماذا تخافُ يا إبراهيم؟! وأنت هنا ومعك أهلك وغلمانك..!

***

❁ وعندئذ، حسر جبرائيل عليه السلام العمامة عن وجهه حيث كانوا ملائكة ومنهم جبرائيل عليه السلام

❁ فعرفه إبراهيم عليه السلام.

❁ فقال جبرائيل لسارة: أيتها الضاحكة، أما أنك ستلدين غلاما يقال له إسحاق، ومن ورائه غلام يقال له يعقوب.

❁ فارتاعت سارة، وأقبلت وقد صكّت وجهها.

❁ وقالت: ﴿ءَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَـٰذَا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هَـٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾!

❁ فقالوا لها: ﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾.

***

فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى، وقد تعرف على الملائكة المقربين.

فانه عليه السلام خاطبهم قائلاً: ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾؟

﴿قَالُواْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾.

فسألهم: ومن هؤلاء؟

فقالوا: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾

فأخذ إبراهيم يجادلهم في قوم لوط

فقال لهم: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطاً﴾

فأجابوه: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَابِرِينَ﴾.

ولأن إبراهيم عليه السلام كان حليما أوّاهاً مُنيباً، فانه مازال يجادلهم في قوم لوط.

وما زالوا هم يقولون ﴿إِنَّا مُهْلِكواْ أَهْلِ هَذِهِ ٱلْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَالِمِينَ﴾.

ولم يقطع إبراهيم جدالهم إلا أن قالوا له:

﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾..!!

***

ونفذ أمرُ الله تعالى في قوم لوط

بينما استمر إبراهيم عليه السلام يحمل أعباء الرسالة ويدعو إلى التوحيد ويبلغ الوحي إلى العباد.

حتى كان ذات يوم..!

***

فذات يوم، عاد إبراهيم عليه السلام إلى داره..

فوجد بها رجلا حسن الصورة على هيئة جميلة ما رآها من قبل.

فقال له: من أنت يا هذا؟ وما خطبك؟

فأجابه: أنا ملك الموت!

فقال إبراهيم عليه السلام : سبحان الله! ومن الذي يكره زيارتك وأنت بهذه الصورة؟

فقال له: يا خليل الرحمن، إن الله تبارك وتعالى إذا أراد بعبد خيراً بعثني إليه في هذه الصورة، وإذا أراد بعبد شراً بعثني إليه في غير هذه الصورة!

فسأله إبراهيم عليه السلام : أداعٍ إذا أم ناعٍ؟

فقال ملك الموت عليه السلام : بل ناعٍ يا إبراهيم، فأجب!

***

وكان خليلُ الرحمان مُتشوقا إلى لقاء خليله.

ولكنه قال لملك الموت: فهل رأيت خليلاً يميت خليله؟

❁ فرجع ملك الموت حتى وقف بين يدي الله جلَّ جلالُه.

❁ فقال: إلهي، قد سمعت بما قال خليلك إبراهيم..!

❁ فقال اللهُ جل جلاله: يا ملكَ الموت، اذهب إليه وقل له: وهل رأيت حبيباً يكره لقاء حبيبه؟

❁ فعندئذ.. لبّى إبراهيم عليه السلام فقبض بالشام.

***

❁ سلام عليكم أهل البيت، إنه حميد مجيد، ولكن أما تحدثنا يا صديقي، عن صحف إبراهيم عليه السلام التي ورد ذكرها في القرآن؟!

❁ نعم، يا عزيزي، فقد ورد في بعض الروايات أن صحف إبراهيم عليه السلام كانت أمثالاً كلها.

❁ فهل أوردت هذه الروايات ما جاء فيها؟

❁ نعم بعضاً من ذلك!

❁ فهلا قرأت شيئاً منه؟!

❁ بل تعال لنقرأه معا.. يا عزيزي!

***

❁ أيها الملك المبتلى المغرور

❁ إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها إلى بعض

❁ ولكن بعثتك لترد عني دعوة المظلوم

فاني لا أردها، وإن كانت من كافر!

***

وعلى العاقل، مالم يكن معتلا، أن يكون له ثلاثُ ساعات

ساعة يناجي فيها ربه عز وجل

وساعة يحاسب فيها نفسه

وساعةُ يخلو فيها بحظ نفسه من الحلال..

فان هذه الساعة عون لتلك الساعات.

***

وعلى العاقل أن يكون طالبا لثلاث:

مرمّةٌ لمعاش

أو تزود لمعاد

أو تلذذ في غير محرَّم.

***

وأسرعَ الحبيبُ إلى لقاءِ حبيبه

فلم يكن قد بقي له من أمل سوى ذلك اللقاء بعد أن أراه ملكوت السموات والأرض، وأحيا له الموتى، وجعل النار عليه بردا وسلاماً، وابتلاه بكلمات فأتمهن..

وجعله للناس إماماً..!

❁ وعندما كان رسول الاسلام محمدﷺ في معراجه

❁ فانه مرَّ على شيخٍ جالسٍ تحتَ شجرة، وحوله أطفال..

❁ فقال رسول اللهﷺ : من هذا الشيخ يا جبرائيل؟

❁ فقال: هذا أبوُك إبراهيم!

❁ قال: فمن هؤلاء الأطفال حوله؟

❁ فقال هؤلاء أطفال المؤمنين حوله يُغذّيهم!

❁ فياله من كريم في الأرض وكريم في السماء.!!

# أخرِجوا آل لوط من قريتكم

❁ كان لوط بن هاران بن تارخ من أقارب إبراهيم الخليل عليه السلام.

❁ فقد قيل بأنه ابنُ أخيه.

❁ وقيل بأنه كان ابن خالته، وإن سارة زوجة إبراهيم كانت أخته.

❁ وكان لوط عليه السلام ، من كلدان في أرض بابل، ومن السابقين الأولين ممن آمن بإبراهيم عليه السلام.

❁ فنجاه الله مع إبراهيم عليه السلام إلى الأرض المقدسة، إلى فلسطين.

❁ فنزل في بعض قراها وتُدعى سَدوم

❁ وتزوج لوط عليه السلام من أهل هذه القرية، واستقر بها.

❁ وراح يزاول حياته.

***

❁ وكان أهل هذه القرية وما حولها يعبدون الأصنام.

❁ وقيل بأنها هي التي سماها الله تعالى في القرآن الكريم باسم المؤتفكات.

❁ ويُروى أنهم كانوا أشحاء على الطعام

❁ وسبب ذلك أن قراهم كانت على طريق السيارة

❁ فكانوا ينزلون عندهم فيضيفونهم

❁ فلما كثر ذلك عليهم ضاقوا به ذرعا بخلاً ولؤماً

❁ ففكروا في حيلة يتخلصون بها من الضيوف السيارة.

❁ وكان إبليس خير معين لهم في اكتشاف هذه الحيلة الرهيبة!

***

❁ وكانت حيلة قوم (لوط) الشيطانية، لدفع الضيوف عنهم بخلاً وشحاً، أنهم كانوا إذا نزل بهم الضيفُ، فضحوه من غير شهوة بهم.

❁ فشاع أمرهم في القرى والبلاد حتى أخذ المارة يتحاشون الاقتراب منها.

❁ وبذلك تخلصّوا من الضيوف..!

❁ ولكن الداء الوبيل كان قد تمكن منهم.

❁ حتى أنه فشا بينهم، فكانوا يأتون في واديهم المنكر والفاحشة بلا مُبالاة.

❁ وكان داؤهم أنهم يأتون الرجال شهوة من دون النساء!

❁ وعندما كانت تضيق عليهم الأمور، فإنهم كانوا يخرجون إلى الطرق القريبة والبعيدة، فيقطعون السبيل ويغتصبون السيارة.

❁ ووصل الحال بهم إلى أنهم لا يستطيعون دفع هذا البلاء عن أنفسهم.

❁ لدرجة أنهم صاروا يطلبونه من الرجال، ويعطونهم عليه الجعلَ والمال..!

***

❁ ومع تفاقم الأمور وتدهور الأوضاع..

❁ فان الله تعالى أرسل إليهم نبيه لوطاً عليه السلام.

❁ فذهب إليهم لوط عليه السلام وقال لهم مستنكراً فعالهم: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَالَمِينَ﴾..؟!

❁ ولامهم على هذا المنكر محذرا: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾.

❁ فسخروا منه، واستهزأوا به، وصموا آذانهم عن سماع القول الحق، وهددوه بالرجم!

❁ ولم يكن في تلك البلاد كلها سوى بيت واحد من المؤمنين.

❁ فتآمر قوم لوط على نبي الله وعلى المؤمنين وقالوا: ﴿أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾!

❁ بل إنهم هدَّدوا نبيهم قائلين: لئن لم تنته، يا لوط، لتكونن من المخرجين!

***

❁ ولكنّ لوطاً عليه السلام لم يأبه بتهديدهم، فاستمر يدعوهم إلى سبيل الله وملازمة سنّة الفطرة وترك الفحشاء، ولبث في دعوتهم ثلاثين عاما.

❁ بينما هم يصرون على عمل الخبائث، حتى استقر بهم الطغيان، وفشت بينهم الفحشاء.

❁ حيث ازدادت الأحوال سوءاً، فاكتفى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء!!

❁ وبذلك استوجبوا غضب الجبار، فحق عليهم العذاب الأليم..!

***

وفي يوم من الأيام، كان لوط عليه السلام في حقله يسقي زرعه.

فمرّ به أربعة نفر، بدا أنهم غُرباء

وسلّموا على لوط عليه السلام فرد عليهم السلام.

ولكنّ لوطاً عليه السلام أجفل عندما طلبوا منه الضيافة

ولما كان لوط عليه السلام رجلاً سخياً وكريما ونبيلاً، فانه لم يشأ أن يبخل عليهم بضيافته.

غير أنه كان يخشى قومه على ضيفه.

فقال للرجال الأربعة: إن أهل هذه القرية قوم سوء، لعنهم الله، فهم ينكحون الرجال، ويسلبون الأموال!

فقالوا: لقد أبطأْنا، فضيِّفْنا..!

وأمام هذا الإصرار، فان لوطاً سيء بهم، وضاق بهم ذرعاً، وقال هذا يومٌ عصيب!

***

وعاد لوط عليه السلام بضيوفه إلى داره في تلك القرية الظالمة.

وطلب من زوجته أن تُعدّ لهم طعاماً، وناشدها كتمان أمرهم.

ولكنَّ خبرَ الرجال، كان قد طار في القرية.

فجاء قومُ لوط يُهرعون إليه.

❁ فاصطفوا على الباب، وقالوا: يا لوط، ﴿أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَالَمِينَ﴾؟!

❁ وطلبوا منه أن يتخلى عن ضيوفه ويُسْلمهم إليهم ليقضوا منهم وطرهم!

❁ فامتنع لوط عليه السلام، وقال لهم: ﴿يَا قَوْمِ هَـٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾!

❁ فقال قومُه: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾!

❁ فما زال لوط عليه السلام يرفض طلبهم ويذب عن ضيفه.

❁ فحطموا باب داره وهاجموه وراودوه عن ضيفه!

❁ ولم تكن للوطٍ عليه السلام عشيرةٌ يمتنع بها أو عصبة تصدهم عنه.

❁ فقال لهم متحسراً وقد يئس منهم: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾!!

❁ ولكنهم تدافعوا نحوه، وطرحوه أرضاً..!

***

❁ وفي تلك اللحظة الحاسمة..

❁ خاطب الضيوفُ لوطاً عليه السلام وقالوا: ﴿يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُواْ إِلَيْكَ﴾.

❁ فقذفهم جبرائيل عليه السلام بكف من البطحاء، وضرب بها وجوههم، فشاهت

وجوههم، وطُمست عيونهم!

❁ فخرجوا يتخبطون، وقد ولّوا الأدبار!

***

❁ وأخبر الملائكة لوطاً عليه السلام بأنهم قادمون لعذاب قومه الذي كثيرا ما استعجلوه به، وإنه لعذاب غير مردود.

❁ وتحقق لوط عليه السلام مِن مَوعده..

❁ فقالوا: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾!

❁ ثم قالوا للوط عليه السلام : ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾.

❁ وأخبروه بأنهم سيهلكون القوم مصبحين!

***

❁ وخرج لوط عليه السلام بمن كان في القرية من المؤمنين.

❁ ولم يكونوا سوى بيت واحد..

❁ واقترب الوعدُ الحق، وأصبح الصباح.

❁ وجاء أمر الله.

❁ فجعل عاليها سافلها..

❁ وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود،

❁ ﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾.

❁ ﴿فَـٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾!

❁ ﴿وَلُوطاً ءَاتَيْنَاهُ حُكماً وَعِلْماً وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعْمَـلُ ٱلْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ﴾.

❁ ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ ٱلصَّالِحِينَ﴾.

## اقتلوا يوسف..

❁ أزهر نور الصباح على أرض كنعان..

❁ وكان نبي الله يعقوب عليه السلام ما زال راكعاً ساجداً في خلواته، يناجي المولى سبحانه وتعالى.

❁ وعندئذ، استأذنه في الدخول ابنه يوسف، وكان صبياً صغيرا دون العاشرة.

❁ وكان يوسفُ من أصبح الناس وجها..

❁ حتى يروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: أُعطي يوسف شطرَ الحسن، والنصف الآخر لباقي الناس..!

***

❁ وكان يعقوب عليه السلام يحب يوسف حباً شديداً، ويؤثره على باقي أولاده.

❁ فلما دخل عليه في خلوته في ذلك الوقت من الصباح الباكر، رقّ له، واستقبله ببشاشة.

❁ ونظر يعقوب عليه السلام إلى وجه يوسف الجميل، فوجده يفيض بهاءاً، ورواءاً ، وبراءة..

❁ فتبسم بحنان، وضمه إلى صدره، وهو يشكر الله على فيض نعمه الباهرة.

ورأى يعقوبُ عليه السلام أنّ وجه صغيره الجميل يوسف، يتلألأ بشرا وفرحاً وبهجة.

مما زاده إشراقا وحسنا..

فسأله عن خبره، وهو لا يرجو إلا أن يسمع خيراً..

فكان ما تأمله نبي الله يعقوب عليه السلام.

***

واتخذ يوسف موضعاً أمام والده النبي.

وطأطأ رأسه توقيراً لأبيه الشيخ.

ثم قال يوسفُ لأبيه: ﴿**يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ**﴾.

وشعر يعقوب عليه السلام بعظم شأن ابنه يوسف وتبدّت أمام بصيرته آفاق هذه الرؤيا المبهرة .

ولأنه كان طبينا بالأمور، فقد حذر ابنه بلغة الوالد المشفق الحنون : وقال: ﴿**يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾

وأضفى يعقوب عليه السلام على محبوبه الصغير قبسا من ألق نبوته..

فقال له وقد أدرك فحوى رسالة السماء: ﴿**وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ**

**يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.**

***

❁ ووجد إخوة يوسف، وكانوا أحد عشر، أنّ أباهم يؤثر يوسف عليهم فحسدوه.

❁ وقالوا فيما بينهم: ﴿**لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ**﴾!

❁ إذ كان يعقوب عليه السلام يكنُّ حُبّاً لولدٍ صغير آخر له يُسمى بنيامين.

❁ وثارت حفيظتهم على أبيهم.. واستشاطوا غضباً وحنقاً..

❁ حتى قالوا: ﴿**إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾!!

***

❁ وتواعد الأخوة الأحد عشر على اللقاء ذات ليلة ليلاء..

❁ واجتمعوا تحت جنح الظلام.

❁ وراحوا يتداولون أمر أخيهم الصغير..

❁ ويجهدون فكرهم للتوصل إلى خطة لتصفيتهِ والتخلص منه..!

❁ فلما قلبوا الأمور على وجوهها وقد عجزوا عن العثور على تدبير محكم..

❁ صاح كبيرهم مُحنقاً وقد أعيتهم الحيلة..

وقال منهيا النقاش: ﴿ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ﴾..!

***

ونظر أبناء يعقوب عليه السلام أحدهم إلى الآخر ..!

وكأنهم يُنكرون على أنفسهم قتل أخٍ صغير لهم بلا ذنب ارتكبه ، سوى حسنه ، وحبّ أبيه له ..!

ولكن الحسد كان يؤجج ناره في صدورهم..

فلا يجدون حلًا إلا قتله والخلاص منه .

وظلت الأفكار والمشاعر والأضغان والضمائر تتجاذبهم جميعا وتتعاقب عليهم أحدها بعد الآخر..

بينما هم لا يكادون يصلون إلى نتيجة حاسمة، فيحزمون أمرهم، وقد أعياهم التدبير..!

***

وكأن مشاعر الأخوّة وجدت طريقها شيئا ما إلى قلوبهم..

فقال أحدهم بلهجة أكثر حناناً وشفقة: ﴿ٱطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِينَ﴾..!

واستقبل إخوة يوسف هذا التدبير الجديد بشيء من الارتياح.

ووجدوا أن إبعاد يوسف عنهم ونفيه عن أبيه أقل وطأة من قتله..

ولكنهم اختلفوا في كيفية طرح يوسف أرضا، وكيف سيخلو لهم وجه

أبيهم بعد هذا العمل المشين الذي سيحنق عليهم أباهم الذي عساه يكتشف أمرهم..!

❁ بل كيف سيكونون من بعده قوماً صالحين، وقد نفوا أخاً صغيراً بريئاً لهم، وخدعوا أباً نبياً لهم بما عنده من حُظوةٍ في السماء؟!

❁ فعادوا، إلى تدبّر أمرهم من جديد!!

***

❁ وكان بنيامين شقيق يوسف من أمه راحيل.

❁ وكان أيضا محسوداً من إخوته لشدة حُب أبيهِ له.

❁ سوى أنه كان داخلاً في زمرتهم لأمر يعلمه الله تعالى..

❁ فلربما كان خائفاً على نفسه منهم.

❁ ولربما ادخره الله لهذا الموقف من أجل نجاة أخيه يوسف من القتل..!

❁ إذ مالبث أن قال: يا إخوتاه! ﴿**لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ**﴾!!

***

❁ ويبدو أن هذا الحل راق لإخوة يوسف..

❁ فرجحوه على القتل أو الطرح أرضا..

❁ وقدّروا أن فيه خلاصهم من يوسف إلى أبد الآبدين.

❁ وكان أمراً دُبر بليل..

❁ فتعاهدوا على كتمانه..!

❁ وأعطى كل منهم موثقاً على ألاَّ يشي الواحد بالآخر طمعاً في نيل حب أبيهم.

❁ وكأنهم كانوا واثقين بأنهم لن ينالوا ذلك الحب من أبيهم إلا إذا خلا لهم وجهه.!!

❁ وأن ذلك لن يكون إلا بالتخلص من يوسف أيّاً كان الأمر..!

❁ ولكنْ أنَّى لهم بيوسف، وأبوه لا يكاد يغفل عنه طرفة عين، ولا يفرط فيه أبدا؟!

***

❁ ففكروا في حيلة.

❁ وكانت من تدبير إبليس..!

❁ فغدوا إلى أبيهم، وقالوا له متوسلين:

﴿**يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ**﴾؟ فنحن لا نريد به إلا الخير، ولا نبتغي إلا ما يسرّه ويرضيه.!

❁ ثم أردفوا مستعطفين أباهم، بما فيه إيثار للرحمة والمودة:

❁ ﴿**أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾.

❁ فأجابهم أبوهم، دون أن ينفي عن نفسه أنه لا يأمنهم عليه، وقال: ﴿**إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُواْ بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ**﴾.

ولكنهم تجاهلوا ما قال أبوهم بعد أن كانوا قد مكروا به، وقالوا وكأنهم يطمئنونه:

﴿لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذاً لَّخَاسِرُونَ﴾!

***

ولكن حذر يعقوب على حبيبه يوسف لم يدفع عنه البلاء.

فغلبت قدرة الله وقضاؤه، ودفع بيوسف إلى إخوته وهو لذلك كارهٌ ومتوقعٌ البلاء من الله فيه.

وحانت لحظة الفراق.

فجاءوا وأخذوا يوسف من أبيهم، وهم لا يكفون عن إظهار المودة والشفقة، وإبداء الطمأنينة بأنهم عصبة أقوياء.

ولكنهم مالبثوا أن ابتعدوا بأخيهم حتى وجدوا أباهم يعقوب في الأثر وقد لحقهم مسرعاً.

فانتزع يوسف من أيديهم، وضمه إليه، واعتنقه، وبكى، ثم دفعه إليهم من جديد.

فانطلقوا به مسرعين مخافة أن ينتزعه منهم مرة أخرى ولا يخلي بينهم وبينه.

بينما عاد يعقوب عليه السلام والحزنُ يعتصر قلْبَه..!

***

وظل إخوة يوسف يمعنون بالذهاب به في الصحراء والبراري.

حتى بلغوا غيضة من الأشجار.

وكأنهم تناسوا ما تعاهدوا عليه، وأرادوا التخلص من أخيهم في الحين واللحظة.

فتهامسوا فيما بينهم وقد اختلوا بعيدا وقالوا: دعونا نذبحه ونُلقه تحت إحدى هذه الأشجار، فيأكله الذئبُ الليلة..!

فاستنكر أحدهم منهم ذلك وذكرهم بالأتفاق.

وقال لهم من جديد: ﴿**لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كنتُمْ فَاعِلِينَ**﴾.

فانطلقوا به إلى الجب!!

***

فلما ذهبوا به، وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب.

فانهم أدلوا به في تلك البئر، وهم يظنون أنه يغرق فيها قبل أن تصل إليه أيدي السيارة.

فلما صار يوسف عليه السلام إلى قعر البئر أوحى الله إليه ﴿**لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ**﴾.

وعندئذ ناداهم يوسف عليه السلام من قعر الجب.

وقال لهم: اقرئوا يعقوب مني السلام..!

فلما سمعوا كلامه، قال بعضهم لبعض في توجس:

لا نغادرُ هذا المكان حتى نعلم أنه قد مات!

ولبثوا على مقربة منه سحابة النهار.

فلما أوشك الليلُ على المجيء، ويئسوا من يوسف، فانهم هموا بالعودة مع حلول الظلام، وتركوا يوسف لمصيره المحتوم!

***

وقبل الرجوع والدخول على أبيهم يعقوب.

أخرج الأخوة قميص يوسف وعليه دم كذب لطخوه به.

وكانوا قد جردوا يوسف من قميصه لما هموا بإلقائه في الجب.

فقال لهم مستعطفا متعجباً: يا إخوتي أتجردوني من قميصي.؟!

فسلّ أحدهم السكين عليه، وقال: لئن لم تنزعه لأقتلنك!!

فنزعه، وألقوه في الجب، وتنحوا عنه.

ثم ذبحوا جدياً، وعمدوا إلى القميص فلطخوه بدمه.. فيالها من حيلة ساذجة!..

***

وكان الوقت عشاءاً..

فدخل إخوة يوسف على أبيهم وهم يبكون!

فسألهم يعقوب عليه السلام عما يُبكيهم..

فأجابوا: يا أبانا. ﴿يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾.

وكأنهم كانوا يعلمون أن حيلتهم لن تنطلي على أبيهم.

فاستدركوا بالقول: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾.

وأبرزوا له قميص يوسُفَ ملطخاً بالدم.!

فعجب يعقوب عليه السلام من هذا الذئب الذي كان رحيما بقميص يوسف دون لحمه..!

وأجابهم مستنكراً: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾!

وكان يعقوب النبي عليه السلام يعلم من علم الله أن الله تعالى ما كان ليطعم الذئب لحم يوسف قبل أن يرى تأويل رؤياه الصادقة..!

***

وأناخ الليل بكلاكله على أرض كنعان.

وبات إخوة يوسف في تلك الليلة، وقد قضّت الهواجس مضاجعهم.

بينما كان يوسف عليه السلام في قاع البئر، وقد جلس بجواره جبرائيل عليه السلام، وهو يقول له: أتحب أن تخرج؟!

فأجابه يوسف عليه السلام : ذاك إلى إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب.

فقاله له جبرائيل عليه السلام: فان إله إبراهيم يقول لك قل:

(اللهم إني أسألك بأن لك الحمد كله لا إله إلا أنت الحنان المنان بديع السماوات والأرض ذو الجلال والاكرام، صل على محمد وآل محمد، واجعل لي من أمري فرجا ومخرجا، وارزقني من حيث لا أحتسب) !.

وكانت الأنوار القدسية تتلألأ في غيابة الجب، ويوسف عليه السلام يُسبح باسم رب السماء والأرضين..!

***

وأصبح الصباح.

فاجتمع إخوة يوسف، وقالوا فيما بينهم:

انطلقوا بنا حتى ننظر ما حال يوسف، أمات هو أم حي؟!

فركبوا، وأسرعوا في طريقهم إلى الجب، وهم يتناجون في أمر أخيهم، ويفكرون له في حيلة أخرى فيما لو كان ما زال حياً..!

وعندما أشرفوا على المكان..!

شاهدوا جماعة من الناس عند الجب..!

فالتفت أحدهم إلى الآخر..

واتجهوا نحو الجُبِ مُسرعين متعجلين!!

***

وعندما انتهوا إليه، وجدوا عنده سيارةً قد أرسلوا واردهم فأدلى دلوه.

فلما جذب دلوه، إذا هو بغلام متعلق بالدلو ، فنادى أصحابه قائلاً: يا

بُشرى، هذا غلام..!

ولما أخرجوه من البئر أقبل إليهم إخوة يوسف وقالوا:

هذا عبد لنا سقط منا أمس في هذا الجب، وجئنا اليوم لنخرجه.

فانتزعوه منهم، وتنحوا به ناحية، وقد دبروا حيلة جديدة..!

***

وأمسك به أحدهم، وقال له مُهدِّدًا:

يا يوسف: إما أن تقرّ لنا بالعبودية أمام هذه السيارة فنبيعك لهم، أو نقتلك!

ووجد يوسف عليه السلام نفسه أمام خيارين عسيرين، وقد اشتد به الأمر.

فقال: لا تقتلوني يا إخوتي، وافعلوا بي ما شئتم!

فعادوا به إلى السيارة!

***

وقالوا للسيارة: من يشتري هذا العبد؟

فأبدى أحدُهم رغبة في شرائه.

وظل إخوة يوسف يساومون عليه، حتى باعوه بثمن بخس دراهم معدودة.

﴿وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾!

***

وسارت السيارة بيوسف عليه السلام إلى مصر.

وعرضوه للبيع.

فاشتراه عزيز مصر لما شاهد في وجهه من آثار النبل والجلال والجمال.

وقال العزيزُ لأمرأتِه:

﴿أَكرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً﴾.

***

وكان هذا أول ما ظهر من لطف الله وعنايته بيوسف عليه السلام.

فبينما أراد إخوته أن يتخلصوا منه ليخلو لهم وجه أبيهم..

فان أباهم يعقوب عليه السلام، اشتد حبُه لحبيبه وأثيره يوسف، وأشاح بوجهه عنهم.

ومع أنهم أرادوا حرمانه من كرامة الحياة.

فان الله سبحانه وتعالى منَّ عليه بالحياة الكريمة، وأبدله عن حياة الصحراء والخيام بحياة الحضر والقصور.

وبينما أرادوا أن يحطوا من قدره بالعبودية.

فان الله سبحانه وتعالى فضَّله وكرَّمه وأعزه ورفع من قدره ومكانته

وهكذا هو صنع الله العادل الحكيم..!

﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾..

﴿ءَاتَيْنَاهُ حُكماً وَعِلْماً﴾..

﴿وَكذَ لِك نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

فعاش يوسفُ عليه السلام في بيت عزيز مصر، وهو يكبر، وتزكو نفسه، ويصفو قلبه، ويشتغل بربه.

حتى تولّه في حبه، وأخلص له، فصار لاهمّ له إلا فيه

فاجتباه اللهُ تعالى، وأخلصه لنفسه، وتولاه بعنايته ولطفه وفضله.

لكن لا حب بلا نصب وعناء..!!

***

فمع مرور الأيام.

كان يوسف عليه السلام يزداد حُسناً وبهاءً، ويزدادُ أيضاً ورعاً وتقوى، وإخلاصاً للمحبوب الذي لا محبوب سواه.

بينما كانت امرأة العزيز تراقبه عن قرب

فما كان من أمرها إلا أن عشَقْتُه حتى شغفها حُبّا..!

ولكنها كانت تخفي مشاعرها، وتعالج وَلَهَ قلبها، خوفاً من أن تُفتضح فيه.

فلكل بيئةٍ تقاليدُها.

وتقاليد القصور تقضي بسيادتها وعبودية يوسف.

بينما اقتضت تقاليد الحب أن يكون يوسف مليكها والحاكم على فؤادها..!

وظلت الأيام تتوالى

حتى لم يَعُدْ بمقدور إمرأة العزيز كبح جماح مشاعرها الفيّاضة، وإطفاء لهب عواطفها الحارقة..!

واستبدت بها رغبة الوصال..

وكيف لا .. وهي السيدة المهيبة التي تأمر فتُطاع..؟!

***

وتلاعبت النسائم العليلة بأوراق الأشجار الخضراء ذات عصر من أيام الصيف، في قصر العزيز، المتراقص على ضفاف النيل.

فالتهبت النيران بين جوانح المرأة العاشقة.

فدعت إليها المحبوب باشارةٍ من إصبعها

وهي لا تدري بأنه لا عبودية في الحب!

**﴿وَرَاوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ﴾**..!

**﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَابَ﴾**..

وقالت **﴿هَيْتَ لَك﴾**..!

ووقف يوسف أمام الأمتحان العصيب.

ويا له من ابتلاء!

وهل الابتلاء بالحب إلا أشد وأقسى من الأبتلاء بالموت!!

***

ودعته امرأة العزيز إلى نفسها..!

بينما كان عطرها يعبق خلف الأبواب المغلقة.

وكان كلُ شي مُعدّاً في انتظار اللحظة الحاسمة التي طالما انتظرتها بشوق وحرارة!

فاقتربت منه..!

وابتعد عنها..!

وتمايلت في خفة ودلال..!

فهرب منها..!

وظنت المرأة اللعوب أن فتاها يلاطفها..!

فأمعنت في الجاذبية والإغراء!

وداعبت نسائم الشمال الستائر المغلقة..

بينما أمواج النهر الساحر تعزفُ ألحانها العذبة، بين الشاطئين الزاهرين.

واختلط النسيم بالشذى.

مع رذاذٍ من الماء المنبعث من أمواج النيل.

فأمتلأ المكان بالسحر والنشوة والأريج..

وكانت العاشقة تترقبُ جواب المعشوق..

ونفسها الأمّارة تمنيها وتسول لها، وتقرّب لها البعيد، وتُغريها بالخيال المستحيل!!

***

وكانت الظروف مهيأة لبلوغ مسعاها، وقد التهبت جوانحها بنيران الرغبة المتأججة.

وظنت امرأة العزيز أن لحظة الوصال قد حانتْ

وأنها مع الحظ على موعد..

وهي سيدة القصر التي تأمرُ وتنهى

سوى أن آمالها العظيمة قد انهارت في لحظة واحدة.

وقد جاءها الجواب قاطعاً، ومخيباً لكل رجاء.

عندما أجابها يوسف عليه السلام قائلاً:

﴿مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾.

***

ولكن امرأة العزيز تشبثت ببقايا أملها.

فأمعنت في مراودة يوسف عليه السلام.

ولم يعد يهمها شيء من الأمر وقد انزاح الستار عن ضعفها وتهافتها.

فهمَّت بيُوسف

وهم بها يوسف عليه السلام لولا أن رأى برهان ربه.

وشتّان ما بين الهمّين!

وظنت امرأة العزيز أن يوسف عليه السلام قد منعه الخوف عنها.

فقالت له وكأنها تُهدّئُ من روعه: لا تخف!

وألقت بنفسها عليه في مودة ودلال

فأفلت منها يوسف عليه السلام هاربا إلى الباب ففتحه.

فأسرعت خلفه، ولحقت به.

واستبقا الباب، فجذبته من ملابسه.

وقدّت قميصه من دبر.

وألفيا سيدها لدى الباب.

وتفاقم الأمر

واشتدت الأزمة!!

***

ولم تكن المفاجأة لتُفقد المرأة جأشها

فاستيقظت فيها حاسةُ الأنثى

وبادرت زوجها متخذة موقف الهجوم في التو، وقالت له مبرّئة نفسها:

ما جزاء من أراد بأهلك سوءً إلا أن يسجن، أو عذاب أليم؟!

واستولت الدهشة على العزيز فلم يُحْر جواباً.

فتقدم يوسف وقال له بثقة وطمأنينة دافعا التهمة عن نفسه:

❁ ﴿هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾!

❁ وأصرت المرأة على التهمة.

❁ وأصر يوسف عليه السلام على البراءة.

❁ فأفاض الله عنايته على عبده وصفيّه يوسف عليه السلام

❁ وهو القائل في حقه:

❁ ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾.

***

❁ ففي هذه اللحظة الحرجة والحاسمة.

❁ تبدت معالم الحقيقة، وشهد شاهد من أهلها.

❁ وقيل بأنه كان صبياً في المهد.

❁ فأنطقه الله تعالى، لفصل القضاء.

❁ فقال: يا أيها الملك ﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ .

❁ ﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

❁ فازدادت دهشة العزيز من هذه الآية الالهية.

***

❁ ونظر عزيزُ مصر إلى قميص يوسف عليه السلام.

❁ فرآه قُدَّ من دبر!

فلما رأى قميصه قُدّ من دبر، قال وهو الخبير بخبايا النساء مخاطباً زوجته:

﴿إِنَّهُ مِن كَيْدِكنَّ إِنَّ كَيْدَكنَّ عَظِيمٌ﴾!

فتنفس يوسفُ الصعداء، وقلبه يلهج بالثناء الالهي.

بينما نكّست امرأة العزيز رأسها وقد آلمتها الهزيمة، وسيطر عليها الحياء.

وأرادَ العزيز إنهاء الموقف بشيء من الحِلم والحُنكة..

فقال ليوسف:

﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا﴾، وأمرَهَ بكتمانِ الأمر.

ثم التفت إلى امرأتهِ قائلاً:

﴿ٱسْتَغْفِرِي لِذَنبِك إِنَّك كنتِ مِنَ ٱلْخَاطِئِينَ﴾.

***

وشاع الخبر بين الناس.

فاستقبلوه بدهشةٍ وتعجّب..

وزادوا فيه وأضافوا إليه حتى أصبح حديث الساعة.

وبات الموضوع المفضل في المجالس.

ولا سيما مجالس النساء.

فتناقلته المدينة.

❁ ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَةُ ٱلْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبّاً﴾.

❁ وسفَّه النسوة فعلها وموقفها، حتى قلن في تشفّ:

❁ ﴿إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾!!

***

❁ ووجدت امرأةُ العزيز، أن الكيدَ لا يبطل إلا بالكيد، وأن المكر لا يصلح إلا بالمكر.

❁ ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾.

❁ ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئاً﴾.

❁ وأعدت لهنّ طعاماً وفاكهة.

❁ ﴿وَءَاتَتْ كلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكيناً﴾.!!

***

❁ ولما أحكمت امرأة العزيز أمرها ودبرت حيلتها

❁ ورأت بأن المجلس صار مهيّاً لإلقاء الحجة على النسوة والعثور على ذريعة تدفع بها اللوم عن نفسها.

❁ فانها توجهّت إلى يوسف في الحال

❁ ﴿وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾!!

***

❁ وأطاع يوسف أمر سيدة القصر

❁ وخرج على النسوة محاطا بهالة من البهاء والجلال والجمال والفتنة المهيبة..

❁ وأطبق الصمت المدهش على مجلس النسوة.

❁ ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾.

❁ وانبهرن بسطوة الجمال الألهي المتلألئ

❁ فانطلق لسانهن مفصحا بعد الهمهمة.

❁ ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَـٰذَا بَشَراً إِنْ هَـٰذَا إِلَّا مَلَك كرِيمٌ﴾.

❁ وكان المكان ما زال مشعاً بنور الجمال الملكوتي.

❁ بينما دخل يوسف عليه السلام من باب، وخرج من باب آخر!

***

❁ وتنفست أمرأة العزيز الصعداء

❁ وقد غلب مكرُها مكر النسوة الثرثارات.

❁ فلما وجدت أن الفرصة قد سنحت لدفع اللوم

❁ ﴿قَالَتْ فَذَلِكنَّ ٱلَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾

❁ ولم تتردد في الإفصاح عن الحقيقة وقد أصاب النسوة ما أصابها من لهيب الشوق، فأضافت:

❁ ﴿وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَـ سْتَعْصَمَ﴾.

ولكنها شمخت بأنفها في محاولة لاستعادة كرامتها المهدورة رغم اعترافها السافر..

وأرادت التوسلَ بسلطانها وإظهار أنها ما زالت سيدة القصر، وصاحبة الأمر والنهي.

فقالت متوعدة:

﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكوناً مِّنَ ٱلصَّاغِرِينَ﴾..!

فتأزمت الأحداث من جديد بعد هذا التطور الخطير..!

***

وخرج النسوة من عندها ، فأرسلت كل واحدة منهن إلى يوسف سراً من صاحبتها تسأله الزيارة.

فأبى عليهَّن يوسف عليه السلام.

وقال مناجيا ربه سبحانه ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾.

﴿وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾.

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾..

﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

***

وانتشرت الشائعات في المدينة

حتى كادت تذهبُ بكرامة العزيز وبيته.

فقرر إسكات هذه الأراجيف.

وقَلْبَ الأمرَ على وجوهه

ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ.

واقُتيد يوسفُ عليه السلام إلى السجن

فقال له بعض النسوة في البلاط:

هلاَّ كنتَ قد أطعتَ مولاتك، وقضيتَ حاجتَها!

فانها المظلومة وأنت الظالم..!

ولكن السجنُ كان أحبَّ إلى يوسفَ عليه السلام مما يدعونَه إليه..! فأوكله الله إلى رغبته.

***

وقبع يوسف عليه السلام خلف القضبان.

وعادت به ذاكرتُه إلى الماضي.

فمن حنان أبيه يعقوب عليه السلام ، إلى البئر، وغيابة الجب، إلى الاسترقاق، إلى البحبوحة في بيت العزيز..

إلى كيد النسوةِ، وكيدُهُن عظيم.

ثم أخيراً إلى محنة السجن.

فتوجه إلى ربه تعالى بالدعاء والمناجاة، شاكراً له أفضاله في السّراءِ والضراء.

❁ ووجد يوسف عليه السلام في خلوة السجن ضالته في الاختلاء مع ربه ، فحلق في أجواء العشق الألهي، ورفرَفت روحُه في سبحات الملكوت الأعلى.

❁ وكان وصال الأحبة.

***

❁ واستطابَ يوسفُ عليه السلام خلوته بالحبيبِ..

❁ ولكن يبدو أنها لم تطُل ، فجاء من نغّص عليه وحدتَه

❁ ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانَ﴾.

❁ حتى كان ذات صباح وقد رأى كل واحدٍ منهما رؤيا، جلبت عليهما الحيرةَ والدهشةَ

❁ فلجآ إلى صاحبهما في السجن وأخذا في قصِّ ما رأياه في المنام.

***

❁ وبشَّ لهما يوسف عليه السلام وفتح صدره لمشاعرهما وقد أدى لهما حقَّ الجيرة والصحبة.

❁ فلما أذن لهما بالكلام

❁ قال أحدهما:

❁ ﴿أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً﴾.

❁ وقال الآخر:

❁ ﴿إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ﴾.

ولما توسما فيه الحكمة والاحسان قالا له:

﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾..!

***

وصمت يوسف عليه السلام برهة شأنه في ذلك شأن الحكيم الذي يتدبر الأمور.

ثم قال لهما مُمهّدا: ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا﴾..!

فتفحص الفتيان وجهه وقد ألمّ بهما العجب والدهشة.

فأقبل يوسفُ عليهما بشفقة وعطفٍ ليزيل عنهما ما اعتراهما من العجب.

وقال: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾!

ولما ظهرَ، وكأنهما وثنيَّيْن، فقد أفاد يوسفُ عليه السلام مِن الفرصة.

وعقب قائلا: إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله، وهم بالآخرة هم كافرون.

وأصاخ الفتيان سمعهما للفكر الجديد.

فواصل يوسف عليه السلام كلامه، وقال: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَاءِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِـ للَّهِ مِن شَيْءٍ﴾.

وأراد يوسفُ عليه السلام أن يبيّن لهما، بأن مردَّ ذلك ليس إليه، ولا إلى الناس بل إلى العناية الإلهية.

فقال: ﴿ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾!

***

وأورقت أعوادُ المنبر الرسالي في جدب السجن..

وتجلى نور الوحدانية..

فخاطب يوسف عليه السلام صاحبيه متسائلاً:

وقال لهما: ﴿يَا صَاحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾؟!

ولم يأته الجواب..!

ففنّد لهما أحدوثة الشرك وأسطورة الآباء..

وقال: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَءَابَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾.

واستنكر حكم سلاطين الجور.

فأوضح: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا إِيَّاهُ﴾.

ثم أكّد حقيقة الحقائق.

وختم رسالته السماوية بالقول:

﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾..!

***

❁ نظر الفتيان كلٌ منهما إلى صاحبه

❁ وكأنهما نسيا ما كانا بصدده من الرؤيا.

❁ واستعادا كلام يوسف الصديق عليه السلام.

❁ فتفتحت أمام قلوبهما آفاق رحبة جديدة من الوعي.

❁ وعلما أن يوسف عليه السلام سليل كوكبة من الأنبياء والمرسلين.

❁ وأن ملّة آبائه وملّته هي الدين القيم

❁ وحارا في شأنهما وشأنِ من يعبدون أصناماً وأوثاناً لا تضرُ ولا تنفع من دونِ الله.

❁ وثارت ثائرتهما على السلطان

❁ وعلى الطغاة المستعبدين للأحرار.

❁ أفلم يقل لهما هذا العبد الصالح الآن:

❁ إنِ الحكم إلا لله..!

❁ ولكنهما ما لبثا أن عادا من سفر الحقيقة إلى أرض الرؤى والأحلام..

❁ فشنَّفا أسماعهما من جديد في انتظار التأويل.

***

❁ وبعد أن أعلمهما يوسف عليه السلام أنه عليم بتأويل الرؤيا، وأنه من الموحدين والمؤمنين بالله كآبائه الأنبياء، وأن ذلك هو الدين القيم، فانه أخذ بتعبير الرؤيا..

فقال للأول الذي رأى أنه يعصر خمراً..

إنه سينجو من الحبس، ويسقى ربّه ومليكه خمراً.

وقال للثاني الذي رأى أنه يحمل فوق رأسِه خبزا تأكل الطير منه..

إنه سيُصلب، فتأكل الطير من رأسه

فجحد الفتى الثاني، وقال: ولكني لم أر ذلك؟

فحسم يوسف عليه السلام الأمر قائلاً: ﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾!

***

وتحقق تأويل يوسف عليه السلام ، وهو الذي اجتباه ربُه وعلمَّه من تأويل الأحاديث.

فما لبث أن جاء رجال الملك وأطلقوا سراح الفتى الأول.

وعندما همَّ بالخروج مودّعاً يوسف، قال له عليه السلام : ﴿ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾!

﴿فَأَنسَاهُ ٱلشَّيْطَانُ ذِكرَ رَبِّهِ﴾..!

﴿فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾!!

***

وبعد زمن..

جاء رجال الملك مرة أخرى.

واستدعوا الفتى الثاني الذي رأى بأنه يحمل فوق رأسه خبزا تأكل الطير منه..

واقتادوه إلى مصيره المحتوم..

وحوكم بتهمة السعَي في دس السم للملك في طعامه.

فقد كان خبازاً للملك

وأما الأول فقد كان صاحب الشراب..

وكان مسجونا بنفس التهمة..

ولكنه بُرّئ منها..

وحُكم على الخباز بالموت

فقتلوه، وصلبوه..

وظلت الطير تأكلُ من رأسه حتى أنزلوه عن خشبته!

وهو تأويل نبي الله يوسف عليه السلام.

***

ومضى عام إثر عام..

ويوسف يقبع في ظلام سجن الملك.

ويدعو الله تعالى بالفرج.

ويستعين بالصبر والصلاة على محنته!

وهو السجين البريء الممتحن بالحبّ!

وكان كلما تذكر أباه يعقوب بكى على فراقه، وحنَّ إليه.

وهو في كل ذلك، ممتثل لأمر الله وحكمته

❁ حتى أمضى الله قضاءه وقدره!

***

❁ فلما مضت مدةُ يوسف عليه السلام في السجن حسب التقدير الالهي..

❁ أذن الله له في دعاء الفرج الذي ألهمه إياه.

❁ فوضع خده على التراب.

❁ وقال: (اللهم إن كانت ذنوبي قد أخلقت وجهي عندك، فاني أتوجه إليك بوجه آبائي الصالحين إبراهيم وإسماعيل واسحاق ويعقوب) .

❁ ففرّج الله عنه

❁ ولكن .. كان لابد للأمور أن تسير وتجري بمسبِّباتها..!

***

❁ فذات ليلة..

❁ رأى الملك رؤيا هالته وأقلقته

❁ فاستدعى الملأ من وزرائه وحكمائه وكهنته

❁ فهبوا إليه مسرعين

❁ وسجدوا بين يديه مُعبرين عن الولاءِ والطاعة والاخلاص.

❁ فأمرهم الملك بالصمت والإنصات..!

***

❁ وقال الملكُ:

❁ ﴿إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾!

❁ فشنف الملأ أسماعهم..

❁ فأمرهم الملك مستطرداً ... وقال:

❁ ﴿يَا أَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾..!

❁ وخيم الصمت على الحاضرين!

***

❁ وتحول الصمتُ إلى همهمة!

❁ والهمهمة إلى ضجيج!

❁ والملكُ ينتظر تعبير رؤياه.

❁ وبعد أخذ ورد، وجدل وشورى

❁ هدأت الضجَّةُ..

❁ وعمّ السكون المكان

❁ فقام كبيرُ الوزراء

❁ واستأذن الملك في الكلام

❁ فأذن له

❁ فقال بعد تقديم فروض الولاء: أيها الملك ، هذه أضغاث أحلام ، وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين !

فثارت ثائرة الملك، وقد اشتدت به الحال، وتفاقم عليه الخطب..!

***

وكان الساقي حاضراً في مجلس الملك وهو يُشرفُ على أمر الشراب.

فلما سمَع برؤيا الملك..

ادّكر صاحبه في السجن الذي أوّل له رؤياه..

والذي قال له لدى خروجه: اذكرني عند ربك!

فعاتب نفسه على إهمال الوصية ونسيان العهد.

وكيف أنه لم يذكر يوسف عند ربه.

وهاهو يدّكر بعد أمةٍ بلغت بضع سنين لبثها يوسف في السجن.

فلما رأى الساقي أن الفرصة قد حانت

فانه طلبَ الكلام.

وقال: ﴿أَنَاْ أُنَبِّئُكم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾!

***

وأشرق وجه الملك بالرجاء

ورفت على شفتيه ابتسامة الأمل

فقرّبه منه قائلاً: ما شأنك يا ساقي الملك أفصح عن أمرك!

فتقدم الساقي، وقص على الملك ما كان من أمر رؤياه هو والخباز، وكيف عَبّر لهما يوسف الرؤيا فكانت كفلق الصبح..!

❁ فتعجّب الملك..

❁ وتذكر هو الآخر يوسف.

❁ وكيف أنه بدا له من بعدِ ما رأى الآيات أن يسجنه حتى حين.

❁ وتحول البصيص إلى طاقة من الأمل

❁ فأمر الملك الساقي بالتوجه إلى يوسف في الحال..!

***

❁ ووصل ساقي الملك إلى السجن على جناح السرعة.

❁ وفي لحظات كان بجوار يوسف.

❁ فأخذ يسأله عن حاله، ويلاطفه، معتذراً عن النسيان.

❁ وهوّن يوسف عليه الأمر، ثم سأله عن سبب عودته إلى السجن بعد النجاة.

❁ فاستجمع الساقي حواسه، وراح يستعيد له رؤيا الملك.

***

❁ وقال الساقي:

❁ ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

***

وتأمل يوسف عليه السلام هنيهة..

ثم قال مؤولاً الرؤيا: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾.

فسيطرت الدهشة على ساقي الملك، ولكنه أصاغ إلى باقي التعبير.

فاستطرد يوسف عليه السلام يقول: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تُحْصِنُونَ﴾.

وكان الساقي ينظر إلى وجه يوسف عليه السلام متأملاً انبعاث الضياء.

فاستمر يوسف عليه السلام قائلاً: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾.

***

انطلق الساقي في التو واللحظة عائداً إلى الملك.

فلما سمعَ ما أفتى به يوسف، أعجبه ذلك، وقال:

ائتوني به.

وبعثَ رسولاً إلى يوُسُفَ لِيحُضرَهُ.

***

فلما جاءه الرسول..

أبى يوسف عليه السلام الخروج والذهاب إلى الملك..!

وقال لرسول الملك: ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْأَلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّـٰتِي

**قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾.**

❁ وأدرك الملكُ فحوى الرسالة.

❁ فأمر باحضارِ النِسوة..!

***

❁ وأحضروا النسوة.

❁ فنظر إليهن الملك في ملامة، وقال:

❁ **﴿مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ﴾؟!**

❁ فأجبن جميعاً وقلن:

❁ **﴿حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ﴾.**

❁ وكأنّ امرأة العزيز كانت تتحين الفرصة لتسوق اعترافها من جديد.

❁ وهذه المرة،... أمام زوجها العزيز..

❁ فقالت:

❁ **﴿الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَاْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾!**

***

❁ وكان اعتراف النسوة، ومن بينهن امرأة العزيز، الشهادة الأخيرة ببرائة يوسف الصديق.

❁ فصرفهنّ الملك، وأصدر أمره في الحالِ قائلاً:

❁ **﴿ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾!**

***

❁ وجاء يوسفُ مُعززاً مكرماً إلى قصر الملك.

❁ فلما حضر، وكلّمه، قال له الملك: ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾

❁ وشاء اللهُ أن يُمكن ليوسُفَ عليه السلام بعدَ البلاء والتمحيص.

❁ ولما كانت الفرصة مواتية..

❁ فان يوسفَ عليه السلام قال للملك: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾.

❁ فدخل السرور على الملك، ورحّب بطلب يوسف عليه السلام.

***

❁ وأخذ يوسف عليه السلام يرعى أمور مصر في السنوات المخصبَة.

❁ وهو يضع المشاريع من أجل إجادة الزرع، وتوسيع رقعة الأراضي المزروعة، وتحسين نظام الرّي والسقي.

❁ حتى إذا حان وقتُ الحصاد.

❁ جمع الغلال والطعام والأغذية وحفظها في المخازن بالحزم والتدبير.

❁ ثم أشرفت الأعوامُ السبعة المخصبة على نهايتها.

❁ بينما كانت البلاد متهيئة بفضل علم يوسف وحكمته وحنكته لاستقبال الأعوام المجدبة.

***

❁ وانقطع الغيث.

وغارت المياه.

وتشققت الأرض

ولم تعد الزروع تنبت أو تخضر..

فأجدبت البلاد..

وعندها أقبل يوسفُ على تنفيذ مشاريعه..

فوضع الأرزاق..

وقسّمُ الطعام بين الناس.

وهو في كل ذلك يستضئُ بنور الوحي الإلهي، ويجري بالمشيئة الربانية

فلم يؤثر الجدب على أرض مصر، ونجا أهلها من المخمصة..!

***

وفي تلك السنوات..

كان يوسف قد اعتلى سرير العزة والمُلك.

ومصر تعيش عهدها الذهبي في ظل عدله ونزاهته وحكمته..

وتنعم بالأمان والإيمان والطمأنينة

فكانت قضبانُ السجن طريق يوسف عليه السلام إلى شُرفة المُلكِ بإذن الله.

وعلا ذكره، وذاع صيته، واستتبت له الأمور..

وذلك رغمَ الساعين إلى إخماد ذكره وإنسائه من القلوب.

﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾..

❁ ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾

❁ ﴿وَلأَجْرُ الأَخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾.

***

❁ ولأنّ التاريخ سُنن، والحياة دُوَل..

❁ فقد حقّ أن تدور الدوائر على الظالمين..

❁ وحانت لحظة الجزاء..

❁ فكيف جرت الأقدار الإلهية على أبناء يعقوب وإخوة يوسف؟!

***

❁ استتبت الأمور ليوسف عليه السلام.

❁ واستقرت الأحوالُ في مصر رغم سنوات القحط والجفاف.

❁ وكان يوسف عليه السلام ما زال مستمرا في تطبيق سياسته الاقتصادية الحكيمة، التي أنقذت البلاد من خطر الجدب.

❁ وفي هذه الأثناء، أطل الماضي برأسِه من نافذة الأحداث.

***

❁ فذات يوم..

❁ ﴿جَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾..

❁ ﴿فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ﴾

❁ ﴿فَعَرَفَهُمْ﴾.

❁ ﴿وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾..!

❁ فلم يعرفوه في هذه الحال، حيث تحفه مظاهر المُلك والعظمة.

❁ وهم الذين تصوروا أنه الآن خامل الذكر بين صفوف الرقيق، وقد باعوه بثمن بخس.

❁ فلم يفصح لهم عن نفسه.

❁ وترك الأحداث تأخذ مجراها الطبيعي.

***

❁ ومن على سرير المملكة..

❁ سألهم يوسف عن أنفسهم وشأنهم وماذا يبغون.

❁ فأجابوا بأنهم أبناءُ يعقوب.

❁ وأنهم أحد عشر أخاً بقي أصغرهم عند أبيهم ليأنس به فهو لا يدعه يفارقه قط..!

❁ ولم يذكروا له شيئاً عن أخيهم المغَيّب!

❁ ولكن المشيئة الالهية أبت إلا ظهور الحقيقة وسطوع الشمس الغائبة..!

***

❁ وخصَّ يوسف عليه السلام إخوته بالسخاء والأكرام

❁ وزاد في إكرامهم.

❁ وأعطاهم ما أرادوا من ميرةٍ وزاد.

❁ حتى إذا تأهبوا للرحيل

❁ جمعهم يوسفُ عليه السلام بعد أن جهزهم بجهازهم.

❁ وقال لهم: ﴿ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكم مِّنْ أَبِيكمْ﴾

❁ فتعجبوا لهذا الطلب ، وسألوه عن السبب!

❁ فأجابهم بأنه في شوقٍ لرؤية أخيهم الصغير هذا، ولماذا يخصُه أبوه بعطفه ورعايته.

❁ فمانعوا في الأمر وقد أدركوا أن أباهم يعقوب لن يفرط في أخيهم الصغير

❁ وهو الذي ما فتئ يكابد فراق محبوبه يوسف..!

***

❁ واجتهد يوسفُ عليه السلام في جلبِ رضاهم

❁ فقال لهم: ﴿أَبِيكمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَاْ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾؟!

❁ وذكرّهم باكرامه إياهم، وكيف أنزلهم منزلاً محمودا وأفاض عليهم من عنايته.

❁ ولكنهم أعلموه باستحالة الأمر.

❁ فما كان من يوسف عليه السلام إلا أن استخدمَ حيلته الأخيرة.

❁ فقال لهم منهياً النقاش: ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾.

***

ووجد إخوة يوسف عليه السلام أنفسهم في أزمة!

حيث منعهم الملك منذ الآن من العودة إليه للإمتيار.

فتشاوروا فيما بينهم..

ثم ما لبثوا أن قالوا: ﴿قَالُواْ سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾.

وأعطوا يوسُفَ عهدهم بذلك.

***

وعندما خرجوا من عند يوسف عليه السلام

نادى يوسفُ فتيانَه.

وقال لهم: ﴿ٱجْعَلُواْ بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا ٱنقَلَبُواْ إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

وكان ما أرادَ يوسف عليه السلام.

وما تشاءون إلا أن يشاء الله..!

***

وتهادت القافلة عائدة من أرض مصر إلى أرض كنعان.

والأيام تعقب الأيام.

والليالى تتبع الليالي.

وإخوة يوسف العشرة يحدون إبلهم نحو الخيام المأهولة بالعشق السماوي وهي تكابد فراق الأحبة..!!

***

ووصل إخوة يوسف إلى أرض كنعان.

فلما رجعوا إلى أبيهم سلموا عليه بصوت ضعيف والهم بادٍ على وجوههم.

فسألهم يعقوب عليه السلام عن شأنهم

فقصوا عليه ما جرى بينهم وبين عزيز مصر وحدثوه بما طلبه منهم.

وقالوا: ﴿يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

فامتنع أبوهم عن ذلك..

وقال لهم ﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ﴾.

***

وانصرف الفتية لإنزال متاعهم

﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَاعَهُمْ﴾

﴿وَجَدُواْ بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ﴾

فعادوا إلى أبيهم مُسرعين والفرحةُ تطفح على وجوههم والأمل يحدو خطاهم.

وعندما استفسر يعقوب عليه السلام عن الخبر.

﴿قَالُواْ يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَـٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا

**وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾..!**

❁ وشعر يعقوب عليه السلام وكأن دفقة نور تتهادى في طريقها إلى قلبه المحزون.

***

❁ ولما وجد أبناء يعقوب أن بضاعتهم رُدت إليهم، أصروا على أبيهم، بارسال أخيهم الصغير بنيامين معهم، إلى مصر.

❁ ويعقوب عليه السلام يأبى..!

❁ ولكنهم ألحّوا في الطلب وقد أعيدت إليهم أموالُهم.

❁ فقال لهم أبوهم: **﴿لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقاً مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾.**

❁ وقبل الأبناء بهذا الشرط وآتوه موثقهم

❁ فلما آتوه موثقهم.

❁ أوكل يعقوب عليه السلام الأمر إلى الله تعالى بعد إحراز الأسباب الطبيعية.

❁ وقال لأبنائه: **﴿ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾..!**

***

❁ ومضت بضعةُ شهور

❁ واحتاج آل يعقوب إلى الميرة والطعام

❁ فاستأذن الأبناء أباهم للرحيل إلى مصر

❁ ومعهم أخوهم بنيامين حسب العهد والاتفاق.

وأذن لهم نبيُ الله يعقوب عليه السلام

فلما تهيأوا للرحيل وتأهبوا للسفر

جمعهم أبوهم وكان قد بات شيخا كبيراً

فنصحهم، وأوصاهم

وقال: ﴿يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُواْ مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُواْ مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾

﴿وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ﴾

﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

ثم تحركت القافلة نحو أرض مصر

وخلفها تجري الأقدار..!

***

عادت قافلة أبناء يعقوب لمصر من جديد لتكتال وتمتار.

وكان معهم في هذه المرة، أخوهم الأصغر، بنيامين، تلبيةً لرغبة عزيز مصر، وقد راودوا عنه أباه.

ولكنهم كانوا قد آتوه موثقهم على أن يعودوا به إليه إلا أن يحاط بهم.

***

ودخل أبناء يعقوب المدينة من أبواب متفرقةٍ كما أمرهم أبوهم.

﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ﴾

﴿مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ

يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾.

❁ ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ﴾..

❁ ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾.

***

❁ ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه بنيامين

❁ وعرّفه بنفسه

❁ وقال: إني أنا أخوك يوسف.

❁ ثم أخبره بما يريدُ أن يفعل وأسر إليه بمكيدته.

❁ وطيّب خاطره قائلاً: ﴿فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾.

***

❁ وخرج عليهم يوسف عليه السلام.

❁ وأمر لهم بطعام.

❁ ثم قال لهم:

❁ ليجلس كل بنى أمٍ على مائدة.

❁ فجلسوا.

❁ وبقي بنيامين قائماً

❁ فسأله يوسف: مالك لم تجلس؟!

❁ فأجاب بنيامين: ليس لي فيهم ابنُ أم..!

فقال له يوسف: فما كان لك ابنٌ أم؟

فقال بنيامين: بلى.

فسأله يوسف: فأين هو!

فأجاب: زعم هؤلاء أنّ الذئب أكله!

***

واشتد الأمرُ على يوسف عليه السلام

ولكنّ حكمته أبت عليه إلا الحِلم.

فقال لبنيامين: إذن.. فاجلس على مائدتي

فتهامس إخوة يوسف فيما بينهم وقد أدهشهم ما حدث لبنيامين..

وأخذوا يقولون:

لقد فضّل الله بنيامين علينا، حتى أن الملك أجلسه معه على مائدته..!

وكان هذا أوَّلَ الكيد!!

***

وأمضى إخوة يوسف أياما عنده.

وهو يكرمهُم ويسخو عليهم..

ويحُسن ضيافتهم..

فلما عزموا على الرحيل..

جهزهم يوسف بالمتاع وأوفى لهم الكيل

وانهمك أبناءُ يعقوب عليه السلام في الاستعداد للسفر.

***

وفي الأثناء..

ولما جهزهم يوسف عليه السلام بجهازهم.

جعل السقاية في رحل أخيه بنيامين

وإخوته لا يدرون بذلك.

وانقشعت جحافل الظلام

وتألق نورُ الفجر..

فنهض أبناء يعقوب وحزموا آخر متاعهم

ثم أخذت القافلة في الحركة من أرض مصر عائدة إلى أرض كنعان..

وبنيامين عائد إلى أبيه دون أن يَمسَّه مكروه..!

***

ولم تكد القافلة تقطع سوى مسافة قصيرة.

حتى سمعوا صوتاً ينادي.

وإذا بمؤذن يؤذن فيهم قائلاً:

﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾

فتوقف الركب..

وتساءل الاخوة فيما بينهم وهم لا يدرون بما يقول المؤذن..

﴿قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ﴾؟

﴿قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ﴾

وذهبوا بهم إلى يوسف عليه السلام.

***

ومَثُلَ أبناءُ يعقوب أمامَ الملك.

فقال لهم: إننا نفقد صواعنا، ﴿وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَاْ بِهِ زَعِيمٌ﴾ وكفيلٌ لكم به.

فردوا عليه قائلين: أيها الملك، ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾..!

فسألهم يوسف: ﴿قَالُواْ فَمَا جَزَاؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ﴾؟!

فقالوا بطمأنينة كاملة:

﴿جَزَاؤُهُۥ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَاؤُهُۥ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

***

وعندئذ أخذ يوسف عليه السلام باقامةِ الحُجةِ قبلَ إنزال الجزاء..

فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه بنيامين.

وكلما فتّش وعاءاً، لم يجد به السّقاية.

فينتقل إلى وعاء الآخر.

واستمر التفتيش على هذا المنوال، وهم يستنكرون الأمر، ويدفعون عن

أنفسهم التهمة، ويزدادون ثقةً واطمئناناً..!

ولكن الوقت لم يطل حتى وصل الدور إلى وعاء بنيامين.

وهنا عقدت الدهشة ألسنتَهم

حيث استخرج السقاية من وعاء أخيه الأصغر بنيامين.

***

وتعقدت الأمور..

واشتدت البلوى بأبناء يعقوب عليه السلام

وأقبلوا على بنيامين، يلومونه ويُوبّخونه

فلم يأبه بهم يوسف عليه السلام

وأمر بالقبض على بنيامين تنفيذاً للجزاء.

﴿كذَلِك كدْنَا لِيُوسُفَ﴾..

﴿ما كَانَ لِيَأخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾..

﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾..!

***

ولما تم القبض على بنيامين

استاء إخوته منه وغضبوا عليه

وارتدوا إلى ماضي الزمان

فقالوا منددين بأخيهم: ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾.

❁ إذ كانت عمة له، على ما قيل، قد نسبت إليه السرقة بحيلة منها حُباً له، لتستأثر به عندَها.

❁ فلما سمع يوسف عليه السلام منهم ذلك وقد ذكّروه بتلك الحادثة وهم لا يدرون..

❁ فانه عليه السلام أسرّها في نفسِه ولم يُبْدها لهم.

❁ ﴿قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكاناً وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾!

***

❁ وانتحى إخوة يوسف عليه السلام جانباً.

❁ وأخذوا يتشاورون فيما بينهم بحثا عن حل لهذه المشكلة الخطيرة.

❁ والهُّم يتجاذبهم بين أخيهم المقبوض عليه، وأبيهم الذي آتوه موثِقاً من الله..!

❁ فتوصلوا إلى قرار ظنّوه مُرْضيا للعزيز.!!

***

❁ واستمع يوسف عليه السلام إلى ما يقولون

❁ فقالوا له:

❁ ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَباً شَيْخاً كَبِيراً فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾..!

❁ ورفض يوسف عليه السلام هذا الأقتراح بقاطعية تامة

وقال لهم: ﴿مَعَاذَ اللهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلاَّ مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذاً لَظَالِمُونَ﴾!

وما زال إخوة يوسف يجاد لونه في أخيهم بنيامين، حتى يئسوا منه.

***

﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْأَسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيّاً﴾..

واحتدم النقاش بينهم.

ووجدوا أنهم لا محيص لهم عن العودة إلى أبيهم.

وعندئذ..

قال كبيرُهم:

﴿أَلَمْ تَعْلَمُواْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقاً مِنَ اللهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ﴾؟

فأجابوا: بلى.

فأوضح موقفه مُستدركاً:

﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾!

فأُسقط في أيديهم، وقالوا:

لقد كان من العسير علينا، أن نرجع إلى أبينا بدون أخينا بنيامين، فكيف نرجع الآن إليه بدونك أيضاً، وماذا نقولُ له؟

❁ فقال لهم:

﴿ارْجِعُواْ إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾.

❁ فاحتجوا عليه قائلين:

ربما لا يُصدّقُ أبونا ما نقول!

❁ فقال لهم: إذا لم يصدق فسوقوا إليه الأدلة، وقولوا له:

﴿وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾.

***

❁ وبقي أخوهم الأكبرُ في مصر.

ولم يتخل لهم يوسف عليه السلام عن أخيهم الأصغر.

❁ فغادروا إلى كنعان يمزقهم الهمّ، ويتلاعب بمشاعرهم القلق.

وطال عليهم الطريق حتى بلغوا كنعان، وأشرفوا على منازل أبيهم يعقوب عليه السلام.

***

❁ وقبل أن يفتحوا متاعهم

توجهوا إلى أبيهم

❁ وقصّوا عليه ما كان..

فنطق يعقوب عليه السلام بلسان الوحي.

❁ وقَالَ: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

❁ وثقل عليه الحزنُ

❁ فأشاح بوجهه

❁ ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾

❁ ﴿وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾.

❁ ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾!

***

❁ ولما وجد أبناء يعقوب أباهم في هذه الحالة المؤلمة..

❁ وأنّ ذكرى يوسف تؤرق باله..

❁ قالوا له لائمين:

❁ ﴿تَاللهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾!

❁ فأجابهم قائلاً: ﴿إِنَّمَا أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ﴾.

❁ وكشف لهم طرفاً عن عالم الغيب الإلهي.

❁ فاستطرد عليه السلام يقول: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾!

***

❁ وكان يوسف عليه السلام ما زال يُدبّر أمور الرعية في مصر.

❁ وذات يوم.

❁ قَدِمَ عليه أعرابيٌّ ليشتري طعاماً منه.

❁ فباعه يوسف ما أراد

❁ ولما فرغ، قال له: أين منزلُك؟

❁ فأجابه الأعرابي: في نواحي كنعان

❁ فقال له يوسف عليه السلام: إذا مررت بالوادي الذي يقطنه يعقوب فقف ونادِ: يا يعقوب! يا يعقوب!

❁ فقال الأعربي:

❁ وهل عندك رسالة إليه؟

❁ فأجابه يوسف: نعم. فعندما تُناديه، سيخرج إليك رجل عظيم، جميل حسن.

❁ فاستفسر الأعرابي:

❁ فماذا أقول له؟

❁ قال له: لقيت رجلاً بمصر، وهو يُقرئُك السلام، ويقول لك: إن وديعتك عند الله عز وجل لن تضيع!

***

❁ وسار الأعرابي..

❁ فلما انتهى إلى الوادي، نادى قائلاً:

❁ (يا يعقوب! يا يعقوب!)

❁ فخرج إليه شيخ أعمى، طويل القامة، عظيمُ الجسم، جميل الوجه، يتّقي الحائط بيدهِ!

❁ فأبلغه الأعرابي رسالة يوسف

❁ فسقط يعقوبُ عليه السلام مَغشّياً عليه

❁ بينما انتابت الأعرابيَّ الدهشة!

***

❁ وبعد ساعة..

❁ أفاق يعقوب عليه السلام من غشيته..

❁ وكان الأعرابي ما زال حاضراً

❁ فقال له يعقوب عليه السلام وقد أراد مكافأتَه:

❁ يا أعرابي! ألك حاجة إلى الله تعالى؟

❁ فأجاب الأعرابي: بلى.

❁ فسأله يعقوب عليه السلام : فما هي ؟

❁ فقال الأعرابي: إني رجل كثير المال، ولي ابنةُ عم هي زوجتي، ولم يُولد لي منها ولد، وإني أُحبُ أن تدعو الله أن يَرزُقني ولداً.

❁ فدعا له يعقوب بما أراد.

❁ ويروى مرفوعاً إلى الإمام الصادق عليه السلام ..

أن الله رزق الأعرابيّ أربعة بطون، في كل بطن أثنان!

وكُل هذا بفضل دعاء يعقوب المُستجاب.

***

وكان يعقوب عليه السلام يعلم أن ابنه المحبوب يوسف لم يَمُت.

وأن الله سيظهره له بعد غيبته.

ولذلك كان يقول لبنيه: إني أعلم من الله ما لا تعلمون.

وتفتحت أبواب الرجاء أمام نبي الله يعقوب، فنادى أبناءه، وقال لهم:

﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَاْيْئَسُواْ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِنَّهُ لاَ يَاْيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾!

فساروا إلى مصر من جديد!

***

وما زالوا حتى دخلوا مرة أخرى على يوسف عليه السلام

﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَا أَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِي ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾.

وعندئذ، حقّت كلمة الله تعالى ليعزن يوسف عليه السلام، وليرفعن من قدره وليضعفن من قدر الباغين والحاسدين.

***

❁ وأراد يوسف عليه السلام أن يعرفهم بنفسه..

❁ وكان حكيما عاقلاً..

❁ فمهد لهم لاستقبال المفاجأة

❁ ثم قال: ﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾؟

❁ ورُفع الستارُ عن الحقيقة..

❁ فأدرك الاخوة واقع الأمر..

❁ ولأنهم لم يكونوا واثقين مما تصوروه..

❁ فانهم أقبلوا على يوسف متسائلين: ﴿أَئِنَّكَ لأَنْتَ يُوسُفُ﴾؟!

❁ فأجابهم قائلاً: ﴿أَنَاْ يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا﴾.

❁ وأراد أن يُبصرهم بعاقبة التقوى والصبر..

❁ فقال مستدركاً: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

***

❁ ونظر إخوة يوسف كل منهم إلى الآخر في تعجب ودهشة..

❁ ولم يكن لهم سوى الاقرار بالحق..

❁ فالتفتوا إلى يوسف أخيهم قائلين:

❁ ﴿تَاللهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾..!

***

وتجلت أخلاق النبوة.. وهي التي لا تعرف سوى العفو والمغفرة والتسامُح..

فطيّب يوسف عليه السلام من خاطرهم، وأطمعهم في الرحمة الإلهية..

وقال لهم: ﴿لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

وأراد الله تعالى أن تتحقق مشيئته الحكيمة، وأن تتحول رؤيا نبيه يوسف عليه السلام إلى حقيقة ظاهرة.

وآن الأوان ليجزي الله الصابرين بصبرهم، ويعود النورُ إلى عيني نبيه يعقوب عليه السلام.

وكانت المعجزة..

فخاطب يوسف عليه السلام إخوته بعطف ومودة.

وقال لهم: ﴿اذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً﴾.

ثم أراد أن يَلُمَّ الشمل حتى تعم النعمة الإلهية العائلة النبوّية..

فقال لهم: ﴿وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾..!

***

وأسرعت القافلة بالعودة إلى كنعان.

وكان يعقوب عليه السلام بانتظار نسيم الأحباب

وتحرك الركب.

ولما فصلت العير..

رفرفت العناية الإلهية على منازل يعقوب.

فاشتم رائحة المحبوب على البعد..

ولما لم يستطع كتمان فرحته بقرب اللقاء..

فانه قال لمن عنده من بنيه مبشراً: إني لأجد ريح يوسف، لولا أن تفندون!

***

فمتى خلا الحبُّ من الفند؟!

وَمَن مِنَ المحبين نجا من اللوم؟!

وهل يترك عاذل لعاشق فرصةً لوصال؟!

فأنكر الأبناء على أبيهم شوقه المتلهف للقاء محبوبه وفلذة كبده..

واتهموه بأنه لم يسل عن حب يوسف رغم أن الذئب أكله كما زعموا..

فأقسموا له بلسان العاذل الحاسد المُليم..

وقالوا له: ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾..!

***

ولكن متى أخطأ الأنبياء في حدسهم وهو يقين!! وفي نبوءتهم وهي وحي؟!

إذ مالبث أن هلّت البشرى..

❁ وأتى البشير..

❁ فلما أن جاء البشيرُ ألقى قميص يوسف على وجه يعقوب..

❁ فارتد بصيراً.. في طرفة عين..!

❁ وعندئذ التفت يعقوب إلى ابنائه..

❁ وتملى وجوههم التي احتجبت عنه زمنا..

❁ ثم قال لهم مُعاتبا: ﴿**قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾؟!

❁ فيالقميص المحبوب!!

❁ ذهب به بصرُ المُحبّ..

❁ وبه .. عاد إليه!!

***

❁ واستيقظ إخوة يوسف جرّاء الصدمة..!

❁ ولما تجلّت معالم الحقيقة.

❁ فانهم استعطفوا أباهم واسترحموه..

❁ وقالوا: ﴿**يَا أَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كنَّا خَاطِئِينَ**﴾.

❁ فرق لهم أبوهم قائلاً: ﴿**سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾

❁ وأخرهم إلى السحر من ليلة الجمعة.

❁ وكان يوسف عليه السلام قد بادر إلى العفو عنهم لأن قلب الشاب أرق من

قلب الشيخ

❁ كما أن جناية أبناء يعقوب على أبيهم، إنما كانت بجنايتهم على أخيهم يوسف

❁ فبادر يوسف إلى العفو عن حقه..

❁ بينما أخر يعقوب العفو..

❁ لأن عفوه إنما كان عن حقِ غيره

❁ وفي الحالتين.

❁ فان الوحي هو نبراس الأنبياء..!

***

❁ وأخذ يعقوبُ وأهله يحزمون متاعهم للرحيل.

❁ وكان يوسف وأخوه بانتظار وصول الركب النبوي إلى مصر.

❁ ثم مالبثت أن سارت القافلة يحدوها شوق اللقاء..

❁ وانطوى طريق البعاد

❁ كما انطوى زمان الفراق..

❁ حتى لاحت سهول مصر الخضراء..

❁ فغردت الأطيار..

❁ وتراقصت الأزهار..

❁ وكانت أمواج النيل ما زالت تنساب نحو الأبدية..

وهي تهدهدُ ألق الحضارة، وزهو التاريخ..!

***

ووصل ركب يعقوب عليه السلام ، إلى أرض مِصر..

فاستقبلته ببشاشة وترحاب

ودخل الركب النبوي القادم من كنعان على يوسف عليه السلام، وفي مقدمته أبوه.

﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾..

﴿وَقَالَ ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾..!

***

وآن أوان تأويل الرؤيا النبوية..

فرفع يوسف عليه السلام أبويه على العرش

وخرّوا له سجّدا.. أحد عشر كوكباً، والشمس والقمر.

وعندئذٍ.. وقد غدا الحلم حقيقة..

خاطب يوسف عليه السلام أباه يعقوب عليه السلام ..

وقال: ﴿يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقاً﴾

ثم عدد له طرفا من النعم والفضائل التي من بها عليه المولى سبحانه..

فقال: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾.

❁ وواصل حديثه النبوي مقراً باللطف الإلهي والحكمة الربانية..

❁ فما لبث أن قال: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

***

❁ وفي تلك اللحظات المتلألئة بنور السماء..

❁ رفع يوسف عليه السلام وجهه إلى الملكوت الأعلى

❁ وناجى ربه شاكراً أنعمه وأفضاله

❁ وقال: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾.

❁ وأقر لمولاه بالولاية، ولنفسه بالعبودية الحقة..

❁ فتوجه إلى مولاه قائلاً: ﴿أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾.

❁ ولم يلبث يوسف عليه السلام أن أتبع الشُكر والإقرار بالدعاء..

❁ وكان دعاؤه بحسن العاقبة..

❁ والالتحاق بالجمع الصالح..

❁ فدعا ربه قائلاً: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾.

***

❁ واجتمع شمل الأحبة.. والتأمت جراح الفراق.

❁ وتوهجت في أفق التاريخ أشعة من حكم الله وشريعته السامية.

❁ فكان يعقوب عليه السلام هو حجة الله في أرضه

❁ بينما كان المُلك ليوسف عليه السلام

❁ وأمضى يعقوب عليه السلام حولين في مصر

❁ حتى إذا وافاه الأجل، التحق بالرفيق الأعلى ملبيّاً نداء خالقه.

❁ فحمله ولده يوسف عليه السلام في تابوت إلى أرض الشام.

❁ ودفنه في بيت المقدس

❁ فكان يوسف عليه السلام الحجة من بعده.

***

❁ وذات يوم أطل الماضي بوجهه من شرفة الذكريات.

❁ وجاءت زليخا تدق أبواب يوسف

❁ فحال الحرس بينها وبينه.

❁ وكان زوجُها العزيزُ قد رحل عن هذه الدنيا.

❁ ولكنّها كانت مازالت ترفل في حلل النعمة والمُلك وجلابيب البهاء.

❁ فسألتهم: ولماذا؟!

❁ فأجابوا قائلين:

❁ أيتها السيدة، إنّا نكرهُ أن نُقدِم بك عليه لما كان منك إليه!

❁ فلما كانت تعرفه حق المعرفة..

❁ فقد احتجت عليهم قائلة، وقد انسال شعاعُ العقيدة في قلبها:

❁ إني لا أخاف ممن يخاف الله!

فأدخلوها على يوسف عليه السلام.

فرحب بها وأكرمها وأحسن وفادتها.

وبدا الشحوب على وجهها في المجلس الجليل.

فسألها يوسف عليه السلام : يا زليخا.. مالي أراك قد تغير لونك؟!

فأجابت مُقرّةً بالحقيقة:

الحمد لله الذي جعل الملوك بمعصيتهم عبيداً، وجعل العبيد بطاعتهم ملوكاً..!

ثم ترقرقت عيناها بالدموع..

فرقّ لها قلبُ يوسف..!

***

وانقضت برهةٌ كانت الأطول من الدهر.

وخيم صمتٌ أبلغ من الكلام..

فعاتبها يوسف عليه السلام في لطفٍ منه..

وقال لها: يا زليخا.. ما الذي دعاك إلى ما كان منكِ في السابق؟!

فأجابت والحلم يتورد في عينيها الباكيتين:

وقالت: حُسْنُ وجهك يا يوسف!

***

وأطرق نبي الله يوسف عليه السلام ..

❁ ثم حمل زليخا على أثير الوحي من الماضي إلى ألق المستقبل، وقال لها: فكيف لو رأيتي نبيّاً يُقال له محمد، يكون في آخر الزمان، أحسنُ مني خُلقاً، وأسمحُ مني كفّاً؟!

❁ فأجابت: أُقرُّ له كما أقررت لك!

❁ فسألها: أحقاً ما تقولين؟ فأجابت: علمت بأني صدقت.

❁ فسألها يوسف عليه السلام: وكيف ذلك؟

❁ فأجابت زليخا: لأنك حين ذكرته وقع حبه في قلبي!

***

❁ ورُفعت الأستار..

❁ وانهتك حجاب الغيب عن عالم الأسرار

❁ وأزهرت شجرة الحب على حافة عرش المحبوب

❁ وتجلى عالم الروح..

❁ وانكدرت ذراتُ المادة .. ثم تلاشى الظلام.

❁ وراح كل شيء يدور في فلك النور الوضّاء.

❁ نورٌ على نور، يهدي الله لنوره من يشاء

❁ وكان وجه الله، ولا شيء سواه.

❁ فأوحى الله إلى يوسف عليه السلام:

❁ إنها قد صدقت، وإني أحببتها لحبها محمداً صلى الله عليه وآله.

وتألقت مشاعر القلوب ذائبة في أشعة التوحيد..

فلا أنا.. ولا أنت.. ولا شيء إلا هو..

إذ لا إله إلا هو..!

فأمرا اللهُ تبارك وتعالى يوسف عليه السلام بالزواج من زليخا..!

***

وعاش يوسف عليه السلام في ظل النعمة الاليهة..

وهو يُسبغ من عدله وحكمه على البلادِ والعباد..

فلقد كان من المخلَصين..

وكان صدّيقاً..

وكان من المحسنين..

وقد اجتباه اللهُ وجعله نبياً.

فسار في الناس بنور النبوة.

وأشرقت أرض مصر بنور ربها.

وعمها الخير والرخاء.

***

حتى كان ذات صباح.

فاستيقظت مصر لتجد نهاراً بلا شروق.

ونيلاً بلا فيضان

وحدائق بلا شذى، وأوراقاً بلا ندى.

فما من شيء إلا ويذرف الدموع حسرةً وكمداً.

فأقبلت على حبيبها ونبيها تلقي عليه النظرة الأخيرة، وقد أتم اللهُ نعمته عليه وتوفاه مُسْلما وألحقه بالصالحين.

واجتمع الناس كلٌّ يحب أن يدفن يوسف عليه السلام في محلته لما كانوا يرجون من بركاته وفضله..!

حتى حكم أشياخ القوم بأن يدفنوه في نهر النيل..

فيمر عليه الماء..

ثم يصلُ إلى جميع مصر، فيكونون فيه شركاء، وفي بركته سواء.

فوضعوه في تابوت من رخام.

ودفنوه في النهر الخالد المتموج بالأزلية..

فكان قبر يوسف عليه السلام في النيل

إلى أن حمله موسى عليه السلام معه حين الخروج من أرض مصر..!

**﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾!!**

## واذكر عبدنا أيوب

❁ كان أيوب عليه السلام نبياً من أنبياء بني إسرائيل.

❁ وهو، كما يُروى، أيوبُ بن آموص بن دارح بن روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام.

❁ وكانت أمه من ولد نبي الله لوط ابن هاران

❁ وكان يقيم في بلدة من بلاد الشام.

❁ وكان له فيها من أصناف المال من الإبل والبقر والخيل والغنم.

❁ وكان براً، تقياً، رحيماً.

❁ وكان يحترز من الشيطان ويتقي كيده

❁ وكان معه نفرٌ قليلٌ من الذين آمنوا به وصدقوه.

❁ ويقال بأنهم لم يكونوا سوى ثلاثة.

❁ اثنان من بلدته، وواحد من أهل اليمن.

***

❁ ويروى بأن لجبرائيل عليه السلام بين يدي الله مقاما ليس لأحد سواه من الملائكة في القربة والفضيلة.

❁ وأن جبرائيل عليه السلام هو الذي يتلقى الكلام.

❁ فاذا ذكر الله تعالى عبداً له بالخير والثناء

❁ تلقّاه جبرائيل عليه السلام

❁ ثم لقّاه ميكائيل وحوله الملائكة المقربون حافّين من حول العرش.

❁ فاذا شاع ذلك في الملائكة المُقرَّبين.

❁ شاعت الصلوات على ذلك العبد من أهل السماوات.

❁ فاذا صلت عليه الملائكةُ في السماوات.

❁ هبطت ملائكة السماوات بالصلاة إلى ملائكة الأرض.

***

❁ ويقال بأن إبليسَ لعنه الله، كان لا يُحجَبُ عن شيء من السماوات.

❁ وكان يقف فيهن حيثما أراد.

❁ حتى أنه وصلَ إلى آدم عليه السلام ، حين أخرجهُ من الجنة.

❁ فلم يزلْ على ذلك يَصعد ويهبط حتى رفع الله تعالى عيسى عليه السلام إلى السماء الرابعة.

❁ فحُجب ابليسُ اللعين عنها، وكان يصَعدُ في ثلاث.

❁ فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله حُجب إبليس اللعين عن السماوات جميعاً، فهو وجنوده محجوبون عنها حتى تقوم الساعة.

❁ إلا من استرق السمعَ، فأتبعَه شهابٌ مبين.

***

❁ ولما كان نبي الله أيوب عليه السلام عابداً زاهداً صواماً قوّاما..

❁ فقد ذكرَه الله تعالى بالخير وأثنى عليه بطيب الثناءِ وعظيمِ الصَلاة.

❁ وعندئذ سمع إبليس اللعين تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب عليه السلام.

❁ فأدركه البغيُ والحسد..

❁ فصعد سريعاً حتى وقف من السماء موقفاً كان يقفه..

❁ وقال: يا إلهي..

❁ لقد نظرتُ في أمر عبدك أيوب..

❁ فوجدتْهُ عبدا أنعمت عليه فشكرَك

❁ وعافيته فحمدك..

❁ ثم لم تُجربهُ بشدة ولا بلاء..

❁ وأنا لك زعيم لئن ضربتَه ببلاء ليكفرنَّ بك وسوف لن يذكرك..!

❁ ثم ضحك اللعينُ ضحكتَه الشيطانية!!

***

❁ وكان في قدر الله ومشيئته الأزلية أن يدحر عدوه إبليس وينصر أولياءه المخلصين وأنبياءه المرسلين.

❁ فقال اللهُ تعالى لابليس اللعين: انطلق فقد سلطتُك على مالِ ايوب عبدي.

❁ فانقضّ عدو الله حتى وقع إلى الأرض وله بها ضجيج وعجيج..!

***

ودعا إبليس اللعينُ عفاريتَ الشياطين وعُظماءَهم.

وخاطبهم قائلاً:

ماذا عندَكم من البطش والمعرفة والقوة؟

فأجابوه في خيلاء:

لدينا الكثيرُ مما لو شِئنا لقلبْنا الأرض على مَن فيها..!

فقال لهم اللعين متبجحاً متبختراً:

فاني قد سُلطتُ على مالِ أيوب، وهي المصيبةُ الفادحة، والفتنةُ القاصمةُ التي لا يَصبرُ عليها الرجال..! فماذا أنتم فاعلون؟!

فتقافز جنود الشيطان فرحا وسروراً..!

***

وفي الحال..

برز عفريت من الشياطين، وقال:

لقد أُعطيتُ من القوة ما إذا شئتُ لتحولت إعصاراً من نار وأحرق كلَ شيء أتىَ عليه..!

فقال له إبليس:

فأتِ الإبلَ ورُعاتِها..!

***

وانطلق الشيطان الجبار يؤم الإبل

وقد وضعت رؤوسها في مراعيها..

ونفخ فيها من روحِه الشريرةِ الخبيثةِ..

وإذا بإعصار من نار يفور من تحت الأرض ويهب بأرواح السَّموم..

ولا يدنو من شيءٍ إلا واحترق..!

فلم يزل يحرق الابل ورعاتها ومراعيها حتى أتى على آخرها..!

***

ونظر إبليسُ اللعين نظرةَ الشامتِ إلى اليبابِ المحُترق.

وألسنة النيران ترتفع إلى السماء..

فوجد أن فرصته حانت للكيدِ من نبي الله أيوب عليه السلام.

وفي لحظة.!

تمثل الشيطانُ بصورة الراعي..!

ثم انطلق إلى أيوب عليه السلام

فوجدَه قائماً يُصلي..

فطار لبه، وطاش صوابه، واشتعل لهيب حقده وغضبه..!

ولكنه كتم مشاعرَه السوداء، التي تنضح بغضاءً وكراهية..

فاقترب من أيوب عليه السلام وهو في صورة راعٍ من رعاة إبله.

ووقف على أحرّ مِن الجمر يتحين الفرصة!

حتى إذا سنحت له..

❁ نادى بأعلى صوته مُظهراً الهلعَ والجزعَ..

❁ وقال: يا أيوب.. يا أيوب..!

❁ فأجابه نبيُ الله أيوب عليه السلام.

❁ وقال له: ماذا بك؟!

❁ فأخبرَه اللعينُ بالكارثة..!

❁ ولكن.. على طريقته الشيطانية..!!

***

❁ فتقدم منه الشيطانُ الرجيم، وافترّت شفتاه عن ضحكةٍ صفراء بغيضة، وقال له مُبكّتاً:

❁ (يا أيوب! هل تدري ماذا صنع ربك بإبلك ورعاتها وهو الذي اخترته وعبدته؟!)

❁ ثم أطلق ضحكته الساخرة!!

***

❁ وحوقل نبي الله، واسترجع، ثم قال لابليس اللعين دون أن يلتفت إليه:

❁ إنه الله ربي يفعل ما يشاء، وإنها مالهُ أعارني إياها، وهو أولى بها، إذا شاءَ ترك، وإن شاء نزع.

❁ فأسقط في يد اللعين، وقال:

❁ أفهكذا لا تكترث بأموالِك يا أيوبُ وقد فَنَتْ عن آخرها؟

فأجابه أيوب بنفس مطمئنة:

لقد وطنتُ نفسي ومالي على الفناء

ففاجأه اللعين قائلاً:

وإن ربك أرسل عليها ناراً من السماء فاحترقت جميعها!

***

وتحفز إبليس اللعين منتظراً رد فعل نبي الله الصابر..

فلما أحس منه الخضوعَ للمشيئةِ الالهية، دق باباً آخر للملامَة، وقال:

والناسُ يا أيوب.. والناس؟!

فأجابه نبيُ الله: وما شأنُ الناس؟

فقال اللعين متشفياً:

أراك قد أصَبت! أفتدري ماذا يقولون؟

فقال أيوب غير عابئ:

وماذا يقولون؟

فأجاب عدو الله:

إنهم يقولون: ما كان أيوب يَعبدُ شيئاً، وإنه ضال، وما كان إلّا في غرور!

فقال أيوب عليه السلام:

ما ضلَّ من عبد الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي يُحيي ويميت، ويُعطي ويمنع، وهو القادرُ على كل شيء.

فصاح اللعين محنقاً:

فهاهم يقولون: لو كان إله أيوب قادراً على أن يصنع شيئاً لمنع وليَّه!

ثم أطلق اللعين نعرة أخرى!!

***

وأحجم نبيُ الله عن عدو اللهِ وعدوِه

ففُجع الملعون..!

ولكنه لم يكف عن الوسوسة!

فقال لأيوب عليه السلام:

بل إن ربك فعل بك ما فعل ليُشمت بك عدوك ويفجع بك صديقك!

فتهيأ أيوب عليه السلام للصلاة من جديد، وأخذ يقول:

(الحمد لله حين أعطاني وحين نزع مني، عريانا خرجتُ من بطن أمِي، وعرياناً أعود في تراب، وعُرياناً أُحشر إلى الله تعالى) .

ودخل نبي الله في الصلاة عارجاً إلى ربه الرحيم.

***

وألم الخزيُ بعدوِ الله إبليس، ووقعت به الهزيمة.

فرجع إلى أصحابه وجنوده خاسئاً ذليلاً محسوراً.

ولكنه أصرَّ على مواصلة كيدهِ ونصْبِ حبائله..

فقال لجنوده:

❁ ويلكم! ماذا عندكم من القوةِ، فإني لم أُكلم قلبَه!

❁ فانبرى عفريت من عظمائهم قائلاً:

❁ (عندي من القوة ما إذا شئت صحتُ صيحة بصوت لا يسمعه ذو روح إلا خرجت نفسُه!

❁ ففرح الجبار اللعين، وأمره قائلاً:

❁ إذاً.. فأتِ غنم أيوب ورعاتها قبل أن تخمد نار مصيبتِه الأولى..!

***

❁ وانطلق العفريت الجبار في التو

❁ حتى إذا توسط الغنم صاح صيحةً عظيمة رهيبة..

❁ فماتت الغنم عن آخرها، ومات رعاتها.

❁ ثم عاد إلى سيدهِ منتفخ الأوداج متبختراً، وفرحاَ مسروراً

❁ فاستقبله إبليس اللعين بحفاوة، وراح يستعد للجولة القادمة، وهو الوسواس الخنّاس!

***

❁ وفي هذه المرة، تمثل عدوُ الله بكبير رعاة الغنم..

❁ حتى إذا جاء أيوب عليه السلام ..

❁ فانه وجده ما زال قائماً يُصلي

❁ فتملكه الغيظ، وسيطر عليه الحنق

❁ ولكنه استجمع قواه الشيطانية الشريرة

❁ وصاح قائلاً بصوة كبير رعاة الغنم:

❁ (يا أيوب! يا أيوب!)

❁ ووقف اللعينُ بانتظار نبي الله الذي لم يأبه به حيث كان مشغولا بمناجاة ربه.

❁ فأخذ اللعينُ يزرع المكان جيئة وذهاباً كالمتقلب على جَمْرِالنيران..

❁ حتى إذا فرغ أيوب عليه السلام من صلاته

❁ عاجله قائلاً بلسان المهموم، وكأنه صاحبُ المصيبة:

❁ يا أيوب! أما تكف عن تلك الصلاة التي شغلتك عن مالك؟!

❁ فسأله أيوبُ غير عابئ:

❁ فماذا وراءك؟

❁ فأقبل عليه اللعينُ، وقال:

❁ غنمك يا أيوب! غنمك ورعاتها! لقد جاء الدور عليها بعد ما حدث لإبلك ورعاتها!

❁ فسأله نبيُ الله عليه السلام مستفسراً:

❁ وماذا جرى عليها هي الأخرى؟!

❁ فشعر عدوُ الله بزهو الانتصار، وقال:

❁ لقد فنت عن آخرها..!

❁ ثم مالَ اللعين برأسه، وأصاخ بأذنيه، مُتحرقا لسماع الجواب!

***

❁ فقال أيوب عليه السلام :

❁ لا ينبغي لك أن تفرح حين أعارك الله، ولا تجزع حين أخذ عاريته.

❁ فتمزق الشيطان غيظا، ثم مالبث أن عاد إلى جنوده خاسئاً مثبوراً.

***

❁ وجمع عدو الله أولياءه من عظماء الشياطين والعفاريت.

❁ وقال لهم ونار الغيظ تُلهب صدره:

❁ لقد عجزت في هذه المرة أيضاً، ولم أستطع أن أكلم قلب أيوب، فماذا عندكم من قوة؟!

❁ فانبرى كبير من العفاريت قائلاً:

❁ عندي من القوة يا سيدي ما إذا شئتُ لتحوّلتْ ريحاً عاصفاً تنسف كل شيء، فآتي على كُل ما عنده حتى لا أُبقي له شيئاً.

❁ فأمره اللعين قائلاً:

❁ فعجّلْ بما عندك من قوة، وأْتِ الحرث والزرع في التو واللحظة..!

***

❁ وأطاع العفريت أمر سيده اللعين

❁ وانقض بكل ما أوتي من قوة على حرث أيوب عليه السلام ومزارعه.

❁ فلم يشعر الزرّاع والفلاحون حتى هبت ريح عاصف فنسفت كل شيء من ذلك حتى كأنه لم يكن.

❁ وعندئذ خرج إبليس اللعين متمثلاً بكبير الفلاحين، وانطلق فرحاً مسروراً يؤم أيوب عليه السلام

❁ فوجده قائما يصلي.

❁ ولم يمهله عدوُ الله حتى يكملَ صلاته ويفرغ من مناجاته.

❁ فما زال يناديه متفجعا بصوت كبير المزارعين، واستمر يخبره بما حدث لزرعه وحرثه.

❁ ولكنّ أيوب عليه السلام كان محلقاً في عالم الملكوت بعيداً عن عالم الملك.

❁ فما كان من إبليس اللعين إلا أن كفّ عن وسوسته، وانتظر فراغ أيوب من صلاته.

❁ ووقف يراقبه وهو يتميز من الغيظ..!

***

❁ وفرغ نبي الله أيوب عليه السلام من صلاته.

❁ ولم يحفل بالوسواس الخنّاس، وكأنه لم يره.

❁ فهمّ عدو الله بالاقتراب منه ، فبادره أيوب عليه السلام قائلاً:

❁ هات ما عندك يا هذا، فماذا حدث هذه المرة؟

❁ فقال له إبليس المتمثل بكبير الزرّاع:

حرثك يا أيوب! حرثك! هبّت عليه ريح عاصف فجعلته قاعاً صفصفا..!

فأشاح عنه أيوب عليه السلام بوجهه، وقال:

الحمد لله حين أعطى وحين نزع، عاريةٌ له واستردها، والله أولى بي وبما أعطاني) .

فرجع عدو الله خاسئاً للمرة الثالثة

وكأن الريح العاتية حين هبت لم تعصف إلا به..!

***

ولكنّ الشرير انقلب إلى شياطينه وأخذ يحزم أمره ويدبر كيده من جديد.

فقرر في هذه المرة أن يصيب كل ما لدى أيوب عليه السلام مالاً فمالا.

وما زال كذلك حتى مرّ على آخره بالهلاك.

وكان أيوب عليه السلام يقابل كل ذلك بالرضا والخضوع لمولاه، وهو يحمد الله ويشكره على البلاء.

فأعجز صبرُه حيلةَ عدو الله ومكرَه..!

***

ولما رأى إبليس اللعين أنه لم ينجح في شيء مع أيوب عليه السلام ..

صعد سريعاً إلى موقفه من السماء.

وقال مخاطباً ربَّ العالمين:

❁ إلهي.. إن أيوب عبدك يرى أنك ما دمت تمتعه بنفسه وولدِهِ فأنت معطيه المال. فهل أنت مسلطي على ولده، فانها وعزتك وجلالك لهي الفتنة المضلة والمصيبة التي لا يقوى عليها صبر الرجال!

❁ فأجابه المولى سبحانه وتعالى، وقال له انطلق، فقد سلطتك على ولده..!

***

❁ وهبط عدو الله منقضاً كلمح البرق

❁ حتى جاء بني أيوب عليه السلام في دورهم ومنازلهم.

❁ فلم يزل يزلزل بهم حتى تهدمت قواعدها.

❁ ثم جعل يناطح الجدران بعضها ببعض ويرميهم بالحجارة.

❁ حتى إذا مثّل بهم كلَ مُثلة رفع بهم دورهم ومنازلهم وقلبها.

❁ فصاروا منكبّين وقد زهقت أرواحهم جميعاً..!

***

❁ وكان أيوب عليه السلام قد اختار لبنيه معلما يعلمهم الحكمة والمعرفة.

❁ وكان أثيراً عنده.

❁ فتمثل إبليس اللعين بذلك المعلم.

❁ ثم انطلق إلى أيوب عليه السلام وهو جريح تسيل دماؤه.

❁ وكان نبي الله قائماً يصلي.

❁ فلما فرغ من نجواه..

❁ ابتدره اللعين قائلاً:

❁ يا أيوب، لو رأيت بنيك كيف عُذبوا، وكيف قُلبوا على رؤوسهم، وكيف سالت دماؤهم وخرجت أدمغتهم من أنوفهم..!

❁ فصمت أيوب عليه السلام ولم يجبه بشيء.

❁ ولكن إبليس اللعين جعل يلحّ بالمصيبة ويقول:

❁ ولو رأيت يا أيوب كيف شُقت بطونهم، وتناثرت أمعاؤهم، لتقطّع قلبُك..!

***

❁ ولم يزل اللعين يكرر ذلك وهو يظهر الحسرة والهم والحزن حتى رق قلب أيوبَ عليه السلام.

❁ فلما رقّ نبي الله لولده وذريته وأخذته الشفقة بهم.

❁ فانه أخذ قبضة من التراب ووضعها على رأسه حزناً وكمداً..

❁ وحينها.. حانت الفرصة للشيطان المريد..!

***

❁ ولما بدا ذلك من نبي الله أيوب عليه السلام في لحظة رقة وجزع.

❁ فان إبليس اللعين اغتنم هذه الفرصة بعد أن كان قد يئس من صبر أيوب.

❁ وصعد سريعاً إلى موقفه المعتاد من السماء.

❁ وهو يتمايل فرحاً وسروراً بالذي كان من جزع أيوب

***

❁ ولكنّ فرحة اللعين لم تدم

❁ حيث كان أيوب عليه السلام قد رجع إلى ربه فتاب واستغفر

❁ وكان قرناؤه من الملائكة قد صعدوا بتوبته.

❁ فبدروا إبليس إلى الله تعالى

❁ فوقف إبليس خاسئاً ذليلاً

❁ ولكنه لم يتراجع عن كيده لأيوب عليه السلام

❁ فخاطب ربَّ السماوات والأرض قائلاً:

❁ يا إلهي.. إنما هوّن على أيوب ماذهب منه أنك متعته بنفسه! فهل أنت مسلطي على جسده؟ فانك إن ابتليته في جسده ظهر كذب عبوديته لك، وكفر بك..!

❁ فقال الله عز وجل: انطلق.. فقد سلطتك على جسده، ولكن ليس لك سلطان على لسانه، ولا على قلبه، ولا على عقله..!

***

❁ وانقضّ عدو الله مسرعاً نحو أيوب عليه السلام.

❁ فوجده ساجداً.

❁ فضحك في نفسه وقال: (وإنها لآخر سجدة منك يا أيوب)..!

❁ ثم أتاه في موضع في وجهه..

❁ ونفخ فيه نفخة شيطانية ملتهبة

❁ فاشتعل جسد نبي الله أيوب عليه السلام

❁ حتى صار قرحة واحدة

❁ ووقعت فيه حكّة لا يملك نفسه عنها.

❁ فلم يزل يحكّ بدنه حتى تقطع لحمه وتغير وتناثر..

❁ بينما كان عدو الله إبليس يراقب المصيبة وهو يتقافز بهجة وسروراً.

***

❁ واشتد البلاء بجسد أيوب عليه السلام

❁ فشمت به أهل قريته من الأعداء والمشركين..

❁ وحملوه إلى خارج القرية وهم يلومونه على ما كان منه من العبودية لإلهه الواحد.

❁ وأخذوا يعيّرونه بإلهه هذا

❁ ويسخرون منه ومن ربه، وهم يقولون:

❁ يا أيوب! لو كان إلهك هذا قادراً لشفاك ونجّاك من هذا البلاء

❁ ومنهم أيضاً من يقول:

❁ يا أيوب! أما لو كان إلهك هذا يحبك، لما تسلط عليك وعلى أبنائك وأموالك، فهلا عدت إلى ما نعبد وما كان يعبد آباؤنا..؟!

❁ ولكن أيوب عليه السلام كان دائم التسبيح والتحميد والتبجيل لربه الكريم الذي إذا شاء أعطى وإذا شاء منع..!

***

❁ ورفض أهل القرية أيوب عليه السلام ..

❁ ووضعوه مهملاً في عريش خارج القرية.

❁ فبقي أيوب عليه السلام وحده في خلوته موّطنا نفسه على بلاء ربه وشماتة أعدائه..!

❁ ولكنّ شخصاً واحداً فقط لم يقاطعه حين قاطعه الناس..

❁ ولم يجفه حين جفاه الناس..

❁ ولم يشمت به حين شمت الناس.

❁ ولم يهمله حين أهمله الناس..

❁ وهي زوجته وامرأته رحمة بنتُ أفرايم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام

***

❁ وذات يوم..

❁ عادت (رحمة) إلى زوجها أيوب عليه السلام بحاجة له من القرية..

❁ فوجدت عنده ثلاثةً من أصحابه

❁ ففرحت فرحاً شديداً حيث كانت تؤلمها وحدة أيوب وقد انفضّ الجميع عنه..

❁ سوى أن فرحتها لم تلبث أن تبدلت إلى غصة وحزن..!

❁ فوقفت تراقب الجميع مشدوهة..!

***

❁ كان أصحاب أيوب عليه السلام يصرخون فيه تارة ويصيحون..!

❁ وتارة يلومونه، ويعنّفون

❁ وتارة أخرى يتهمونه، ويرفضون..!

❁ بينما كان أيوب عليه السلام يصغي منصتاً ودموعه تحرق أهدابه الذابلة..!

❁ وكان من بينهم شاب أخذته الشفقة بأيوب عليه السلام في موقفه الكسير ذاك.

❁ فلام الآخرين على ما كان منهم وما عيروا به أيوب عليه السلام ..

❁ واستمر الجدل والنقاش بين الأصحاب دون أن يفارقوا دين أيوب عليه السلام.

❁ ولكنّ لومهم كان عنيفاً..!

❁ فأشاح عنهم أيوب عليه السلام بوجهه، وقال لهم معرضاً:

❁ قوموا عني، فلأنتم أشد عليّ من مصيبتي..!

***

❁ وتوجه أيوب عليه السلام إلى ربه، وجعل يناجيه قائلاً:

❁ (إلهي.. ليتني أعلم ماذا أذنبتُ وماذا أخطأت حتى حلّ عليّ غضبك..!

❁ إلهي.. لماذا صرفت وجهك الكريم عني..!

❁ إلهي.. لو كنت قد ألحقتني بآبائي لكان الموتُ أجمل بي داراً وقراراً.

❁ إلهي.. إنني عبدك الذليل، فان أحسنتُ فالمن لك يا مولاي، وإن أسأتُ فبيدك عقوبتي..

❁ إلهي.. تقطعت أصابعي، وتساقط لحم رأسي، وورم لساني، وتقطعت

أمعائي في بطني، وهلك أولادي، وملّني أهلي، وعقّني أرحامي، وتنكرت لي معارفي..!

❁ إلهي وإن سلطانك هو الذي أسقمني وأنحل جسدي.. فلك العتبى حتى ترضى..) !

❁ وكانت (رحمة) تجلس غير بعيد، وهي تبكي بصوت العاجز المفجوع، والمشفق الذي لا يملك حولا ولا قوة.

❁ بينما كان إبليس اللعين يراقب الموقف عن قرب، فجزع من صبر أيوب عليه السلام وقد وجده لا يفتر عن ذكر الله والثناء عليه رغم ما أجراه عليه من عظيم البلاء.

❁ فانقلب مذموماً مدحوراً وهو لا يدري ماذا يفعل مع هذا العبد الصابر المنيب..!

***

❁ أعيا صبرُ أيوب عليه السلام جميع حيل إبليس اللعين، وردّ عليه كل مكائده..!

❁ فكلما جاءه بحيلة، وتسلط عليه ببلاء وجده صابراً شاكراً.

❁ فصرخ اللعين صرخة جمع فيها جنوده من أقطار الأرض جزعاً من صبر أيوب النبي عليه السلام، والحزن يمزق كل كيانه، والهم يلقي بأطنابه على قلبه المكلوم الغارق في مستنقع الشرور والآثام..!

***

واجتمع جنود الشيطان في طرفة عين..

فلما وجدوا سيدهم حزيناً مهموماً، سألوه عما يقلقه ويضجره..

فأجابهم وقد نفد صبره:

لقد أعياني هذا العبد الذي سألت الله أن يسلطني عليه وعلى ماله، فلم يزدد إلا صبراً وثناءاً على الله..!

فأجابوه قائلين:

لقد جئنا بكل ما لدينا من سلطان وقوة، وهاهو أيوب في حالة لا يُحسد عليها.

فصرخ فيهم اللعين : لقد افتُضحت وربي، فاستغثت بكم لتغيثوني عليه..!

فوجل جنود الشيطان رهبة من سيدهم الجبار، ولكن كبيرهم قال له:

فأين مكرك، وأين علمك الذي أهلكت به من مضى..؟!

فأجابه إبليس اللعين:

بطل ذلك كله في أمر أيوب، فهيا أشيروا عليّ، وإلا هلكتم أجمعين..!

***

وأخذ جنود إبليس يُعملون فكرهم الشرير..!

وبعد ساعة، كانوا قد أحكموا حيلة شيطانية جديدة.

فاقبل كبير منهم وقال لسيده:

أرأيت آدم حين أخرجته من الجنة؟

❁ فأجاب الملعون: نعم..

❁ فقال الشيطان المارد:

❁ فمن أين أتيته؟!

❁ فالتمعت عينا إبليس اللعين، وأجاب:

❁ من قبل امرأته.

❁ فصاح جنود إبليس جميعاً قائلين:

❁ فأتِ أيوب من قبل امرأته، فانه لا يوجد من يقربه غيرها..!

***

❁ ولم يُضع عدو الله لحظة من وقته بعد ما رأى من صواب المشورة الشيطانية..

❁ فانطلق حتى أتى (رحمة) وهي تبكي لوعة وألما بالقرب من زوجها أيوب.

❁ فتمثل لها اللعين في صورة شيخ كبير، وقال لها:

❁ أين بعلك يا أمة الله؟!

❁ فأجابت: هو ذاك يحك قروحه، ويتردد الدود في جسده، وقد أهلك الله ماله وولده.

❁ فلما سمع اللعين منها ذلك، طمع منها في كلمة جزع ينفذ خلالها إلى أيوب!

❁ فأخذ يوسوس لها، ويذكّرها بما كانت فيه من النعيم والمال وراحة البال.

❁ ولما وجدها وقد اشتد بكاؤها، راح اللعين يشدد من وسوسته لها، فذكّرها

بجمال أيوب وشبابه، وما كانت فيه من طيب عيش وحسن حال.

ثم تظاهر اللعين بتركها وحدها بعد أن وسوس لها بأن ما هم فيه من الضر لا ينقطع عنهم أبداً..!

***

وصرخت (رحمة) ، ثم شهقت شهقة متحسرة كادت تذهب بنفسها

فعاد إليها إبليس اللعين، وقال لها:

أفما تريدين أن يبرأ زوجك ويعود إليكما ما كنتما فيه من نعيم ورخاء..؟!

ونظرت إليه (رحمة) نظرة المتلهف

فعلم منها الجزع..!

فأعاد عليها سؤاله موسوسا لها بالأمل..

فأجابت بحسرة اليائس: نعم! ولكن كيف يكون ذلك..؟

فأجابها اللعين بابتسامة خادعة، وهمس لها قائلاً:

لو أن صاحبكِ أكل ذبحاً ولم يسمّ الله عليه، لعوفي مما به من البلاء، وعاد إليه ماله وولده..!

ثم ابتعد عنا متخفياً..!

***

❁ وانطلقت (رحمة) إلى زوجها أيوب وهي تصرخ..!

❁ ثم أخبرته بما قال لها الشيخ العجوز، وألحت عليه بان يفعل ذلك!

❁ فعلم أيوب عليه السلام بحيلة إبليس اللعين

❁ وغضب على زوجته غضباً شديداً، وأقسم ليضربنّها مائة جلدة إن عافاه الله..!

❁ فلما دُهشت (رحمة) من موقف أيوب، فانه أخبرها قائلاً:

❁ لقد أتاك عدو الله ليفتنك عن دينك..!

❁ وانكفأت (رحمة) تبكي بمرارة.. ثم انطلقت لتبحث عما يسدّ رمقهما من طعام

❁ وعند ذلك ناجى أيوب ربه قائلاً:

❁ ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ﴾..!

***

❁ وجعلت (رحمة) تتردد في الطرقات بحثاً عن لقمة عيش.

❁ ومضى وقت طويل دون أن يشفق عليها أحد.

❁ فعادت إلى زوجها وقد أضناها الهم والعناء.

❁ ولما وصلت إلى المكان الذي كان به العريش، لم تجد العريش ولم تجد زوجها أيوب..!

❁ فاستولت عليها الحيرة، وأخذت تجدّ في البحث هنا وهناك.

❁ فرأت رجلاً جميل المنظر صبوح الوجه، يجلس هناك في حلة بهية.

❁ فهابته، وخافت أن تسأله عن أيوب..!

❁ وجلست تنوح على أيوب وتندب حظها وتتحسر على بعلها.

❁ فدعاها صاحب الحُلة، وقال لها:

❁ ماذا بكِ يا أمة الله..!

❁ فأجابته: أبحث عن زوجي المبتلى الصابر..!

❁ فسألها: فهل تعرفيه إذا رأيتيه؟

❁ فأجابت: لقد كان أشبه خلق الله بك عندما كان سليماً معافى..!

❁ فقال لها: فأنا أيوب الذي طلبت مني أن أطيع إبليس، فقد عصيته وأطعت الله، ودعوت الله تعالى، فرد عليّ صحتي وشبابي ومالي وولدي..!

***

❁ ونظرت (رحمة) فاذا بها في حياتها الأولى، وقد ردّ الله عليها وعلى بعلها أيوب ما كانا فيه من نعيم ورخاء..!

❁ بينما كان الوحي ما زال مجلجلاً في السماء بقول الله تعالى:

❁ ﴿**واذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ**﴾.

❁ ﴿**ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ**﴾.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لأُولِي الأَلْبَابِ﴾.

﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِبْ بِهِ وَلاَ تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّاب﴾.

## لنخرجنك ياشعيب

❁ كان أهل مدين أمة تعيش في شبه الجزيرة العربية قبل الميلاد بنحو ألفي عام.

❁ وكان يحكمهم ملك جبار فاجر مستكبر ولا يطيقه حتى ملوك عصره.

❁ ومع أنهم كانوا في سعة من العيش الرغيد.

❁ إلا أنهم كانوا يعبدون الأصنام

❁ ورغم رخص الأسعار وانخفاضها.

❁ إلا أنهم كانوا يطفّفون الكيل وينقصون الميزان ويبخسون الناس أشياءهم.

❁ ومع أنهم كانوا بخير ويعيشون في أمن واطمئنان ورفاهية.

❁ إلا أنهم عاثوا في الأرض الفساد

❁ ومع ما كانوا فيه من نعمة ورخاء وسعة في الرزق..

❁ إلا أن ملكهم الطاغية أمرهم باحتكار الطعام..!

***

❁ وكان شعيب رجلاً من أهل مدين

❁ وكان يتسم بحسن الخلق ورجاحة العقل، ويتميز بالفضيلة والحكمة والإيمان..

❁ وكان من أحفاد خليل الله إبراهيم عليه السلام.

❁ فأرسله الله إلى مدين ليأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويدعوهم إلى عبادة الله الواحد.

❁ ولما كان شعيب عليه السلام خطيبا محنكاً متحدثاً مفوَّها حتى أنه ليُسمَّى بخطيب الأنبياء..

❁ فانه انطلق إلى قومه مبلّغاً رسالة ربه.

***

❁ ودعا شعيبٌ عليه السلام قومه قائلاً:

❁ **يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾.**

❁ وبعد أن دعاهم إلى التوحيد ونبذ الشرك ورفض الوثنية، أخذ ينهاهم عن المنكر فقال لهم مواصلاً دعوته:

❁ **وَلاَ تَنْقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ﴾.**

❁ ثم أنذرهم بالعذاب إن هم أصروا على أباطيلهم الفاسدة، فقال:

❁ **﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾.**

***

❁ وواصل شعيب عليه السلام دعوته، آمراً قومه بالمعروف، ناهياً إياهم عن المنكر، فقال:

❁ **﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ**

وَلاَ تَعْثَواْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

❁ وتناول نبي الله شعيب عليه السلام في دعوته إلى قومه مظاهر الفساد الاجتماعي، فخاطبهم بقوله:

﴿وَلاَ تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجا﴾.

❁ ورأى شعيب عليه السلام أن يذكرهم بإحدى النعم الالهية الكبرى عليهم، فقال:

﴿وَاذْكُرُواْ إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾.

❁ ثم أنهى نبيّ الله حجته على قومه من أهل مدين بقوله:

﴿بَقِيَّتُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾.

***

❁ وسخر أهل مدين من دعوة شعيب عليه السلام.

❁ وأخذوا في محاججته ومجادلته، فقالوا له:

❁ ﴿يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاؤُا إِنَّكَ لأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾.

❁ وكما أنكروا عليه حجته، رد عليهم شعيب عليه السلام حجتهم، فقام خطيباً فيهم، وقال:

❁ ﴿يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾.

❁ فثاروا في وجهه، وقابلوا موعظته بالاستهزاء والاستنكار. ولكنّ شعيباً عليه السلام أوضح لهم هدفه من دعوته قائلاً:

❁ ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيب﴾.

❁ ولكن القوم لبثوا في ضلالهم يعمهون، وصمّوا آذانهم عن دعوة أخيهم شعيب عليه السلام.

***

❁ وشاع الخبر في المدينة.

❁ فخشي الملك الجبار من أن تجد دعوة شعيب طريقها في أوساط القوم.

❁ فأرسل إليه بالقدوم عليه، عساه يقنعه برأيه ويثنيه عن دعوته، ويجعله يكف عن موعظة الناس.

***

❁ وقدم شعيب عليه السلام إلى الملك الطاغية.

❁ وكان الملك يتربع على عرشه تحوطه فنون الأبهة والعظمة، وحوله حشمه وبلاطه.

❁ وثار في روعه أن سلطانه وعظمة ملكه ستكون سبباً في التأثير على شعيب.

❁ فلما دخل عليه شعيب عليه السلام، بادره الملك قائلاً في عظمة وجبروت:

❁ يا شعيب! سمعنا أنك قدمت بدين جديد، وأنك تريد أن تصدنا عما كما يعبد آباؤنا.

❁ فأجابه شعيب: بلى، وإنه لدين التوحيد والعبودية لله الواحد الأحد ونبذ عبادة الأوثان التي لا تجدي نفعاً ولا فتيلا.

❁ فضحك الملك، وسأل شعيباً عليه السلام قائلاً:

❁ أتريد بها ملكاً وسلطاناً يا شعيب، ومالك من عزة ولا سابقة في الملك؟!

❁ فأجابه شعيب عليه السلام :

❁ أيها الملك، إن العزة لله جميعاً، وما أريد إلا الإصلاح لا المُلك والسلطان.

❁ فسأله الملك:

❁ إذا كان الأمر كذلك، فماذا تقول في صُنعنا، أهو صلاح أم فساد؟ وهل أنت راضٍ أم ساخط؟

❁ فأجاب شعيب بحول الله، والوحي يجري على لسانه:

❁ لقد أوحى الله إليّ بأن الملك إذا صنع ما صنعت، يقال له ملكٌ فاجر!

❁ فغضب الملك وثارت ثائرته وأمر بإخراج شعيب في الحال..!

***

❁ وبالغ أهل مدين في رفض دعوة نبي الله شعيب عليه السلام.

حتى أنهم انتدبوا من بينهم فرقاً وجماعات تقطع الطريق على كل من يقصد شعيباً عليه السلام للايمان به.

وكانوا يخوفونهم بالقتل وسلب الأموال والذراري.

ويتهمون شعيباً عليه السلام بالشقاق والضلال والضعف.

بينما كان شعيب عليه السلام مازال يتحدى الصعاب، ويتصدى للأباطيل الزائفة، وهو يقول:

﴿مَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيب﴾.

***

وواصل شعيبٌ عليه السلام دعوته رغم غضب الملك الجبار ولجاجة قومه.

وكانوا كلما زادوا إنكاراً زادهم شعيب عليه السلام وعظاً وإرشاداً

فلما بالغوا في ضلالهم واستهزائهم، فان شعيباً عليه السلام حذرهم من عواقب أعمالهم وذكرهم بالأمم الماضية، وقال لهم:

﴿يَا قَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾.

ودعاهم إلى الاستغفار والتوبة، قائلاً:

﴿وَاسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾.

***

وبدلاً من أن ترقّ قلوب أهل مدين لنصائح أخيهم شعيب عليه السلام ..

فانهم هددوه بالأخراج هو ومن آمن معه، وقالوا له:

﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾.

فثبت قلب شعيب وازداد المؤمنون إيمانا غير آبهين بالتهديد والوعيد.

ثم مالبثت أن تصاعدت وتيرة الأحداث

فاجتمع أهل مدين على شعيب عليه السلام وقابلوا دعوته بالتجاهل والتهديد بالرجم هذه المرة وقالوا:

﴿يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْ لاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾.

فأجابهم شعيب عليه السلام بشفقة وحكمة وقال:

﴿يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.

ثم ألقى عليهم حجته الأخيرة قائلاً:

﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُواْ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾.

***

ولكن أهل مدين لم يعودوا عن فسقهم وكفرهم واتهموا شعيباً عليه السلام بأنه مسحور، وأنه كاذب.

❁ فلما يئس شعيب عليه السلام من إيمانهم، دعا ربه قائلاً:

﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾.

❁ فجاء أمر الله.

❁ وأرسل الله عليهم الحرّ والغيم حتى صار ماؤهم حميماً.

❁ فانطلقوا إلى أيكة لهم..

❁ فرفع الله سبحانه لهم سحابة سوداء

❁ فاجتمعوا في ظلها..

❁ فأرسل الله عليهم ناراً منها فأحرقتهم وأخذهم عذاب يوم الظلة..

❁ ثم أخذتهم الصيحة والرجفة فأصبحوا في ديارهم جاثمين، كأن لم يغنوا فيها!

❁ ألا بُعْداً لمدين كما بعدت ثمود.

❁ ونجىّ الله شعيبا والذين آمنو معه برحمة منه، وهو الذي ينصر رسله والذين آمنوا في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

***

❁ وتولّى شعيبٌ عليه السلام عن قومه الظالمين الذين أخذهم العذاب.

❁ وأخذ يقول غير أسٍ عليهم ولا آسف:

﴿ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾.

❁ والتجأ شعيب عليه السلام إلى ربه ذائباً في حبه

❁ وظل يبكي من حب الله عز وجل حتى عمي ثلاث مرات والله يرد عليه بصره..

❁ فلما كانت الرابعة.

❁ أوحى الله تعالى إليه:

❁ يا شعيب! إلى متى يكون هذا منك؟ إن كان خوفا من النار فقد أجرتك، وان كان شوقاً إلى الجنة فقد أبحتك!

❁ فقال شعيب عليه السلام :

❁ إلهي وسيدي، إنك تعلم أني ما بكيت خوفا من نارك ولا شوقاً إلى جنتك، ولكن عُقد حبك في قلبي، فلست أصبر أو أراك.

❁ فأوحى الله تعالى إليه:

❁ أما إذا كان هكذا، فمن أجل هذا سأخدمك كليمي موسى بن عمران..!

***

❁ وتحقق الوعد الإلهي.

❁ فأخدم الله تعالى حبيبه شعيباً عليه السلام كليمه موسى عليه السلام عشر سنوات.

❁ حتى كان ما كان من أمر موسى عليه السلام في طريق عودته إلى مصر مع ابنة شعيب عليه السلام التي كان قد زوّجه إياها..

❁ ولكنّ شعيباً عليه السلام كان ما زال يبكي شوقاً إلى رؤية الله ولقائه.. حيث

كان بكَّاءاً..

فقبضه الله إليه بعد مائتين واثنتين وأربعين سنة عاشها في ظلال الحب الالهي والرسالة السماوية.

فكان شعيبٌ عليه السلام رابع الأنبياء الخمسة الذين بعثهم الله تعالى من العرب، وهم: هود، وصالح، واسماعيل، وشعيب،وخاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وآله.

وعسى أن يكون ذلك سبباً في أن كتبة التوراة اليهودية لم يُسموه نبياً ولا رسولاً، بل أطلقوا عليه اسم (رعوئيل كاهنُ مِدْيَان) ..!

***

ومضت القرون والأزمان..

حتى كان زمان هشام بن عبد الملك..

فأرسل رجلاً يسمى (سهلَ بنَ سعيد) ومعه جماعة ليحفروا له بئراً في رصافة عبد الملك.

فأخذوا يحفرون ويحفرون، ولم يظهر لهم ماء..

حتى إذا همّوا بمغادرة المكان..

ظهرت لهم جمجمة..

فاحتفروا ما حولها..

وإذا هم برجل طويل قائم على صخرة وعليه ثياب بيضاء..

❁ وكانت كفه اليمنى على رأسه على موضع ضربة فيها..

❁ فنحوا يده عن مكانها..

❁ فسالت الدماء..

❁ ثم ردوها إلى ماكانت عليه

❁ فسدّت الجرح

❁ فعجبوا لذلك عجبا شديداً..!!

***

❁ وفي هذه الأثناء..

❁ نظر أحدهم إلى ثياب الرجل البيضاء.

❁ وإذا بين طياتها كتاب مكتوب فيه:

❁ أنا شعيب بن صالح، رسولُ رسول الله شعيب النبيّ عليه السلام إلى قومه، فضربوني وطرحوني في هذا الجب، وهالوا عليَّ التراب، وحبسوني في هذا الحفر إلى أن يبعثني الله وأخاصمَهم يومَ القيامة..!!

## ذروني أقتل موسى ..

❁ أمر فرعون مصر بأن يأتوه بالكاهن الأكبر لينبئه عما يكون في مستقبل الأيام كعادته كل عام.

❁ وكان القصرُ المشيدُ على ضفاف النيل يتألق كجوهرة تحت أشعة الشمس المشرقة.

❁ بينما تحفه البساتين والمزارع الخضراء، وتفورُ حوله العيون، وتجري من تحته الأنهار والينابيع.

❁ وكان المشهد أشبه بحلم في يوم ربيعي زها بالألوان الوردية البهيجة..

❁ سوى أن السماء لم تكن صافية على ما يرام..!

***

❁ وانطلق البخور الكهنوتي من محارق المعبد الكبير في قصر الفرعون.

❁ ودخل الكاهن الأكبر في حلته الرسمية يتبعه الكهنة والكتبة والمنجمون وعلماء الفلك والسحرة محاطين بمظاهر الأبهة والجلال.

❁ بينما كانت أصوات الموسيقى تنسابُ في أرجاء المعبد في إيقاع هادئ تحت ألقِ الأضواء الخافتة.

❁ والطقوس تجري بدقة ونظام

والقرابين تُقدم للفرعون_ الإله..!

***

وجلس الفرعون على عرشه المطهّم بالذهب والجواهر واليواقيت وقد وضع على رأسه تاجه العظيم متكئاً على مسند المُلك.

وعلى يمينِهِ وليُّ عهده..

بينماعلى يساره تجلسُ زوجته المحبوبة وابنتُه الأثيرة.

وخلفه تمثال حوروس ورجاله بملابس الحرسِ الفرعوني..

وعلى مقربة منه يجلس كاتبه وأمامه لفافة من ورق البردي.

***

وجاء الكاهنُ الأكبر..

واقترب من عرش الفرعون..

فقبّل الأرض بين قدميه وقدم له فروض الطاعة والولاء والعبودية..

ثم استوى واقفاً في انتظار الأمر الفرعوني.

وعمّ الصمت وخيم السكون وتشنفت الآذان

فقال الفرعون:

أيها الكاهن! أخبرني بخبر النجوم وارفع ستار الغيب عن أنباء المستقبل.

وندّت عن الكاهن رعشة، وارتجفت جوارحه، وبدا عليه التمهل وكأنه يؤثر الصمت.

فابتسم الفرعون وقد أعجبه خضوع الكاهن وتذلُّله في حضرته..

فقل له مادحاً:

يا كاهن مصر الأكبر، وقديس النيل واهب الحياة! تحدث وإنك لمن المقربين.

فاستجمع الكاهن حواسه، ثم قال بصوت متهدج وكأنه يخرج من أعماق الأرض منبعثاً في أقطار الفضاء:

أيها الفرعون العظيم، يا نفحة الشمس، وواهب الأنفاس لشعب مصر وعبيدك الأوفياء! يا من يجري النيل بأمرك، وتشرق الشمس بكبريائك، وتخضر البراعم بلطف عظمتك! عندي من خبر النجوم ما قد تأباه عزتك!!

فبدى التوجس على ملامح الفرعون، ثم قال:

تحدث ولا تخف، فما أنت سوى مخبرٍ لا مدبّر!

فقال الكاهن:

دام ظلك أيها المليك العظيم! يولد في بني اسرائيل غلام يجاهر بعدائك ويسلبك ملكك، وقد أظلك زمانه الذي يولد فيه!!

***

وخرج الأمر الملكي في الحال..

فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني إسرائيل.

❁ وانطلق الجلاوزة يجوبون الشوارع ويقتحمون المنازل.

❁ فقتلوا كافة الغلمان من بني اسرائيل

❁ وذبحوا كل من كان يولد منهم

❁ حتى أنهم كانوا يعذبون النساء فيضعن حملهن، ثم يذبحون المواليد أمام عيون الأمهات والآباء.

❁ فأسرع الموت في بني إسرائيل

❁ وعمهم الهلع والخوف..

❁ وظل الأمر الفرعوني قيد التنفيذ على مدى أعوام طويلة..

❁ حتى ظن الفرعون أنه قضى على غريمه..

❁ فعاد إليه هدوء البال.

❁ وارتد يتقلب مسروراً في النعمة والرخاء

***

❁ حتى كان ذات صباح..

❁ فخرجت امرأة فرعون بوصيفاتها وجواريها ليغتسلن في مياه النيل..

❁ وأثناء ذلك..

❁ إذا بتابوت مقبل تضرب به الأمواج نحو الشاطئ

❁ فأصبن بالدهشة والعجب..

❁ ورحن يتصايحن ويتراشقن بالمياه..

❁ وأطرقت امرأة فرعون هنيهة..

❁ ثم أمرت بانتشال التابوت من الماء..

❁ وإذا بطفل صغير وديع ينظر إليها بهدوء وبين عينيه هالة من النور..!

***

❁ وحملت امرأة فرعون الطفل الصغير بحنان إلى القصر وقد وقع حبه في قلبها

❁ وسارت إلى زوجها وقد ضمت الرضيع إلى صدرها وكأنه وليدها..

❁ فلما وقع عليه نظر الفرعون..

❁ داخله الحذر، وصاح قائلاً:

❁ اقتلوه..! فانه من العبريين!!

***

❁ وتقدم أحد الحرس ليذبح الرضيع بشفرته..

❁ فشهقت امرأة فرعون، وأقبلت على زوجها..

❁ واستعطفته قائلة:

❁ قرةُ عينٍ لي ولك، لا تقتلوه، عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا..!

❁ ورق فرعون لامرأته..

❁ فرفع يده آمراً الحراس بالابتعاد عن الطفل.

❁ ثم أشاح عنه بوجهه، وانصرف إلى شأنه.

***

وفرحت آسية فرحة غامرة، وسُرت أيما سرور..!

وحملت الطفل بسرعة إلى وصيفتها..

وأوكلت إليها أمر إرضاعه والعناية به.

ثم داعبت الطفل الذي كان يمص إبهامه جوعاً، وقالت له:

لا عليك يا صغيري! سآتي لك بالمراضع جميعاً حتى تصير شاباً فتياً في طرفة عين..!

بينما كانت كلمات الله المنقوشة على عرش القدرة تقول:

﴿فَالْتَقَطَهُ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَاطِئِينَ﴾.

***

وجاءت وصيفة آسية زوجة فرعون بخبر مرضعة من مراضع القصر لترضع الوليد الذي انتُشل تواً من مياه النيل.

وكانت الأوامر الملكية قد صدرت بضرورة إيلاء العناية الفائقة لهذا الرضيع.

ولأنهم لم يكونوا قد أعدّوا له اسما مسبقاً كعادة مواليد القصور..

فانهم أطلقوا عليه اسم (موسى)

ولم يكن هذا اسما بلا مسمى بالطبع .

فماذا يعني إذاً..؟

❁ قيل بأنه اسم مركب من لفظين بالهيروغليفية، الأول (مو) ويعني الماء، والثاني (سى) ويعني الشجر، حيث وُجد التابوت الذي كان به بين الشجر على وجه الماء.

❁ ولربما قيل أيضاً غير ذلك!

❁ نعم يا صديقي، فكلمة (موشيه) تعني باللغة العبرية (المخلَّص) و(المخلِّص) أي اسم مفعول واسم فاعل في آن واحد.. ويقال بأن سبب ذلك هو أن زوجة فرعون انتشلته من الماء وخلصته من الغرق..!

***

❁ ولكن، يا صديقي، سيبقى إشكال على هذه التسمية عند ذلك!

❁ وما هو؟

❁ لربما قيل كيف أطلقوا عليه اسما عبرياً في قصر فرعون وهم كانوا يحتقرون العبريين ويسومونهم سوء العذاب؟

❁ إشكال وجيه حقا. ولكن ربما وافق اللفظُ في الهيروغلفية نفس اللفظ في العبرية كما هو واضح من المعنى.

❁ وربما تدخلت العناية الالهية أيضاً في ذلك الأمر وهم لا يعملون بالحقيقة..!

❁ ولم لا؟ وقد قال الله تعالى بهذا الشأن:

❁ ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لاَ تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ

يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾

***

❁ فدعنا الآن، يا عزيزي ، نلقي نظرة على موسى وهو في مهده يمص إصبعه استدراراً للحليب!

❁ نعم يا أخي. جاءوا له بخير مرضعة في القصر فلم يرضع منها..!

❁ ثم...؟!

❁ ثم جاءوا له بمرضعة ثانية وثالثة، فكان موسى يرفض المراضع واحدة تلو الأخرى، مما أوجد أزمة محيرة في قصر الفرعون!

❁ وعندئذ..؟!

❁ وعنئذ إذا بفتاة على باب القصر بعد أن شاع الخبر في المدينة، وهي تقول لهم: هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون؟!

❁ فهل قبلوا بهذا العرض؟!

❁ وهل كان أمامهم خيار آخر وهم الحريصون على حياة الوليد لكي يكون قرة عين لفرعون وامرئته!!

***

❁ ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلاَ تَحْزَنَ﴾.

❁ ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾.

❁ ولكن يا صديقي من كانت أمه؟ وكيف حدث هذا التسلسل العجيب

في هذه القصة المدهشة؟

نعم، يا عزيزي، أمه كانت تسمى (يوخابيد) على ما قيل وكانت من بني إسرائيل. فلما حملت بطفلها لم يظهر عليها أثر الحمل، وبذلك لم يبقر رجال فرعون بطنها ويذبحوا جنينها!

فلما وضعته؟!

لما وضعته أوحى الله إليها أن أرضعيه، فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادّوه إليك وجاعلوه من المرسلين.

في اللتدبير الإلهي!!

إنها مشيئة الله يا أخي، وفي ذلك قصة أخرى فريدة..!

فما هي هذه القصة..؟

انتظر قليلاً لأقلّب بعض الأوراق..!

***

هل وجدتها يا عزيزي..؟

نعم، يا صديقي وجدتها، فاقرأ معي ما كُتب في كُتب السّيَر.

لما اقترب ميلاد موسى عليه السلام

كانت لأمه قابلة مصافية لها من المصريين

فلما ضربها الطّلق..

أرسلت إليها فجاءتها وقامت على أمرها حتى وُلد موسى.

❁ فلما خرج من بطن أمه هالها نور بين عينيه..!

❁ فارتعدت مفاصل القابلة، ودخل حبه في قلبها، فعزمت على ألا تخبر بأمره قصر الفرعون..!

***

❁ ولكن.. عندما خرجت القابلة أبصرها بعض العيون..!

❁ فسألوها..

❁ فأنكرت..!

❁ فجاءوا ليدخلوا على أم موسى.

❁ فأسرعت أخته إلى أمها وأخبرتها بأن الحرس بالباب..!

❁ فطاش عقلها، ووضعته جانباً وهي لا تدري ماذا تفعل..!

❁ وكان الحرس قد أقتحموا الدار..!

***

❁ بحث الحرس هنا وهناك

❁ وجدّوا في العثور على الوليد ليذبحوه كما أمر الفرعون.

❁ وبعد بحث دقيق.

❁ عثروا على خرقة ملفوفة..

❁ فتأهبوا لذبح الطفل الصغير..

❁ وعندما فتحوا تلك الخرقة..

لم يجدوا بها شيئاً..

فخرجوا مسرعين، ونجا موسى عليه السلام من الذبح بأمر الله وعنايته..!

***

وأرضعته أمه حتى سرى الدفء بينهما ثم وضعته بعناية في التابوت وألقته في اليم نزولاً على الأمر الالهي.

فحملته الأمواج بعيداً، بعيدا، إلى القدر المرسوم.

بينما وقفت أمه وحيدة على الشاطئ وهي تنظر حزينة إلى كبدها فوق الأمواج الجارية.

ولكنها كانت حريصة على معرفة مصيره..فقالت لأخته قُصّيه..!

فمشت أخته تتعقبه متخفية بين الأشجار والحشائش وأوراق البردي.

حتى ألقاه اليم إلى الساحل

والتقطه آل فرعون

فبصرت به أخته عن جُنُبٍ وهم لا يشعرون.

وكان ما كان..!

فحرّم الله عليه المراضع

ثم رده الله إلى أمه كي تقرّ عينها ولا تحزن..!

***

امتنع موسى عن المراضع جميعا ورفض المرضعات واحدة بعد الأخرى.

فوقع قصرُ فرعون في حيرةٍ شديدة، وهال آلُ فرعون أن يموتَ الرضيعُ الذي شاءوا أن يتخذوه ولدا.

وكلما حاولوا محاولة جديدة لإرضاع الطفل باءت بالفشل.

فبينما هم على هذه الحال، وإذا بصبيّةٍ يافعة تقفُ على بابِ القصر وتخبرُهم أنها تعرفُ امرأة ترضعه.

ومع أن آل فرعون كانوا على حذر شديد، إلا أنهم أرادوا أن يتداركوا أمر الرضيع بكافة الوسائل (ولكن أكثَرهم لا يعلمون) ..!

***

عادت الصبيّة بامرأة زعمت لهم بأنها سترضعه وترعاه وتشفق عليه وتكفله.

فلما سألوها عن اسمها، قالت:

اسمي (يوخابيد) .

فأظهروا امتعاضاً شديداً عندما علموا أنها من العبريين، وحالوا بينها وبين الطفل.

ولكن بكاء الطفل الجائع ارتفع في مهده بقوة مما أقلق القوم.

فجاءت آسيةُ، وأمرت الوصيفاتِ بقبولِ المرضعة الجديدة حتى لو كانت عبرانية.

فتلقفته (يوخابيد) وضمته بحنان إلى صدرها.

❁ وشعر موسى بدفء بدن أمه، فأخذ يمتصُ الحليبَ بشراهة من صدرِها وقد هدأ وكف عن البكاء.

❁ وعمّت القصر فرحةٌ شديدة جعلت القومَ يتناسون الأمرَ برمّته وينصرفون إلى العناية بالطفل الرضيع..!

***

❁ ومضت شهور وأعوام

❁ وموسى يشب في قصر فرعون مراعيا للتقاليدِ الملكية.

❁ حتى بلغ أشدَهُ واستوى شاباً فتيّاً.

❁ فلما بلغ أشده، واستوى، آتاه الله حكما وعلماً.

❁ وكذلك يجزي اللهُ المحسنين.

❁ حتى أن فرعون مصر كان يوكل إليه الكثير من الأعمال السياسية والعسكرية والعمرانية.

❁ كما كان يشركهُ في أمورِ إدارةِ البلاد أحياناً، إعداداً له لولايةِ العهد وخلافته في أمره، وإن كان ينكرُ عليه بعضَ أفكارهِ الدينية.

❁ فكان موسى عليه السلام يركب مراكب فرعون، وكانوا يدعونه (موسى بن فرعون) ..!

***

❁ وذات يوم..

ركب فرعون..

وركبَ موسى معه في أثره.

فأدركه المقيل في مدينة (منف) العاصمة شمال مصر على ضفاف النيل.

وكان الحرُ شديداً وقد هجع أهلُ المدينة للقيلولةِ، وأغلقت الأسواقُ أبوابَها وخلت الشوارعُ وقت الظهيرة.

فلما دخل موسى على هذه الحال.

وجد فيها رجلين يقتتلان

هذا من شيعته من بني إسرائيل

وهذا من عدوه من آلِ فرعون

وكان الثاني خبازاً لفرعون على ما قيل.

وكان النزاع قد اشتد فيما بينهما، وارتفعت أصواتهما، وعمّت الجلبة والضوضاء.

***

واقترب موسى من الرجلين.

فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه.

وسألهما موسى عن خطبهما

فقال له الذي من شيعته :إن هذا يقولُ بعبادةِ الفرعون، وأنا أقول بعبادة

الله الواحد، وقد أمسكَ بي ليسلمني إلى القصر.

فقال موسى للذي من عدوه:

ما دليلكُ على ما تقول به من دينِك؟

فأجاب الفرعوني: إنّ فرعون هو ربي فهو يرزقني ويطعمني ويسقيني.

فسأله موسى:

ومن الذي يرزقُ فرعونَ ويطعمُه ويسقيه؟!

فلم يُحْرِ الفرعوني جواباً، وانكر على موسى كلامه.

وأراد الذهابَ بالذي هو من شيعة موسى إلى فرعون ليعاقبه على دينه.

وتدخل موسى ليستخلصه منه.

فنازعه القبطي وقد أمسك بزمام العبراني.

فوكزه موسى، وكان شديدَ القوة والبأس فقضى عليه، وقتله، وهو لا يريدُ قتله!

***

وهرول العبراني بعيداً، ثم مالبث أن اختفى عن الأنظار، وقد لفظ القبطيّ أنفاسه الأخيرة..!

فوقف موسى أمام القتيل مدهوشاً، وغارقاً في بحر من الفكر والتأمل.

ثم ما لبث أن قال مستنكراً الأقتتال في سبيل الباطل كما فعل القبطي:

هذا من عمل الشيطان، إنه عدوٌ مضلٌّ مبين:

ثم توجه إلى الله قائلاً:

(رب إني ظلمت نفسي بدخولي هذه المدينة، فاغفر لي، واسترني عن عيونِ القوم، فما كان هذا إلا في سبيلِك).

وعندئذ شعر موسى عليه السلام بأن الشكرَ قد وجب عليه بما آتاه الله من قوة في الحق فناجى ربه قائلاً:

﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ﴾

***

انتشر الخبر في المدينة واستنكر الأقباطُ الحادث

فتوجه ملأ منهم إلى القصر خارج المدينة، وقالوا لفرعون:

إن بني إسرائيل قد قتلوا رجلاً من آلِ فرعون، فخذ لنا بحقنا.

وسألهم فرعون عن السبب، فقالوا:

لأن صاحبنا كان يقولُ بدينِ فرعون، وأما الآخر فيقولُ بإله سواك..!

فغضب فرعون غضباً شديداً، وأصدر أوامره في الحال، وصاح في رجاله:

ائتوني بقاتلِهِ فوراً لأقتص منه..!

***

وركب الحرس في شوارع المدينة

وانبثت العيون

وأخذ الرجال يتتبعون الأخبار

فبينما هم يجولون

إذا برجلين يقتتلان مرة أخرى

أحدُهما عبراني

والآخر من آلِ فرعون..

وإذا بموسى وقد أقبلَ في هذه اللحظة أيضاً

وكان قد أصبح في المدينة خائفاً يتقرب، ولم يعد إلى القصر بعد ما وقع بالأمس.

فاذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه!

وقد بلغ النزاع أشدّهُ بين الرجلين..!!

***

ولم يكن موسى عليه السلام بالذي تأخذه في الحق لومة لائم..

فاقترب من الرجلين..

ولكنه لام الذي من شيعته على إثارة الأجواء في ظروف غير مواتية، وقال له:

إنك لغوي مبين..!

***

وأراد موسى عليه السلام البطش بالذي هو عدو لهما.

فظن الذي هو من شيعته أن موسى عليه السلام يريد البطش به عقاباً له على ما

استنكره منه قبل لحظات.

وخاف أن يقتله بوكزة تقضي عليه

فتعجل الأمر مخافةً وظناً.

وخاطب موسى عليه السلام قائلاً:

يا موسى، أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس؟!

ونظر إليه موسى عليه السلام بعجب ودهشة وقد أفشى نبأ الحادث أمام رجال الفرعون.

ولكنّ العبراني لم يكتف بهذه الاشارةِ التي لم تكن غامضة ولا مبهمة.

فأزم الموقف مخاطباً موسى عليه السلام :

إن تريدُ إلا أن تكون جباراً في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين..!

***

ولم يكن يتوقع رجال فرعون أن يكون القاتل الذي يبحثون عنه هو موسى.

وكانت لموسى عليه السلام هيبةٌ ومكانة عظيمة بصفته ابناً لفرعون كما هو شائع.

فحالت هيبته بينهم وبين إلقاء القبض عليه.

واغتنم موسى عليه السلام هذه الفرصة وأسرع بمغادرة المكان..

بينما عادوا هم إلى قصر فرعون ومعهم العبراني كشاهد عيان على الجريمة..!

***

❁ ولما تحقق فرعون من الخبر غضب غضباً شديداً

❁ وجال في خاطره أن يكون موسى هو ذلك العبرانيّ الذي سيسلبه ملكه..!

❁ وعادت به الذاكرة إلى نبوءة الكاهن

❁ فاستولت عليه الهواجس من جديد.

❁ فصاح في رجاله قائلاً:

❁ اطلبوه في المخابئ والطرق، واذبحوه على الفور، وأتوني برأسه حتى لو كان رأسَ ولدي موسى..!

***

❁ وكان من بين آل فرعون رجل مؤمن يكتم إيمانه إذْ كان على تقية من دين إبراهيم الخليل عليه السلام.

❁ ويُقال بأنه كان خازن فرعون.

❁ فلما سمع بما قاله فرعون.

❁ اختصر طريقاً ليسبق الذباحين إلى موسى وقد توارى في بعض نواحي المدينة.

❁ وجاء من أقصى المدينة يسعى حتى وصل إليه في مخبئه، فقال له:

❁ **﴿يَا مُوسَىٰ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِك لِيَقْتُلُوك فَـ خْرُجْ إِنِّي لَـك مِـنَ ٱلنَّاصِحِينَ﴾**..!

***

❁ ولم يُضع موسى عليه السلام وقته في المدينة..

﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ﴾

❁ وكان يقول لدى خروجه مناجياً ربه:

﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

❁ وتخيّر موسى عليه السلام طريق مدين.

وشعر بأن فيه نجاته وهداه..

❁ فلما توجه تلقاء مدين، قال راجياً ربه:

﴿عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾.

***

❁ وانطلق موسى عليه السلام يضرب في الصحاري والقفار دون زاد ولا راحلة..

وهو يتلفت خلفه حذراً من أن يلحق به القوم، وينظر يميناً ويساراً.

❁ وكلما قطع وادياً واجه مرتفعاً من الجبال فيصعد.. ويهبط.

ويُسْلمه سهل إلى وَعر

❁ ووعرٌ إلى سهل

ونهار إلى ليل

❁ وليل إلى نهار.

واستمر به الحال على ذلك عدة أيام

❁ ولم يكن طعامه سوى أعشاب الأرض وأوراق الشجر وبقل الصحراء.

فسقط مغشياً عليه من التعب.!

***

وبعد ساعة فتح موسى عينيه

ثم جلس متأملاً ما حوله

وكان قد ورد ماء مدين دون أن يراه.

وهنالك ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ﴾

﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾

فرقّ لحالهما، وقال وقد هبّ لنجدتهما:

﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾..؟!

﴿قَالَتَا﴾:

﴿لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾..!

فأشفق موسى عليهما، ودنا من البئر، وقال لمن على الماء مقترحاً:

أستسقي لي دلواً، ولكم دلواً

وكان الدلو يمده عشرة رجال

فرضي الرعاء بذلك مغتنمين الفرصة، والفتاتان ترقبان.

﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾

﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى ٱلظِّلِّ﴾

فقال طالباً العون من رازق الخلق:

❁ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ .

❁ ولم يكن يريد سوى رغيف من الخبز يسدّ به رمقه

❁ حيث كانت خضرة البقل تبدو في صفاق بطنه من ضعفه وهزاله وجوعه الشديد!

***

❁ وعادت المرأتان مبكرتين إلى أبيهما الشيخ الكبير على غير عادتهما كلّ يوم.

❁ فتعجب أبوهما.

❁ وقال لهما مستفسراً:

❁ أسرعتما الرجوعَ هذا اليوم..!

❁ فأخبرتاه بخبر الفتى الغريب.

❁ ولم تكونا قد عرفتا موسى عليه السلام

❁ فشعر الشيخ الكبير بنور يشع في قلبه، فقال لواحدة منهن، وكانت الكبرى:

❁ اذهبي إليه فادعيه لنجزيَه أجر ما سقى لنا.

❁ ولم تكن هذه الفتاة سوى (صفورة) .

❁ ولم يكن الشيخ الكبير سوى نبي الله شعيبٍ عليه السلام..!

***

وبينما كان موسى عليه السلام يجلس في ظلال إحدى الأشجار بالقرب من البئر بعد أن دعا ربه بإنزال الخير..

جاءته صفورة، وهي البنت الكبرى، تمشى على استيحاء.

وكان موسى عليه السلام سابحاً في بحر أفكاره

فقالت له:

﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾

فقام معها موسى عليه السلام

وسارت الفتاة، وهو يتبعها.

***

وهبت رياح خفيفة في صحراء مدين على الطريق نحو منازل شعيب عليه السلام.

وكانت الرياح قادمة من الخلف

فقال موسى للفتاة:

تأخري، ودليني على الطريق.

فأكبرت الفتاة مروءته ونبله ونجابته

وسارت خلفه وهي تدله على الطريق.

حتى وصلا إلى منزل نبي الله شعيب عليه السلام.

***

واستقبل شعيب عليه السلام ضيفه بحفاوة بالغة.

وجدّ في إكرامه

وسأله عن خبره

فأنبأه بقصته.

فلما قص عليه القصص.

أثنى عليه شعيب عليه السلام وقال له مهدئاً روعه:

﴿لاَ تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

***

وذات مساء..

انتحت صفورة بأبيها شعيب النبي.

وأرادت أن تسرّه بأمر..!

ولكنها كانت تتراجع حياءاً وخجلاً ويمنعها الحياء من الكلام

فلاطفها شعيب عليه السلام ومهد لها سبيل الحديث.

حتى زال الاضطراب عنها.

فخفضت رأسها، وقالت والحياء قد أسدل على وجهها ستاراً ظهرت حمرته على وجنتيها:

﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾

***

❁ وابتسم شعيب عليه السلام وربّت على كتف ابنته بحنان.

❁ والفتاة يخفق قلبها بقوة، وضرباته تشتد.

❁ فسألها ملاطفاً:

❁ أمّا قوتُه فقد عرفتيها بسقي الدلو وحده دون أن يعينه أحد، فبم عرفتِ أمانته..؟!

❁ فصمتت الفتاة حياءاً، ثم استجمعت قوتها وأجابت:

❁ لقد كنت أسير أمامه فقال لي تأخري، فأنا من قوم لا ينظرون أعقاب النساء، فبهذا عرفت أمانته.

❁ فأشرقت على ثغر شعيب عليه السلام ابتسامة عريضة، وقد أدرك ما ترمي إليه ابنته ودعا لها بالخير والسعادة.

***

❁ وكان موسى يجلس في محضر شعيب وهما يتبادلان أطراف الحديث.

❁ حتى إذا سنحت الفرصة، قال شعيب لموسى:

❁ **﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عندك﴾**.

❁ ثم بشره باليسر، قائلاً شفقةً عليه:

❁ **﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾**.

❁ وتهلل وجه موسى بالبشر، وغمرت قلبه الفرحة، فأجاب بالقبول، وقال:

﴿ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلاَ عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾

وسطعت أنوار العرس النبوي!..!

***

وعاش موسى مع صفّورة في سعادة ووئام ، وهو يثابر على خدمة نبي الله شعيب عليه السلام.

ووجد في الرعي أفقاً مفتوحاً على جمال الكون وعظمة خالقه.

فكان ينعم بالتأمل والتفكر بين هدأة المراعي، وانبساطة السهول، وانفساحة المدى، وروعة السماء، وتألق النجوم.

وكان يتنقل بين الربوع الخضراء، والتلال الممرعة، والينابيع الصافية، والعيون العذبة، وهو يسبحّ بحمد الله وشكره، ويلهج فؤاده بذكره.

حتى إذا ما صفت روحه، واغتسل قلبه بندى الصباح المنسكب من رباب العشق..

فتح عينيه، منتبهاً من سبحات التجلي..

فوجد أن عشراً من السنوات قد انقضت.!

***

فلما قضى موسى الأجل وقد أتمَّ ما كان بينه وبين نبي الله شعيب عليه السلام.

استأذنه في العودة إلى مصر فأذن له حامداً شاكراً..

❁ وزوده من عنده بالمتاع، وساق له غنيمات، وأجزل له العطاء.

❁ فلما أراد الخروج بأهله، سأل شعيباً عليه السلام عصا تكون معه

❁ وكانت عصيُّ الأنبياء عند شعيب عليه السلام قد ورثها مجموعةً في بيت له.

❁ فأذن لموسى بدخول هذا البيت، وقال له:

❁ ادخل في هذا البيت، وخذ عصا من بين تلك العصيّ

❁ فلما دخل، وثبتْ إليه عصا إبراهيم عليه السلام وصارت في كفه..!

❁ فأخرجها وأراد الذهاب بها.

❁ ونظر إليها شعيب عليه السلام فقال له:

❁ رُدّها ، وخذ غيرها ، فردّها.. وأراد استبدالها بأخرى.

❁ فوثبت إليه تلك العصا بعينها

❁ حتى فعل ذلك عدة مرات

❁ والمعجزة تتكرر كل مرة..!

❁ فلما رأى شعيب عليه السلام ذلك قال له:

❁ اذهب بها، فقد خصك الله بهذه العصا..!

***

❁ وخرج موسى عليه السلام بعصاه التي خصه الله بها من عصيّ الأنبياء السابقين، والتي كانت عند نبي الله شعيب عليه السلام.

❁ وسار يريد مصر ومعه أهلهُ ومتاعُه.

❁ فلما صار في مفازة، أصابهم برد شديد وريح عاتية، وظلمة حالكة، وقد جنّ الليل.

❁ وفي هذه الحالة، آنس موسى عليه السلام من جانب الطور ناراً.

❁ فقال لأهله:

❁ ﴿امْكُثُواْ إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي ءَاتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾

***

❁ ومشى موسى عليه السلام نحو النار

❁ فاذا بشجرة تلتهب فيها النارُ عالياً.

❁ فتعجب موسى عليه السلام

❁ ولكنه أقبل إلى النار ليقتبس منها

❁ فأهوت إليه!

❁ ففزع، وعدا، وقفل راجعا

❁ فرجعت النار إلى الشجرة

❁ فالتفت إليها وقد عادت إلى مكانها

❁ فعاد موسى عليه السلام مرة ثانية ليقتبس منها.

❁ فأهوت نحوه..!

❁ فعدا، وتركها.

ثم التفت وقد رجعت النار إلى الشجرة.

فعاد إليها للمرة الثالثة

فأهوت نحوه.

فعدا هذه المرة خائفاً أيضاً، ولكنه لم يرجع إليها.

***

ووقف موسى عليه السلام مدهوشاً مما رأى .

وعندئذ ..﴿نودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾.

وارتفع النداء قائلاً:

﴿يَا مُوسَى إِنِّي أَنَاْ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾

فصاح موسى متسائلاً:

وما دليلك على ذلك؟

فجاءه النداء:

﴿مَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾؟

فأجاب موسى عليه السلام :

﴿هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَئَارِبُ أُخْرَى﴾

فأمره النداء:

❁ ﴿أَلْقِهَا يَا مُوسَى﴾

❁ فألقاها مطيعاً الأمر

❁ فاهتزت وصارت حية

❁ ﴿فَلَمَّا رَأَهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّب﴾

❁ ولكنّ النداء كان خلفه فجاءه قائلاً:

❁ ﴿يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلاَ تَخَفْ وخذها إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ﴾.

❁ والتقط موسى العصا، فوجدها قد عادت إلى سيرتها الأولى..!

***

❁ ولم يكد موسى عليه السلام يستجمع قواه بعدَ هذا البرهان –المعجزة..

❁ حتى جاءه النداء من جديد:

❁ ﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْب﴾

❁ ووضع موسى عليه السلام يده في جيبه

❁ ثم أخرجها..

❁ فأضاءت له الدنيا..!

***

❁ ووقف موسى عليه السلام مبهوراً بالحدث العظيم.

❁ وشعر بكل كيانه سابحا في هالة من النور السماوي.

فامتلأ قلبهُ باليقين.

وحينئذ زاده النداء طمأنينة، وهو يعلو قائلاً:

﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلاَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْماً فَاسِقِينَ﴾.

***

وأيقن موسى عليه السلام بأنه في محضر الملكوت الأعلى.

ولكن ذاكرته عادت به إلى سالفِ عهده مع فرعون وقومه.

فقال مكلّماً المولى سبحانه:

﴿رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾

وأحب أن يُشرك معه في رسالته أخاه هارون، فاستطرد بالقول:

﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِي رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾

فاستجاب الله تعالى رغبة رسوله وكليمه وجاءه النداء:

﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً فَلاَ يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِئَايَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾.

***

ولبس موسى عليه السلام نعليه، وكان قد خلعهما بأمر ربه حيث كان بالواد المقدس طُوى.

وعاد من الوادي محملاً بالبشرى ونعمة الرسالة..

وما أعظمها من نعمة..!

ولم لا؟ فقد ذهب يقتبس ناراً، وانصرف وهو نبي مرسل..!

***

وعاد الدفء إلى مفازة الجبل

وسكنت الريح

وأضاء الليل بنور الإله

فتوكأ موسى على عصاه وقفل راجعاً إلى أهله، وقد ألقى الله عليه عبئاً ثقيلاً.

ونظر إلى عصاه، فاذا بها خضراء، حيث كانت من عوسج الجنة.

وهي التي وصلت إليه من آدم، إلى إبراهيم، إلى شعيب عليهم السلام، ثم صارت له برهاناً ومعجزة.

***

وفي طريق عودته إلى أهله

كان لسان موسى عليه السلام يلهج بحب الله.

وكان قد أخلص المحبة له، وغسل قلبه عمن سواه.

ولكنه عندما خلع نعليه بالواد المقدس الذي كلم فيه ربه..

كان قد خلع معهما كل حبّ آخر

وكان قد فرّغ قلبه من حب الأهل والمال.

ومن ذكر الدارين.

فتابعت القافلة النبوية طريقها إلى أرض مصر..

وقد خرج منها موسى عليه السلام ذات يومٍ خائفاً يترقب.

فعاد إليها نبيّاً مرسلاً..

وبدأ قلم القدرة والاصطفاء يكتب أقدار صفحة جديدة من حياة نبي الله وكليمه موسى بن عمران عليه السلام.

***

وعندما بعث الله موسى عليه السلام إلى فرعون وملئه.

فانه أتى بابه واستأذن بالدخول عليه.

فلم يأذنوا له .

فضرب موسى بعصاه باب القصر، فاصطكت الأبواب جميعاً.

وحينئذ أخبروا فرعون بالأمر.

فسألهم عن شأن هذا الرجل

فقالوا له:

إنه يزعم بأنه رسولُ ربِّ العالمين

فضحكَ فرعونُ حتى استلقى على قفاه من شدةِ الضَحكِ، وقال لهم ساخراً:

أدخلوه لنرى ما عنده..!

***

❁ وكان فرعون يجلس على عرشه تحوطه مظاهر الأبهة والعظمة.

❁ فدخل عليه موسى ومعه أخوه هارون غير عابئين به.

❁ وعندما سأله فرعون عن شأنه، قال له:

❁ إنـي أدعـوك لعبـادة الله الواحـد الـذي هـو ربـي وربُـك وربُ جميـع العالمين، وأسألك أن تُرسل معي بني إسرائيل.

❁ وأدرك فرعون أن الذي أمامه هو موسى، فقال له مغضباً:

❁ ﴿أَلَمْ نُرَبِّك فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِك سِنِينَ﴾؟

❁ فأجَابه موسى عليه السلام :

❁ بلى..

❁ فتابع فرعون حديثه قائلاً:

❁ ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَك ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكافِرِينَ﴾ بنعمتي؟

❁ فأجابه موسى عليه السلام، وقال:

❁ ﴿ فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ ٱلضَّالِّينَ﴾ عن سبيلك.

❁ ﴿فَفَرَرْتُ مِنكمْ لَمَّا خِفْتُكمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكماً وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

❁ ثم عاد الحديث إلى بني إسرائيل مرة أخرى، فقال فرعون متعالياً:

❁ إنهم عبيدي، فكيف أرسلهم معك؟

❁ فقال موسى عليه السلام

﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾

***

❁ وظل موسى عليه السلام وفرعون يتجاوبان الكلام

❁ وفرعون يجادلُ ويعاند ويمتنع.

❁ إلى أن سأل فرعون بتكبر واستهزاء:

❁ وما ربُّ العالمين:

❁ فأجاب موسى عليه السلام غير عابئ باستعلائه:

❁ ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾

❁ فالتفت فِرعون إلى مَن حَولَهُ، وقال لهم مستنكراً:

❁ ألا تسمعون؟!

❁ فنظروا إلى موسى عليه السلام تعرو وجوههم الدهشة، فقال لهم مؤكداً:

❁ ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَائِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

***

❁ وتعالت الأصوات هنا وهناك..

❁ وظن فرعونُ أن النقاش انتهى لصالحه

❁ فقال لقومه:

❁ ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾!

❁ فلم يأبه موسى عليه السلام للتهمة الكاذبة، بل استمر يعدّد صفات رب

العالمين، وقال:

﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾!

❁ فاستشاط فرعون غضباً، وقال لموسى عليه السلام محذراً:

﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَـٰهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّك مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾!

***

❁ وأراد موسى عليه السلام أن يقيم الحجة على فرعون وملئه، ويأتي لهم بالبرهان على مدّعاه، فخاطب فرعون بالقول:

﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ﴾

❁ فاستجاب فرعون متحدّياً، وقال:

﴿فَأْتِ بِهِ إِن كنتَ مِنَ ٱلصَّادِقِينَ﴾!

❁ وتعلقت الأنظار بموسى عليه السلام ، والقوم ينتظرون ما سيجئ به موسى عليه السلام..!

***

❁ وكان موسى عليه السلام يقف مع أخيه هارون عليه السلام في مكان أُخلي لهما في القاعة الفسيحة التي يعتلي فِرعَونُ عرشهُ في صدارتها.

❁ فتهيأ موسى عليه السلام والناس يتطاولون برؤوسهم ليشاهدوا ماذا سيفعل

﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾

❁ فعمّ الهلع والخوف جميع الحاضرين، ولم يبق أحد منهم إلا وفرَّ هارباً..!

❁ وداخلَ فرعون الرعبُ حتى أنه عجز عن تمالُكِ نفسهِ..!

❁ فتوجه بالرجاء إلى موسى عليه السلام قائلاً:

❁ يا موسى، أُنشدُكَ اللهَ والرِّضاعَ ألاَّ كففتها عني.

❁ فنزع موسى عليه السلام يده، فاذا هي بيضاء للناظرين، فأخذ العصى.

❁ حتى إذا عادت لحالتها الأولى

❁ أخذ الناسُ يعودون إلى القاعةِ وهم في حيرةٍ من الأمر..

❁ ووقفوا بانتظار ما سيفعله فرعون!

***

❁ وامتلأت القاعةُ بالحضور من جديد

❁ وهدأ روع فرعون

❁ وهمَّ بتصديق موسى عليه السلام

❁ فمال على وزيره هامان يداوله في الأمر.

❁ وكان هامانُ من أكبر الدهاة

❁ كما كان قد تعلم السحرَ هو وفرعون

❁ حتى أنهما غلبا الناس بالسحر

❁ وادعى فرعون الربوبية بالسحر..!

❁ فأخذته العزةُ بالإثم..

❁ وقال لفرعون مُنكراً عليه موقفه:

❁ بينما أنت إله تُعبد، تُريدُ أن تَصِيرَ تابعاً لهذا العبد؟!

***

وكان فرعون على جبروته وادعائه الربوبية يستمع إلى وزيره هامان ويأخذ برأيه.

فعاودَهُ طُغيانه واستكبارُه وقد تناسى ما حدث له منذ قليل.

فانقلب على موسى عليه السلام بعد خضوعه له وقال لمن حوله من الملأ:

**﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ،يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بسحره، فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾؟!**

وظنّ الملأ بأنّ ماجاء به موسى عليه السلام هو السحر ، فقالوا لفرعون: **﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِي ٱلْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَأْتُوكَ بِكلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾**.

وضرب فرعون موعداً للفريقين.

وكان موعِدُهمُ يومَ الزينةَ..!

***

كان للمصريين القدماء عيد سنوي عظيم يحشدون فيه مسراتهم ويقبلون على اللهو والترف والقصف واللعب.

وكان هذا العيد، يسمى بيوم الزينة.

وفي صباح ذلك اليوم، مشى فرعون ووزيره هامان، وعشيرته وبلاطه إلى ساحة المراسم والاحتفالات.

وكانوا قد ضربوا له قبة مصقولة بالفولاذ اللامع، تبلغ في طولها سبعين ذراعاً، وتضم كل ثمين وبهيّ، من الرياش والأثاث.

❁ وأشرقت الشمس على مدينة رعمسيس حاضرة الفرعون.

❁ فانعكست أشعتها، على القبة المصقولة، حتى أن الناس عجزوا عن التطلع إليها بعيونهم من التماع الحديد تحت وهج الشمس.

❁ وجلس فرعون في أبهته وخيلائه، يحوطه خاصته وحاشيته وملؤه، وعلى رأسه تاجه المرصع.

❁ ثم أعطى إشارته، لبدء مراسم الاحتفال العظيم.

***

❁ وكانت الجماهير الغفيرة قد احتشدت في ساحة الاحتفال بعد أن ظلت تتوافد على المكان من كافة مدن وأنحاء مصر طوال الأيام السابقة.

❁ وأما السحرة، فكانوا قد تصدروا الساحة بملابسهم الخاصة، وأدواتهم المعهودة، وفي مقدمتها العصيّ والحبال.

❁ وكانوا ألف ساحر قد انتقاهم فرعون من خيرة السحرة في البلاد.

❁ وقبل البدء..

❁ تقدم كبير السحرة من فرعون، وأدى مراسم التقديس والتبجيل، ثم سأله:

❁ لقد علمت يا مليكنا ومليك العباد، بأنه ليس في الدنيا من هو أسحر منا، فان غلبنا موسى، فما عندك ؟ أئِنَّ لنا لَأَجراً إن كنّا نحنُ الغالبين؟

❁ فأجاب فرعون:

اشرككم في ملكي، نعم وإنكم إذاً لمن المقربين.

فاستطرد كبير السحرة:

ولكن، إذا غَلَبَنَا موسى وأبطل سحرنا علمنا أن ما جاء به ليس بسحر فآمنا به وصدّقناه..

فعقّب فرعون قائلاً:

بل وصدقته أنا أيضاً، وآمنت به معكم؟

***

وارتفع النهار..

وبدأت المنازلة..

فقال كبير السحرة لموسى:

﴿إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾.

فقال لهم موسى:

﴿أَلْقُواْ مَا أَنتُم مُّلْقُونَ﴾

فألقوا حبالهم وعصيّهم وقالوا:

﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾

فأقبلت حبالهم وعصيّهم تسعى كأنها الحيَّات

فتراجع الناس مذعورين، وأخذ يطأ بعضهم بعضاً من الخوف والرعب.

وشعر فرعون وقومه بنشوة الانتصار.

***

ووقف موسى عليه السلام مدْهوشاً أمام الحيّات التي خيّل إليه من سحرهم أنها تسعى..!

وأوجس في نفسه خيفة موسى..!

وظن فرعون، أن الحجة قد تمت له على موسى، وأنه أحرز قصب السَّبق في هذه المنافسة.!

وفجأةً.. سمع موسى عليه السلام نداء السماء يطمئنه، ويهدّئ روعه، ويأمره قائلاً:

يا موسى ﴿لَا تَخَفْ إِنَّك أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ، وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِك تَلْقَفْ مَا صَنَعُواْ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ .

***

وهدأ روع موسى عليه السلام، وشعر بالقوة، واستجمع حواسَّه.

وألقى عصاه باسم الله قاصم الجبارين.

فذابت في الأرض مثل الرصاص.

ثم طلع رأسُها، وفتحت فاها.

ووضعت شدقها الأعلى على رأس قبة فرعون..

ثم دارت..

فاذا هي تلقَف ما يأفكون..!

وعادت مشاعر الرعب، لتسيطر على الجموع الغفيرة.

❁ فاضطربت الحشود، وتقهقرت، وولت هاربة من هول الرؤية، حتى قُتل جراء هذا الحادث عدد كبير من الناس ما بين رجل وامرأة وصبيّ..!

***

❁ ولم تكد عصا موسى عليه السلام تلقف حبال السحرة وعصيّهم، حتى دارت مرةً أخرى على قبة فرعون.

❁ فأحدث في ثيابه هو وهامانُ وزيره، وشاب رأسهما من الفزع.!

❁ حتى أن موسى عليه السلام، داخله الخوف من جديد.!

❁ فجاءه النداء الإلهي مُثبّتاً:

❁ يا موسى ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾

❁ فأقبل موسى عليه السلام نحو الحية العظيمة ولفّ على يده عباءة، ثم أدخل يده في فمها.

❁ فاذا هي عصا.. كما كانت.!

***

❁ وقبل أن يعود الهدوء للمكان

❁ أُلْقِيَ السحرة ساجدين.

❁ وقالوا لمّا رأوا ذلك:

❁ ﴿آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ، رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾

❁ فاستفاق فرعون على مرارة الهزيمة التي لحقت به أمام عيون الأشهاد.

وغضب غضباً شديداً على السحرة.

فخاطبهم مستنكراً ومهدداً:

﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾..!

فقال له السحرة:

لقد رأينا رجلاً ينظر إلى السماء، ولم يبلغ سحرنا السماء..!

فقال لهم فرعون:

كذبتم..! ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾..!

فأجابه السحرة قائلين:

﴿لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ * إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ ٱ ﴾..!

***

وانتهت مراسم يوم الزينة..

وقد تبدّل العيد همّاً وغمّاً، على فرعون وملئه.

فجمع حاشيته وقومه، وقفل عائداً إلى قصره، مخلّفاً وراءه قبته العالية التي كادت تلقفها عصا موسى..!

ومع كل ما حدث، فقد أبى عليه استكباره الاستسلام للحقيقة..!

❁ وكان مازال يقدم قومه نحو السراب والضلال، ومازال يستخفّهم قائلاً:

﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلى﴾.

***

❁ وبينما سجد السحرة.

﴿ آمن جمع كبير من الناس بموسى عليه السلام.

❁ فقال هامان لفرعون:

﴿ إن الناس قد آمنوا بموسى، فانظر من دخل في دينه فاحبسه.

❁ فحبس فرعون كلّ من آمن بموسى من بني اسرائيل ومن قومه.

﴿ وأما السحرة..

❁ فقتلهم وصلّبهم في جذوع النخل.

***

﴿ ووقعت فتنة كبرى في مصر سببت تزعزعاً في عرش فرعون

❁ فقال هو وقومه: **مَا هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُفْتَرَى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ﴾**.

﴿ فأجابهم موسى عليه السلام :

❁ **﴿رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾**.

﴿ ولكن فرعون أصر على استكباره وقال لقومه:

❁ ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾.

❁ ثم بالغ في عناده وطغيانه وكفره، فأمر وزيره هامان قائلاً:

❁ ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾.

❁ فشرع هامان في بناء الصرح المزعوم.

***

❁ وجمع هامانُ خيرة أهل مصر من المهندسين والبنائين والعمال.

❁ فعكفوا مدة طويلة على بناء الصرح الذي طلبه فرعون.

❁ حتى إذا تم البناء على أفضل ما يكون، وبلغ في الهواء مكاناً عالياً.

❁ ذهب فرعون وتربع على قمته، ونادى في الناس:

❁ ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾.

❁ فافتتن به جمع من الناس

❁ واستخفّ فرعون قومه، فأطاعوه.

❁ ولكن الله بعث رياحاً مزمجرة، فأطاحت بالصرح، وجعلته أنقاضاً متهاوية..!

***

❁ وكان فرعون كلما أتته آية بيّنة، لجّ في عتوه واستكباره.

❁ وازداد إنكاراً لدعوة موسى وأخيه هارون عليهما السلام.

❁ فجاء إليه موسى عليه السلام ذات يوم

❁ وقال له بعد أن رأى ثباته على الشرك:

❁ أرسل معي بني إسرائيل وخلّ عنهم

❁ فرفض فرعون، وتنكر لموسى كعادته.

❁ فأنذره موسى عليه السلام بالبلاء

❁ فسخر منه فرعون، واستعجله بنزوله.

❁ فلم تكد تمضى سوى فترة وجيزة..

❁ حتى أنزل الله عليهم الطوفان فخرّب دورهم ومساكنهم، حتى خرجوا إلى البرّيّة، وضربوا فيها الخيام..!

***

❁ ولم يستطع فرعون بأوتاده مواجهة البلاء الالهي العظيم..!

❁ فقال لموسى عليه السلام مناشداً:

❁ يا موسى، أُدعُ لنا ربك حتى يكف عنا الطوفان، فأخلّيَ عن بني إسرائيل.

❁ فقبل موسى عليه السلام ودعا الله تعالى فكف عنهم الطوفان.

❁ وهمّ فِرعَونُ أن يَبُرَّ بوعده ويخلي عن بني إسرائيل.

❁ فوسوس له هامان قائلاً:

❁ أتخلي عن بني إسرائيل؟! إنك إن خلّيت عنهم غلبك موسى، وأزال ملكك!

❁ فقبل فرعون كلامه، ولم يخل عن بني إسرائيل، وعاد إلى طغيانه..!

***

❁ ومر عام، وفرعون مقيم على الصلف والجبروت وإدعاء الربوبية..!

❁ فأرسل الله عليهم الجراد، فأكلت كل شيء لهم من النبات والزروع والشجر، حتى كادت تجرد شعرهم ولحاهم..!

❁ فلجأ إلى موسى عليه السلام مرة أخرى، وقال له:

❁ يا موسى، أنشدك ربك، فادعه أن يكف عنا الجراد، حتى أخليَ عن بني إسرائيل.

❁ ودعا موسى عليه السلام ربه، فكف عنهم الجراد.

❁ حتى إذا استقامت الأمور لفرعون، أخلف وعدَه، ولم يخلّ عن بني إسرائيل..!

***

❁ ومضت سنة أخرى..

❁ فأرسل الله عليهم القمّل في السنة الثالثة.

❁ وسلطها على أجسامهم وزروعهم حتى استحوذ الهلع وأصابتهم المجاعة.

❁ وتكرر ما كان في السابق من الرجاء والمناشدة، ثم عدم البرّ بالوعد.

❁ فأرسل الله عليهم الضفادع..

❁ حتى كانت في طعامهم وشرابهم.

❁ بل وكانت تخرج من أدبارهم وأنوفهم وآذانهم.

فجزعوا من ذلك جزعا شديداً

فجاءوا إلى موسى عليه السلام والضفادع تنقّ بين أيديهم وفي أعقابهم ، فقالوا له متوسلين :

أدُع ربك، فليُذهب عنا الضفادع، فانا نؤمن بك، ونرسل معك بني إسرائيل.

ودعا موسى عليه السلام ربه، فأذهب عنهم الضفادع.

ولكنهم أبوا أن يخلوا عن بني اسرائيل أو يؤمنوا بموسى عليه السلام ..!

***

واستيقظ أهل مصر ذات صباح..

وهرعوا إلى النيل واهب الحياة..

ولكنهم تقهقروا عنه مذعورين وقد هالهم ما رأوا..!

حيث كانت مياه النيل قد تحولت دماً بأمر الله..!

وكان ذلك من أكبر المعجزات، حيث كان القبطي يراه دماً، والعبرانيُّ يراه ماءاً..!

بل إن العبراني إذا شربه كان ماءاً، وإذا شربه القبطيّ كان دماً..!

فكان القبطي يقول للعبراني:

خذ الماء في فمك وصبَّه في فمي.

فكان إذا صبه في فمه تحول دماً..!

***

ومع كل ذلك، فقد تكرر ما حدث في السابق من المناشدة.

حتى إذا رفع الله عنهم البلاء عادوا إلى الغدر والمراوغة.

فأرسل الله عليهم الرِّجز، وهو الثلج الأحمر

وكانوا لم يروه في السابق، فجزعوا منه جزعاً شديداً، وماتوا فيه، وأصابهم ما لم يعهدوه من قبل.

فقالوا لموسى عليه السلام :

﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ .

فكشف الله عنهم الرجز..

وعندئذ فقط.. لم يكن لهم إلا أن يخلوا عن بني إسرائيل وهم كارهون..!

***

وفي تلك الأثناء، حاول فرعون التخلص من موسى عليه السلام.

حتى أنه قال لقومه صراحة:

ذروني أقتل موسى.

ولكنّ عبداً صالحاً ورجلاً مؤمناً من آل فرعون، نهاهم عن ذلك قائلاً:

﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾

فانتهي فرعون بأمر الله، وظن أنه يستطيع مغالبة موسى عليه السلام.

***

وكان مؤمن آلِ فرعون، يكتم إيمانه.

فلما ظهر موسى عليه السلام على السحرة، أظهر إيمانه، وانطلق يدعو الناس إلى التوحيد ويرشدهم إلى سبيل الخير.

ومن دعوته إلى قومه، أنه قال لهم ناصحاً:

﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾

﴿ياقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الأَخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾.

﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾

﴿تَدْعُونَنِي لأَكْفُرَ بِاللهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَاْ أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾.

﴿لاَ جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلاَ فِي الأَخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾.

﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾.

***

وكان هذا الرجلُ الصالح يُسمَّى حزقيل.

وكان من بلاط فرعون وآله.

فلما علم فرعون بذلك، غضب غضباً شديداً، لمنزلته منه.

فأمر بالمجيء به

فجاءوا به مكبلاً بالحديد.

فخيره فرعون بين العودة عن دينه أو الهلاك.

ففوض الرجلُ أمرَه إلى الله، وظل ثابتاً على عقيدته.

فأمر فرعون بتقطيعه إرْباً إرْبا عله ينصرف عما هو فيه.

فكان الرجل يزداد إيماناً في مواجهة مكرهم وطغيانهم.

وكانوا طامعين في أن يفتنوه عن دينه

فوقاه اللهُ سيئاتِ ما مكروا، ولقي الله راضياً محتسباً

وحاق بآل فرعون سوءُ العذاب..!

***

وكانت امرأة حزقيل، ماشطةً لبنات فرعون.

وكانت تكتم إيمانها هي الأخرى مع أولادها.

وذات يوم..

كانت تمشط بنتا لفرعون..

فوقع المشط من يدها..

فقالت من فرط الايمان

بسم الله..

❁ فقالت ابنة فرعون:

❁ أبي؟

❁ فأجابتها

❁ كلا، بل ربي وربُك وربُ أبيك.

❁ فأخبرت البنت أباها

❁ فطاش صوابُه، ودعا بها وبأولادها.

❁ فلما جاءت، سألها:

❁ من ربُك؟

❁ فأجابت:

❁ الله ربي وربُك.

❁ فأمر فرعونُ بتنور من نحاس، فأحميَ حتى توهج بالنار.

❁ ثم أمر بإلقاءِ أولادِها، واحداً واحدا بالتنور.

❁ حتى جاء دورُ آخرهم، وكان رضيعاً

❁ فلما هموا بإلقائه..

❁ نطق الرضيع، قائلاً:

❁ يا أماه.. إنك على الحق.

❁ فبُهت فرعون، وأمر بالقاء المرأة في التنور مع ولدها..!

***

وبينما كان الملائكة يعرجون بروح امرأةِ حزقيل..

عاينتهم آسيةُ امرأةُ فرعون..!

وكانت مؤمنة صادقةً تعبد الله سراً.

فزادت يقيناً وإخلاصاً لمّا عاينت الملائكة، وحلقت روحها في عالم الملكوت الأعلى وهي جالسة في قصر فرعون.

وبينما هي على هذه الحالة..

دخل عليها فرعون، وأخبرها بما فعل مع المرأة المؤمنة..

فكبُرَ ذلك عليها، وهالها مابه من قسوة..

وقالت له مستنكرة:

الويل لك يا فرعون! ما أجرأك على الله جل وعلا!

فدهش فرعون، وقال لها:

لعلك اعتراك الجنون؟!

فأفصحت آسية قائلة:

بل آمنت بالله ربي وربِك وربِ العالمين.

***

وجُنّ جنونُ فرعون..!

وأقسم لتذوقنَّ الموت، أو تكفرَنَّ بإلهِ موسى..!

فقالت بنفس مطمئنة:

إمّا أن أكفر بالله، فلا..!

فكره فرعون ثباتها على الايمان

وتوقدت نارُ غضبه عليها.

فأمر بأربعة أوتاد، فمدت على الحصباء، تحت حرارة الشمس الملتهبة.

ثم أمر بمّد امرأته بين الأوتاد الأربعة..!

وأوعز لجلاوزته بصب العذاب صبّاً عليها.

***

وكان موسى عليه السلام يعلم بايمانها..

فمر عليها وهي تكابد العذاب.

فأشارت إليه باصبعها شاكية.

فدعى الله موسى عليه السلام أن يخفف عنها

فلم تجد للعذاب ألماً..!

فتوجهت إلى الله بالدعاء، وهي في العذاب، وقالت:

﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ﴾

فأوحى الله إليها أن ارفعي رأسك.

فرفعت رأسها.. والملائكة تظللها.

فشاهدت البيت في الجنة وقد بُني لها من الدرّ والياقوت..

فضحكت!

❁ ثم ظلت على هذه الحالة، حتى عرجت الملائكة بروحها، وقد عوضها الله عن قصور فرعون وأنهاره بمنزلٍ عنده في جنان الخلود.

***

❁ وبعد غلبة موسى عليه السلام في يوم الزينة على فرعون.

❁ وبعد نزول العذاب آيةً آيةً على فرعون وقومه..

❁ اقتنع فرعون بأن يخلّي عن نبي اسرائيل ويرسلهم مع موسى عليه السلام نزولاً على طلبه، وإن كان كارها لذلك.

❁ وأوحى الله إلى موسى عليه السلام، أن أَسْرِ بعبادي.

❁ ثم نبّأه بما سيكون من فرعون، فقال:

❁ ﴿إِنَّكم مُّتَّبَعُونَ﴾.

❁ فجمع موسى عليه السلام بني اسرائيل، وخرج من مصر ليقطع بهم البحر.

***

❁ ولكنّ فرعون عاد إلى جبروته، وغلبهُ طغيانه واستكبارُه.

❁ ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾.

❁ وقال لملئه ساخراً من موسى عليه السلام ومن بني إسرائيل:

❁ ﴿إِنَّ هَـٰؤُلَاء لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾

❁ ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ﴾

❁ ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾..

فأثار قومه، وألّبهم بهذه الكلمات الساخطة.

ثم جمع جيشاً عظيماً وخرج به مسرعاً ليلحق بموسى عليه السلام.

***

وعندما كان موسى عليه السلام وقومه على مقربة من البحر..

نظروا.. فاذا بجيش فرعون الجرار قادماً في أثرهم.

فخاف أصحاب موسى عليه السلام ..

وغلبهم الجزع، فقالوا يائسين:

يا ﴿مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكونَ﴾

فأجابهم قائلاً:

﴿كَلاَّ إِنَّ مَعِي رَبِّي سَيَهْدِينِي﴾

فتقدم يوشع بن نون، وقال لموسى عليه السلام:

يا رسول الله! ما أمرك ربُّك؟

فأجابه موسى عليه السلام:

بعبور البحر..

فاقتحم يوشعُ بنُ نونَ الماءَ بفرسه!

***

واقترب فرعون بفرسانه وخيله، حتى كادوا أن يلحقوا بموسى وقومه.

فأوحى الله إلى موسى عليه السلام ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ﴾.

فضربه..

﴿فَـٱنفَلَقَ﴾..!

﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾!

وارتفع الماء..

وبدت الأرض يابسةً قد طلعت عليها الشمس..

فشقوا طريقهم نحو الشاطئ الآخر..!

***

وأقبل فرعون بجنوده..

فلما انتهى إلى البحر ورأى ما رأى، قال لأصحابه وقد أصابتهم الدهشة.

ألا تعلمون أن ربكم الأعلى قد فَرَج لكم البحر؟!

ولكن أحداً لم يجرؤ على دخول البحر

وامتنعت الخيل لهول الماء المرتفع على الجانبين..

فأخذ فرعون يلكز فرسه بشدة حتى اقترب به من الرمال في قاع البحر المنفلق.

فلما رأى الفرس الرمال.

تجاسر على السير، واقتحم البحر بفرعون.

فاقتحم أصحابه خلفه.

حتى إذا دخلوا جميعاً، وكان آخر من دخل من أصحاب فرعون.

وآخر من خرج من أصحاب موسى عليه السلام.

أمر الله تعالى الرياح..

فضربت البحر بعضه ببعض..!

***

وفي لحظة واحدة..

أقبل الماء يقع على فرعونَ وجنودِه كالجبال..

فارتفع الصراخ والصهيل

وأيقن فرعون بالغرق.

حتى إذا رأى بأس السماء صاح قائلاً:

﴿آمَنْتُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي ءَامَنَتْ بِهِ بَنُواْ إِسْرَائِيلَ﴾

فأخذ جبرائيل عليه السلام كفاً من الحمأ فوضعها في فيه لعلمه بكذبه ومكره، وقال له:

﴿آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾

فأغرقه الله، ونجّاه ببدنه ليكون لمن خلفه آية.

وأغرق معه جميع جنوده..

ونجَّى موسى ومن معه أجمعين..

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾..

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾..

***

وعندما كان فرعون يعالج سكرات الموت غرقاً تحت الأمواج.

تمثل له مشهد من الماضي، وقد قام أمامه جبرائيل عليه السلام.

وفي يده كتاب..!

***

فذات يوم بعيد

غار ماء النيل، حتى عم الجفاف وانتشرت المجاعة.

ففزع أهل مصر إلى فرعون وتوسلوا به قائلين:

يا مليكنا.. أَجْرِ لنا النيل، فقد أشرفنا على الهلاك..

ولمّا كان فرعون يعلم أن ذلك ليس بامكانه، فانه خادعهم قائلاً:

لست براضٍ عنكم، فلن أَدَعَ النيل يجري لكم..!

فذهبوا، وانتظروا زمناً، حتى زاد عليهم الجفاف، فعادوا إلى فرعون قائلين:

أيها الملك! لقد أوشكنا على الموت والهلاك، ولئن لم تُجْرِ لنا النيل لنتخذنَّ إلهاً غيرك..!

فتدبر فرعون، ثم قال لهم:

اخرجوا إلى العراء..!

***

وخرج الناس جميعاً إلى العراء يتقدمهم فرعون..

حتى إذا صاروا في صحراء فسيحة..

❁ تنحّى عنهم بحيث لا يرونه ولا يسمعون كلامه، ثم ألصق خده بالتراب، وأشار بسبّابته، وقال:

❁ اللهم إني خرجت إليك خروج العبد الذليل إلى سيده، وإني أعلم أنك تعلم أنه لا يقدر على إجرائه أحد غيرك، فاجْره.

❁ وأراد الله أن يفتن فرعون وقومه..

❁ فجرى النيل جرياناً لم يجر مثله..!

❁ فأتاهم الطاغية، وقال لهم:

❁ إني قد أجريت النيل.

❁ فخروا له سُجَّدَاً..!

***

❁ وعندما كان فرعون في طريق العودة..

❁ عرض له جبرائيل، وقال له:

❁ أيها الملك؟ أعنّي على عبد لي ملّكته على عبيدي، فعاداني!

❁ فقال له فرعون:

❁ بئس العبد عبدك! لو كان لي عليه سبيل، لأغرقته في البحر..!

❁ فطلب منه جبرائيل أن يكتب ذلك في كتاب ويختمه بخاتمه.

❁ حتى إذا كان يومُ البحر، وهو يقاوم الغرق..

❁ فان جبرائيل عليه السلام أبرز له الكتاب قائلاً:

هذا ما حكمت به على نفسك!!

***

ولما أنجَى الله موسى ومن معه أجمعين.

ثم أغرقَ الآخرين.

فان موسى عليه السلام سار ببني اسرائيل حتى نزلوا في مفازة.

فشعروا بالتعبِ والمشقة.

واعترضوا على موسى عليه السلام قائلين:

يا موسى! أهلكتنا، وقتلتنا، وأخرجتنا من العمارة إلى المفازة!

***

ودعا موسى ربه.

فظلل عليهم الغَمامَ، وأنزل عليهم المنَّ والسلوى.

فكانت تجيء غمامة بالنهار فتظلهم من الشمس.

حتى إذا جنّ الليل، أنزل الله عليهم المنّ والسلوى، فيقع على النبات والشجر والحجر، فيأكلونه.

وبقي الماء..

فاستسقى موسى لقومه.

فقال الله تعالى:

﴿ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾

❁ وكان معه حجر يضعه في وسط الخيام

❁ ﴿فَـٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً﴾

❁ وكانوا اثني عشر سبطاً

❁ ﴿قَدْ عَلِمَ كلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾، دون مزاحمة الآخرين.

***

❁ وواعد الله موسى عليه السلام ثلاثين ليلة ليُنزل عليه التوراة والألواح.

❁ وأتمها اللهُ تعالى بعشرٍ، فكان تمام الميقات أربعين ليلة.

❁ واختار موسى من قومه سبعين رجلاً ليسمعوا تكليمه تعالى إياه في الميقات.

❁ فسمعوا.

❁ ولكنهم قالوا لموسى عليه السلام:

❁ ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً﴾

***

❁ فلما قالوا هذا القول العظيم

❁ بعث الله عليهم صاعقة، فأخذتهم بظلمهم، فماتوا في الحال.

❁ فقال موسى مخاطباً ربه سبحانه:

❁ يا رب، ماذا أقول لبني إسرائيل إذا رجعتُ إليهم، وقالوا لي إنك ذهبت بهم فقتلتهم!

❁ فأحياهم الله بعد أن أخذتهم الصاعقة وهم ينظرون!

***

❁ ولكنّ بني اسرائيل، ظلوا غارقين بظلمهم رغم هذه الآية الالهية.

❁ فقالوا لموسى:

❁ إنك لو سألت اللهَ أن يريك تنظرْ إليه لأجابك، وكنتَ تُخبرنا كيف هو، فنعرفه حق معرفته.

❁ فقال لهم موسى عليه السلام :

❁ يا قوم إن الله لا يُرى بالأبصار، وإنما يعرفُ بآياته!

❁ فأجابوه معاندين مرة أخرى:

❁ لن نؤمن لك حتى تسأله

***

❁ وناجى موسى عليه السلام ربه قائلاً:

❁ يا رب! لقد سمعت مقالة بني اسرائيل وأنت أعلم بصلاحِهم.

❁ فأوحى الله إليه:

❁ يا موسى! اسألني ما سألوك، فلن أؤاخذك بجهلهم

❁ فعند ذلك قال موسى عليه السلام:

❁ ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْك﴾

❁ فقال الله تعالى:

﴿لَن تَرَانِي وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾.

وتجلى الله تعالى بنوره العظيم

فلما تجلى للجبل بآية من آياته

﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾.

﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾

فلما أفاق، قال:

﴿سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾، ورجعت إلى معرفتي بك عن جهل قومي

ثم أكد عليه السلام إيمانه قائلاً:

﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ منهم، بأنك لا تُرى بالأبصار

***

وفي هذه الأثناء..

كان بنو إسرائيل الذين تركهم موسى عليه السلام خلفه، قد دخلوا في الشرك.

وكان سبب ذلك أن موسى عليه السلام لمّا واعده الله تعالى أن يُنزل عليه التوراة والألواح إلى ثلاثين يوماً

أخبر بني إسرائيل بذلك..

وذهب إلى ميقات ربه مخلّفاً عليهم أخاه هارون عليه السلام.

فلما مرت الثلاثون يوماً، ولم يرجع إليهم موسى عليه السلام قال بعضهم لبعض:

إن موسى قد كذَب علينا، وهرب منا!

ووسوس لهم الشيطان، فقال لهم:

إن موسى قد هرب، ولن يرجع إليكم أبداً، فاجمعوا ما لديكم من الحليّ، واتخذوها إلهاً تعبدونه!

***

وكان السامري على مقدمة موسى عليه السلام يوم أغرق الله فرعون وجنوده.

فرأى جبرائيل عليه السلام

وكان على ما يشبه البُراق

فكان كلما وضع حافرَه على موضعٍ من الأرض تحرك ذلك الموضع.

فنظر إليه السامري وكان من خيار أصحاب موسى عليه السلام.

فأخذ الترابَ من حافرِ بُراق جبرائيل عليه السلام.

وجعله في صُرة.

وظل عنده، يفتخر به على بني اسرائيل.

***

وأطاع بنو اسرائيل إبليس..

فجمعوا حليّهم، وضربوها، وجعلوا منها عجلاً!

فجاء إبليس إلى السامري ووسوس له بوضع التراب الذي عنده في جوف العجل.

وعندئذ تحرك العجل، وصار له خُوار.

ونبت عليه الشعر والوبر

فسجد له بنو اسرائيل.

وكان عدد الذين سجدوا له سبعين ألفاً.

ثم تحلقوا حوله، وأخذوا يرقصون، ويصخبون ويعربدون.

وقد نسوا نبيهم الذي ذهب لميقات ربه!

***

ولما عبد بنو اسرائيل العجل وسجدوا له، وقد ذهب موسى عليه السلام لميقات ربه.

فان خليفته عليهم أخاه هارون عليه السلام أنكر عليهم ذلك.

وقال لهم ناصحاً ومحذراً من المعصية:

﴿إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُواْ أَمْرِي﴾.

فأجابه القوم قائلين:

﴿لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾

وعندما استمر هارون عليه السلام في نهيهم عن الشرك بعد التوحيد

فانهم هموا به ليؤذوه

حتى أنه هرب من بينهم لينجو من أذاهم

بينما أقاموا هم على الشرك والعصيان.

***

وتم الميقات أربعين يوماً

فأنزل الله الألواح على موسى عليه السلام وفيها التوراة وكافة ما يحتاجون إليه من الأحكام والشرائع والمواعظ، وفيها تبيان لكل شيء.

فأخذها موسى عليه السلام فرحاً مستبشراً، وهمّ بالرجوع إلى قومه

وعند ذلك..!

خاطبه المولى سبحانه قائلاً:

﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى﴾

فقال عليه السلام

﴿هُمْ أُولاَءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ .

فأطلعه ربه على ما أحدثه قومه في غيبته قائلاً:

﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾

فقال موسى عليه السلام مسلمّا لأمر ربه

﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾.

***

وشعر موسى عليه السلام بالألم والمرارة.

فرجع إلى قومه غضبانَ أسِفاً.

حتى إذا اقترب من خيامهم وعسكرهم

أفزعه ماهم فيه من صخب وعربدة

فقال لهم:

﴿يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾.

فقال له بنو اسرائيل:

﴿مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَاراً مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾

وكان السامري قد أخرج ﴿لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَذَا إِلَـٰهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ﴾

فوبخهم عليه السلام قائلاً:

﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي﴾.

***

وتحول موسى عليه السلام من قومه إلى أخيه هارون عليه السلام.

ولما كان موسى غاضباً، فانه ألقى الألواح، وأخذ برأس أخيه يجرّه إليه.

وقال له وسَوْرة الغضب تحفزه:

﴿يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّواْ أَلاَّ تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾

فقال له هارون عليه السلام موضحاً:

﴿يَبْنَؤُمَّ لاَ تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلاَ بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ وإن القوم استضعفوني

***

وعندما وقف موسى على حجة هارون عليه السلام.

ووجد أن بني اسرائيل قد استضعفوه وهموا به ليقتلوه

فانه عذره، وأقبل على السامريّ قائلاً:

﴿مَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾

فقال السامريّ:

﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾

فقال له موسى عليه السلام

﴿فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لاَ مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِداً لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفاً﴾.

***

وأخرج موسى عليه السلام عجل بني اسرائيل

فأحرقه بالنار، وألقاه في البحر، ونسفه في اليمّ نسفا..!

وقال لقومه:

﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْم﴾.

ولما وجد السامري أن الناس لم يعودوا يخالطوه ولا يجالسوه ولا يؤاكلوه بأمر الله حيث لا مِساس

❁ وأن التضييق قد اشتد عليه بسبب دعاء موسى عليه السلام

❁ فانه خرج من بينهم، وهام على وجهه في الصحراء، حتى صار عبرة، وقد انتهت حياته مع الوحش والسبّاع!

***

❁ ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ﴾.

❁ ﴿وَفِي نُسْخَتِهَا هُدىً وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾

❁ ثم خاطب قومه لائماً:

❁ ﴿يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنْفُسَكُمْ﴾.

❁ فقالوا له وقد عرتهم الدهشة:

❁ وكيف نقتل انفسنا؟!

❁ فقال لهم موسى عليه السلام :

❁ اغدوا ومع كل واحد منكم سكين أو حديدة أو سيف، فاذا صعدت المنبر فكونوا متلثمين لا يعرف أحد صاحبه فاقتلوا بعضكم بعضا.

❁ فاستجابوا له

❁ واجتمع منهم سبعون ألفاً ممن عبدوا العجل.

❁ فلما صلى بهم موسى عليه السلام وصعد المنبر أقبل بعضهم يقتل بعضاً.

❁ وظلوا على هذه الحال حتى نزل جبرائيل عليه السلام.

❁ فقال لموسى عليه السلام :

❁ قل لهم أن يكفوا عن القتل فقد تاب الله عليهم.

❁ فتوقفوا

❁ وإذا بعدة آلاف قد قُتلوا من بينهم ممن عبدوا العجل.

❁ فعندئذ، قال الله تعالى:

❁ ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾

***

❁ ووجد موسى وهارون عليهما السلام أن القوم قد قُتل منهم عدد كبير..

❁ فبكيا، وجزعا، وتضرعا

❁ واشتد الأمر على موسى عليه السلام

❁ ورثى لقومه رحمة بهم رغم ما صدر عنهم من الاثم العظيم.

❁ فأوحى الله تعالى إليه

❁ أما يرضيك أن أُدخل القاتل والمقتول الجنة!

❁ فكان من قُتل منهم شهيداً، ومن بقي منهم مكفَّراً عن ذنبه..

***

❁ وبعدما امتحن الله تعالى بني إسرائيل بقتل أنفسهم تطهيرا لهم من ذنوبهم حتى يتوب عليهم..

❁ فقد توالت عليهم الاختبارات الإلهية فتنة لهم حتى يتبين الخبيث من الطيب.

❁ ومن ذلك أمره تعالى لهم بأن يذبحوا بقرة

***

❁ فقي ذلك الزمان..

❁ كان هناك رجل من علماء بني اسرائيل وخيارهم

❁ وكان له ابن عم فاسق سيء الأخلاق

❁ فتقدم الأخير ليخطب امرأة ذات دين وجمال..

❁ فرفضت طلبه..

❁ ثم تقدم لها ابن عمه الذي كان عالماً فاضلاً..

❁ فأجابته

***

❁ واشتدت الغيرة بالفاسق، فحسد ابن عمه، وأراد التخلص منه

❁ فكمن له، وقتله غيلة.

❁ ثم حمله إلى موسى عليه السلام وقد بدت عليه علامات الحزن والجزع، فقال له:

❁ يا نبي الله، لقد قُتل ابن عمي هذا، ولا أدري من قتله!

❁ فعظم ذلك على موسى عليه السلام نظراً لمنزلة القتيل

❁ ثم مالبث أن اجتمع بنو إسرائيل عند نبيهم وقد بكوا وضجوا

❁ وقالوا له بألم ورجاء:

❁ ماذا ترى يا نبي الله؟!

***

❁ وصمت نبي الله موسى عليه السلام، ثم قال لهم بحلم وطمأنينة:

❁ ﴿إِنَّ اللهَ يَأمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً﴾

❁ فعجبوا، ونظر أحدهم إلى الآخر، ثم قالوا لموسى عليه السلام:

❁ ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً﴾؟! نأتيك في قتيل لتقول لنا اذبحوا بقرة!

❁ فقال لهم موسى عليه السلام :

❁ ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾!

***

❁ وكان في بني إسرائيل رجل له بقرة

❁ وكان له ابن بار عنده سلعة للبيع

❁ فجاء قوم يطلبون سلعته

❁ وكان مفتاح بيته تحت رأس أبيه

❁ وكان أبوه نائماً في تلك الساعة

❁ فكره ابنه أن يوقظه وينغص عليه نومه

❁ فانصرف القوم ولم يشتروا سلعته.

❁ مما أحزن الابن لذهاب هذه الفرصة..!

***

❁ وانتبه الأب من نومه

وكان مهتماً بأمر تلك السلعة

فسأل ابنه قائلا:

يا بنيّ، ماذا صنعْت في سلعتك؟

فقص عليه ابنه ما حدث

فحمد له ما فعل وأراد مكافأته

فقال له:

ما أشفقك عليّ يا بني! قد جعلت لك هذه البقرة عوضا عما فاتك من ربح سلعتك!

***

وكثر القيل والقال من بني اسرائيل وهم عند موسى عليه السلام لما أمرهم الله تعالى بأن يذبحوا بقرة!

وأكثروا من الجدال

فقالوا له:

﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾

فقال لهم موسى عليه السلام :

﴿إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ﴾

فما لبثوا أن قالوا لموسى عليه السلام

﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا﴾

❁ فأجابهم نبي الله موسى عليه السلام :

﴿إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾

***

❁ وكان على بني اسرائيل أن يمتثلوا للأمر الالهي

﴿ ولكنهم لجوا وعاندوا

❁ فقالوا لموسى عليه السلام :

﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾

❁ فأجابهم موسى عليه السلام بصبره النبوي:

﴿إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلاَ تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لاَ شِيَةَ فِيهَا﴾

❁ فقالوا:

﴿الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾

❁ ووجد بنو إسرائيل أنه لا مفر لهم من ذبح البقرة..

﴿ فذهبوا يبحثون عنها

❁ وكانت البقرة هي تلك التي وهبها الأب الكريم لولده البار!

***

وذهب بنو اسرائيل لشراء البقرة ، وكان الابن قد علم بما حدث، فقال لهم:

لا أبيعها إلا بملئ جوفها ذهباً!!

وكان بنو إسرائيل من البخل بمكان، فعادوا إلى موسى عليه السلام غاضبين، وأخبروه بالأمر.

ولما كان موسى عليه السلام على علم بخصالهم وطبائعهم..

فانه أجابهم قائلاً:

لابد لكم من ذبحها بعينها!!

ولأنهم كانوا مصرين على معرفة القاتل

فانهم استسلموا للواقع

و اشتروها بملئ جلدها ذهباً..!

﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾!

ولو أنهم كانوا قد عمدوا إلى أية بقرة فذبحوها لأجزأتهم..

ولكنهم شددوا، فشدد الله عليهم..!

***

وجاء بنو اسرائيل بالبقرة المذبوحة إلى موسى عليه السلام ثم قالوا له:

والآن ما تأمر يا نبي الله؟!

فقال لهم طاعة للوحي الالهي:

اضربوا القتيل ببعضها، واسألوه عن قاتله .

فأخذوا ذنب البقرة، وضربوه به، ثم قالوا له:

من قتلك يا هذا؟

فأجابهم وقد أحياه الله:

قتلني ابن عمي الذي جاء بي إلى هنا..!

وكان الوحي الالهي يتجاوب في سماء العرش قائلاً:

﴿كَذَلِكَ يُحْيِ اللهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

***

ويروى أن موسى عليه السلام بعد ذلك سأل ربه قائلاً:

إن كان في عبدك من هو أعلم منى فدلني عليه

فأجابه تعالى:

أعلم منك الخضر

فقال موسى عليه السلام

وأين أطلبه

فقال المولى سبحانه

على الساحل عند الصخرة لدى مجمع البحرين

فقال موسى عليه السلام

وكيف لي به؟

فقال تعالى

تأخذ حوتا في مكتلك، فحيث فقدته فهناك تلقاه .

***

❁ وأمر موسى عليه السلام وصيّه يوشع بن نون أن يتزود حوتا، وقال له:

﴿ إن الله أمرني أن أتّبع رجلاً عند ملتقى البحرين وأتعلم منه.

❁ فخرجا، وجدًّا في السير، وقال موسى عليه السلام لفتاه يوشع:

﴿ **لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً**﴾..

❁ وأخذا يسيران حتى بلغا مجمع البحرين، فجلسا يستريحان.

﴿ وأخرج يوشع الحوت، وغسله بالماء ووضعه على الصخرة.

❁ وكان هناك رجل، ولكنهما لم يعرفاه.

﴿ فلما استراحا، مضيا، ونسيا حوتهما.

❁ **فَـٱتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَباً**﴾.

***

﴿ وظل موسى وفتاه يسيران حتى جاوزا ملتقى البحرين بمسافة بعيدة.

❁ فقال موسى لفتاه وقد شعرا بالتعب

﴿ **ءَاتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَباً**﴾.

❁ وبحث يوشع عن الحوت فلم يجده، فقال لموسى عليه السلام متذكراً:

﴿ **أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً**﴾.

❁ فابتهج موسى عليه السلام وقال لفتاه

﴿ **﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾**.

❁ ﴿فَارْتَدَّا عَلَى ءَاثَارِهِمَا قَصَصاً﴾.

***

❁ ولما عادا إلى ذلك المكان عند الصخرة

❁ وجدا نفس الرجل الذي شاهداه سابقاً ما زال هناك.

❁ ولكنه كان مستغرقاً في الصلاة

❁ فجلسا حتى فرغ من صلاته.

❁ وقد تبين لهما أنه الخضر عليه السلام

❁ وكان الخضر عليه السلام عبداً من عباد الله الصالحين

❁ بل وكان نبياً مرسلاً..

❁ ووصفه المولى سبحانه بقوله

❁ ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْم﴾

❁ ويقال بأنه ما زال حياً حتى الآن.

***

❁ وفرغ الخضر عليه السلام من الصلاة.

❁ فسلما عليه.

❁ فرد عليهما السلام.

❁ فتأكد لهما الأمر

❁ حيث لم يكن في تلك الديار من يُقر بالتوحيد.

❁ فقال له موسى عليه السلام

﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدا﴾

❁ فأجابه الخضر عليه السلام

﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً..! وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً﴾؟!

❁ فتعجب نبي الله وكليمُه مما سمع، ولكنه قال له بتواضع جم:

﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ صَابِراً وَلاَ أَعْصِي لَكَ أَمْرا﴾

❁ فوضع الخضر عليه السلام شرطاً لذلك، قائلاً:

﴿فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلاَ تَسْئَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرا﴾

***

❁ فانطلقا، وقد رضي موسى عليه السلام بالشرط .

وبلغا ساحل البحر وقد جاءت سفينة تريد أن تعبر ، فقال أرباب السفينة وقد وجدوا النفر الثلاثة على الشاطئ:

❁ لنحمل هؤلاء معنا، إذْ يبدو عليهم أنهم قوم صالحون.

فركب الخضر وموسى ومعهما يوشع عليهم السلام.

❁ وأبحرت السفينة تشق عباب الماء.

***

وبعد أن قطعت السفينة شوطاً فوق الأمواج..

❁ عمد الخضر عليه السلام إلى قاعها فخرقها..

❁ فغضب موسى عليه السلام غضباً شديداً، وخاطب الخضر عليه السلام منكراً عليه فعلته:

❁ ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْر﴾

❁ فذكّره الخضر عليه السلام قائلاً:

❁ ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْر﴾

❁ فاعتذر موسى عليه السلام تأدباً، وقال:

❁ ﴿لاَ تُؤاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلاَ تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرا﴾

***

❁ وانطلقا مرة أخرى بعد النزول من السفينة.

❁ فاذا بصبية يلعبون وبينهم غلام حسن الوجه.

❁ فتأمله الخضر عليه السلام، ثم أخذه وقتله.

❁ فوثب عليه موسى عليه السلام وقد اشتد غضبه مرة أخرى.

❁ وقال للخضر عليه السلام معنفاً:

❁ ﴿أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْرا﴾

❁ فأجابه الخضر عليه السلام لائماً:

❁ ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرا﴾

❁ فبلغ موسى عليه السلام منتهى العذر، وقال وقد اشترط على نفسه شرطاً حاسماً:

❁ ﴿إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلاَ تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرا﴾.

***

فانطلقا..

❁ حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها.

فأبوْا أن يضيّفوهما..

❁ فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقضّ، فأقامه الخضر عليه السلام.

فلم يستطعْ موسى عليه السلام صبراً، وقال له:

❁ ﴿لَوْ شِئْتَ لاَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرا﴾

فأجابه الخضر عليه السلام قائلاً:

❁ ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾

***

وجلس موسى عليه السلام صامتاً في انتظار سماع تأويل ما لم يستطع عليه صبراً.

❁ وقد زاد قناعة أن ثمة من هو أعلم منه

فأنبأه الخضر عليه السلام نبأ السفينة قائلاً:

❁ ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبا﴾

ثم أنبأه بخبر الغلام قائلاً:

❁ ﴿وَأَمَّا الْغُلاَمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً. فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْم ﴾

❁ وبقي خبر الجدار، فقال له الخضر عليه السلام:

❁ ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلاَمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾

❁ ثم ختم الخضر عليه السلام حديثه بتواضع العلماء الالهيين، مُسنداً علم ذلك كله إلى الله تعالى، وقال مستطرداً:

❁ ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرا﴾

❁ وحانت ساعة الفراق ، فذهب كل منهما إلى حال سبيله..

❁ وفوق كل ذي علم عليم..!

❁ وإن في قصصهم لعبرةً لأولي الألباب .

***

❁ وكان الله سبحانه وتعالى قد وعد موسى عليه السلام أن يورثه وقومه الأرض المقدسة، وهي فلسطين.

❁ وكان يسكنها قوم جبارون من أحفاد سام بن نوح عليه السلام.

❁ فلما حانت ساعة ذلك.

❁ أمر الله تعالى نبيه موسى عليه السلام بالمسير، فقال موسى عليه السلام لقومه:

❁ يَا قَوْمِ ادْخُلُواْ الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّواْ عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُواْ خَاسِرِينَ﴾.

❁ فخاف بنو اسرائيل من قتال العمالقة، وأرادوا الرجوع إلى مصر، وقالوا:

❁ يا ليتنا متنا بأرض مصر، ولا يُدخلُنا اللهُ إلى هذه الأرض فتكونَ نساؤنا وأموالنا غنيمة لهؤلاء الجبارين.

***

❁ واشتدّ الأمر على موسى عليه السلام، فقال لهم مطمئناً وواعداً بالنصر الالهي:

❁ إن الله الذي فلق لكم البحر وأنجاكم من فرعون وجوره هو الذي يُظهركم عليهم .

❁ فرفضوا، وهموا بالأنصراف إلى مصر، وقالوا لموسى عليه السلام معاندين:

❁ ﴿إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾

❁ فقام يوشع بن نون، وصيُّ موسى عليه السلام، ومعه رجل آخر، وخاطبا القوم قائلين:

❁ ﴿ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُواْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

❁ ولكنّ بني إسرائيل لم يكونوا على درجة من الإيمان تؤهلهم لِيُنجز الله وعده لهم، فقالوا لموسى عليه السلام وقد سيطر على نفوسهم الذل والهوان والخوف:

❁ ﴿يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾.

***

❁ ولم يجرؤ بنو إسرائيل على الأقتراب من باب أريحا.

❁ وقعدوا يصدون ويثبطون عن القتال.

❁ فخاطب موسى عليه السلام ربه قائلاً والحال هذه:

❁ ﴿رَبِّ إِنِّي لاَ أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾

❁ فأراد الله سبحانه القضاء على بني اسرائيل واستبدالهم بخير منهم.

❁ فدعا موسى عليه السلام ربه بالصبر عليهم والمغفرة لهم وعدم أخذهم بالموبقات.

❁ فاستجاب الله تعالى دعاءه، ولكنه حرم عليهم دخول الأرض المقدسة، وقال لموسى عليه السلام مواسياً:

❁ ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾

***

❁ وتمت حجة الله تعالى على بني إسرائيل لفسقهم وعصيانهم.

❁ وظلوا تائهين في الأرض كما كتب الله.

وانصرف موسى عليه السلام لمناجاة ربه والسعي في إصلاح بني اسرائيل.

وكان الزمن يمر، والأعوام تترى

حتى حانت ساعة هارون عليه السلام

فأوحى الله إلى موسى عليه السلام بذلك

فقال موسى لهارون عليهما السلام.

امض بنا إلى جبل طور سيناء

فاذا ببيت على بابه شجرة عليها ثوبان

ووقف هارون عليه السلام منتظراً ماذا سيحدث

فقال له موسى عليه السلام:

ادخل البيت، واطرح ثيابك، والبس هاتين الحلتين، ونم على السرير الذي بالداخل..!

ففعل هارون عليه السلام.

وعندئذ، قبضه الله إليه، وارتفع البيت والشجرة..!

***

وعاد موسى عليه السلام إلى بني اسرائيل فأخبرهم بما حدث.

فكذّبوه، واتهموه بقتل أخيه هارون..!

فشكى موسى عليه السلام ذلك إلى ربه.

❁ فأمر الله تعالى الملائكة، فحملت السرير وعليه هارون عليه السلام بين الأرض والسماء حتى رآه بنو اسرائيل..!

❁ وعند ذلك فقط، علموا بأنه مات..!

***

❁ ومضت مدة أخرى من الزمان

❁ وإذا موسى عليه السلام برجل حسن المنظر يقول له:

❁ السلام عليك يا كليم الله.

❁ فرد عليه السلامَ، ثم سأله:

❁ من أنت؟

❁ فأجابه قائلاً:

❁ أنا ملك الموت، جئت لأقبض روحك

❁ فقال له موسى عليه السلام

❁ ومن أين تقبض روحي؟

❁ فقال ملك الموت

❁ من فمك

❁ فقال له موسى عليه السلام محتجاً:

❁ كيف، وقد تكلمت مع ربي جل جلاله؟

فقال ملك الموت:

إذاً.. فمن يديك

فقال موسى عليه السلام

كيف وقد حملت بهما التوراة ؟

فاستطرد ملك الموت قائلاً:

فمن رجليك

فقال له موسى عليه السلام :

كيف وقد وطأت بهما طور سيناء؟

فقال له ملك الموت:

فمن عينيك

فأجاب موسى عليه السلام:

كيف ولم تزل إلى ربي ممدودة؟

فقال ملك الموت باسماً:

فمن أذنيك

فقال له موسى عليه السلام

كيف وقد سمعت بهما كلام الله عز وجل؟!

***

ووقف ملك الموت ينتظر الوحي الالهي، فجاءه قائلاً:

لا تقبض روحه حتى يكون هو الذي يريد ذلك..

فخرج ملك الموت من عند موسى عليه السلام

فدعا موسى عليه السلام يوشع بن نون، وأوصى إليه، وأمره بكتمان أمره، وبأن يوصى بعده لمن يقوم بالأمر.

ثم غاب موسى عليه السلام عن قومه..!

***

وعندما كان موسى عليه السلام في غيبته، مر برجل يحفر قبراً.

فقال للرجل:

ألا أعينك على حفر هذا القبر؟

فرضي الرجل بمساعدته

فأعانه موسى عليه السلام على حفر القبر، وسوّى اللحد، ثم اضطجع فيه لينظر كيف هو!!

فكُشف له الغطاء عن عالم غيب الرحمان، فلم يلبث أن خاطب ربه قائلاً:

يا ربّ، اقبضني إليك!

فقُبضت روحه في مكانه.

وكان الذي يحفر القبر ملاكاً في صورة آدمي، فدفنه في القبر، وسوّى

عليه التراب وهو في أرض التيه.

وعند ذلك صاح صائح من السماء:

مات موسى كليم الله، فأي نفس لا تموت!!

## واذكر في الكتاب اسماعيل..

❁ كان لحزقيل النبي ولدٌ صالح اسمُه اسماعيل.

❁ واسماعيل هذا، الذي سمّاه القرآنُ الكريم صادقَ الوعد، وهو غيرُ اسماعيلَ بن ابراهيم عليه السلام.

❁ وقد بعث اللهُ اسماعيل بن حزقيل نبيّاً إلى قومهِ من بني اسرائيل

❁ فكان يأمرهم بالصلاة والزكاة.

❁ ﴿وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيّاً﴾.

***

❁ وذات يوم.

❁ كان اسماعيل عليه السلام يسير في إحدى الطرقات.

❁ فالتقى برجلٍ صالح عابدٍ من أعبدِ بني اسرائيل.

❁ فسأله اسماعيل عليه السلام

❁ إلى أين يا صاحبي في هذا الوقت من النهار؟

❁ فأجابه العابدُ

❁ إلى قصر الملك.

❁ فسأله اسماعيل عليه السلام

❁ وما حاجتُك بالملك؟

❁ فقال العابد:

❁ ليست لي به حاجة، ولكنها حوائجُ الناس اسعى بها عنده.

❁ ولمّا أراد اسماعيل مجالسته والحديث إليه، فان العابد وعده قائلاً:

❁ ابقَ هنا، ولا تبرح، حتى أرجعَ إليك من عندِ الملك.

***

❁ وودع اسماعيل عليه السلام العابد الذي واصل طريقه نحو قصر الملك.

❁ وبقي اسماعيلُ في مكانه لا يبرح.

❁ وحان وقت الزوال..

❁ ولم يغادرْ اسماعيلُ المكان.

❁ فجنَّ الليل.

❁ وظل اسماعيلُ عليه السلام في المكان..

❁ وانقضى الليل..

❁ ولم يعدْ العابدُ من عند الملك..!

❁ واسماعيل عليه السلام ما زال قائماً في نفس المكان..!

***

❁ ومضت أيامٌ وأسابيع وشهور..!

❁ ولم يرجع العابد

❁ واسماعيلُ عليه السلام لا يغادر المكان

❁ واشتد الجوع باسماعيل

❁ فأنبت اللهُ له عشباً يقتاتُ عليه

❁ وأخذ منه العطش مأخذه

❁ فأجرى له اللهُ عيناً يشربُ منها

❁ وأجهدته حرارة الشمس

❁ فأظلَه اللهُ بالغمام..!

***

❁ وكان الناس يمرون باسماعيل عليه السلام فيعجبون من أمره..

❁ وربما سخروا منه

❁ ولعلهم اتهموه بالجنون على وتيرة غيره من أنبياء الله ورسله والمصطفين الأخيار..

❁ ولكنّ اسماعيل عليه السلام أبى إلا الوفاء بوعدِه فلم يبرحْ المكان..

❁ حتى مضى عليه الحول..!

***

❁ وفي صباح يومٍ من الأيام..

❁ نظر اسماعيل عليه السلام فاذا بموكب الملك قادماً من بعيد.

ولم يمض سوى وقتٍ قصير حتى صار الموكب بمحاذاته.

وكان الملك خارجاً للتنزه.

وفجأة..!

برز رجل كان يسير بجوار الملك في مقدمة الركب

وإذا به ذلك العابد..!

فلما رأى اسماعيل ما زال في مكانه لم يبرح، فانه صاح مندهشا:

وإنك لهاهنا يا اسماعيل؟!

فقال له اسماعيل عليه السلام :

قلتَ لا تبرحْ، فلم أبرح..!

فسُمّي اسماعيل عليه السلام صادق الوعد..!

***

وكان مع الملكِ أحدُ الجبارين.

فاتهم اسماعيل عليه السلام بالكذبِ، وصاحَ به:

لقد كنتَ تترددُ هنا وهناك في أنحاءِ البرّيةِ، فلِمَ تقول إنك لم تبرح؟!

فأجابه اسماعيل عليه السلام مدافعاً عن نفسه:

إن كنتَ كاذباً، نزعَ اللهُ صالحَ ما أعطاك!!

فتناثرت أسنان الجبار في الحال..!

***

وأصيب الجبار بالهلع، وشعر بالخجل أمام الحاضرين..

فالتفت إلى الملك قائلاً:

لقد كذبتُ على هذا العبدِ الصالح، فاطلب منه أن يدعو ربه ليردَ أسناني، فانني شيخٌ كبير!

فضحك الملكُ لما ألمَّ بالجبار، ثم قال لاسماعيل عليه السلام:

ادعُ اللهَ ليردَّ عليه أسنانَه

فأجابه اسماعيل عليه السلام:

لسوفَ أفعل.

فاستعجله الملك قائلاً:

الساعة.. الآن!

فقال اسماعيل عليه السلام

كلا..!

فسأله الملكُ متعجباً:

ولماذا ليس الآن؟!

فقال له اسماعيل عليه السلام:

بل أؤخرهُ للسَّحَر، فان أفضلَ ما دعوتم اللهَ بالأسحار.

وعندئذ.. تحرك موكب الملك، ومعه العابد.

بينما الجبارُ يئنُ ويتأوهُ لأسنانه المتساقطة.

❁ ولكنّ العابد التفت إلى أسماعيل عليه السلام قائلاً:

❁ هبني لم أرجعْ، فماذا كنت فاعلاً يا اسماعيل؟!

❁ فأجابه اسماعيل صادق الوعد عليه السلام :

❁ لو لم ترجعْ، لكان المحشرُ من مكاني هذا..!!

***

❁ وواصل اسماعيل دعوته إلى قومه، وظل يأمرهم بالصلاة والزكاة.

❁ حتى كان ذات يوم..

❁ فاجتمع عليه القوم ليقتلوه..!

❁ ثم أخذوه وسلخوا فروةَ رأسِه وجلدة وجهه..!

❁ فاشتد عليهم غضبُ الله، ووجّه ملكَ العذاب إلى اسماعيل عليه السلام وهو على هذه الحال بينَ قومه.

❁ فقال له ملك العذاب:

❁ يا اسماعيل، لقد وجهني ربُ العزةِ إليك لأعذب قومك بأنواع العذاب إن شئت!

❁ فقال له اسماعيل عليه السلام :

❁ لا حاجة لي في ذلك!

***

❁ عندئذ، أوحى الله تعالى إلى إسماعيل عليه السلام

❁ ما حاجتك يا اسماعيل؟

❁ فقال اسماعيل عليه السلام :

❁ يارب! إنك أخذتَ الميثاقَ لنفسك بالربوبية، ولمحمدٍ بالنبوة، ولأوصيائه بالولاية، وأخبرت بما يُفعل بآلِهِ من بعدِهِ

❁ فأمطرت السماء دماً..!

❁ وتجلّى رأسٌ مقطوع في الفضاءِ اللامتناهي!

❁ فقال اسماعيل صادق الوعد عليه السلام:

❁ حاجتي إليك يا ربّ، أن تُكرّ بي إلى الدنيا لأنتقم مَمن فعل بي ذلك، كما وعدت صاحبَ هذا الرأس..

❁ وكان صوت الوحي مازال يتردد في جنبات العرش ﴿**وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيّاً * وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِـ لصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيّاً**﴾

## سلام على إلياسين..

❁ ازدانت مدينةُ بعْلبك بألوان الزينة والزخارف..

❁ وانطلق أهلُها في الصباح الباكر نحو المعبد الكبير لأداء الطقوس لإلههم بعْل.

❁ وركب الملك في مقدمتهم وبجواره زوجته تحوطهما مظاهر العظمة والسلطان.

❁ حتى إذا وصل الركبُ الملكي إلى المعبد أخذت المراسمُ الوثنية تجري بدقةٍ وانتظام.

❁ بينما الصنم المعبود يقوم على قاعدة حجرية سوداء في صدارة المعبد.

❁ وتعالت أصواتُ التقديس في جنباتِ المعبد الكبير.

❁ والكهنة بملابسهم الملونة يؤمون مراسم العبادة ويقدمون القرابين.

***

❁ وعندما كان القوم منهمكين في أداءِ الطقوس

❁ دخل عليهم إلياس النبي عليه السلام.

❁ وكان من ولد هارون عليه السلام، وقد بعثه الله إلى هذا السبط من بني اسرائيل الذين سكنوا مدينةَ بعلبك بعد أن دخل بهم يوشعُ بنُ نون عليه السلام الشام.

❁ فطغوا وبغوا، وافتتنوا بعبادة صنم يُدعى (بَعْل).

❁ وتركوا عبادة التوحيد ولم يذكروا نعمةَ الله عليهم.

***

❁ وعندما دخل عليهم إلياس عليه السلام المعبد، لم يعيروه اهتماماً، فناداهم قائلاً:

❁ ﴿يا قوم أَلاَ تَتَّقُونَ أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ اللهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَائِكُمُ الأَوَّلِينَ﴾

❁ ولكنهم كذَّبوه، وسخروا منه، وتوعدوه بالقتل إن لم يكف عن دعوته.

❁ فتركهم إلياسُ عليه السلام بعد أن يئس منهم بينما أقاموا نهارهم على الشرك والعربدة، يدفعهم إلى ذلك الملكُ الطاغية وامرأتهُ الماجنة..!

***

❁ وغاب الملك عن المدينة في سفر له.

❁ وكان إذا غاب استخلف زوجته فتقضي بين الناس بالهوى والضلال.

❁ وكان بالمدينة رجل صالح له بستان وريف فوثبت عليه امرأةُ الملك، وقتلته، واستولت على بستانه.

❁ فغضب الله لعبده الصالح، وآلى على نفسه أن يهلك الملك وزوجته إن لم يتوبا

❁ وأخبرهما إلياسُ عليه السلام بذلك وقد صدعَ بالأمر الالهي ، فاشتد غيظ الملك وزوجته، وهمّا بنبي الله لتعذيبه والتخلص منه.

فهرب منهم، ولحقَ بالجبل، وبقي به بضعَ سنين يأكلُ من نباتِ الأرض.

***

وكان للملك ولد يحبه ويعتز به ويعدّه للحكم.

فأمرَضه اللهُ مرضاً شديداً.

فجاءوا له بالأطباء من كل مكان.

فلم يشفِهِ دواء.

فلجأوا إلى إلههم بعل ليشفعَ له.

فلم ينفعهم ذلك.

فبعثوا الناس إلى الجبل وسألوا إلياس عليه السلام أن يهبط إليهم ويشفع لهم.

فنزل إلياسُ من الجبل.

وبدلاً من أن يشفع لهم خاطبهم قائلاً:

إن اللهَ أرسلني اليكم، فاسمعوا رسالةَ ربكِم، وإنه يقول: ارجعوا إلى الملك فقولوا له، إني أنا اللهُ لا إلهَ إلا أنا إلهُ بني اسرائيل أضرُهم وأنفعهم ولكنكَ تطلب الشفاعةَ لابِنك من غيرِي..

***

وعاد الناس إلى الملك وأخبروه بما حدث

فامتلأ غيظاً، واستشاط غضباً

❁ وصاح فيهم:

❁ ماالذي منعكم من قتلِهِ فانه عدوي؟

❁ فأجابوه قائلين:

❁ لقد قذف في قلوبِنا الرعب..!

❁ فاحتال الملك بخمسين رجلاً من قومه، وأوصاهم قائلاً:

❁ اذهبوا إلى إلياس، وأطمعوهُ بالايمان به، فيغترُ بكم ويمكنُّكم من نفسه

❁ فانطلقوا إلى الجبل، ونادوا:

❁ يا نبيَ الله، إبرُز لنا، فانا آمنّا بك..!

❁ فطمع إلياس عليه السلام في إيمانهم، وقال:

❁ اللهم إن كانوا صاديقين فأذن لي بالنزول إليهم، وإن كانوا كاذبين فارمِهم بنار تُحرِقُهم.

❁ فما استتم إلياس عليه السلام كلامه، حتى رماهم الله بالنار، فاحترقوا عن آخرهم!

***

❁ واشتد المرضُ بابن الملك حتى مات.

❁ فجزع الملك جزعاً شديداً

❁ ونزل البلاءُ ببني إسرائيل، وأمسكت عنهم السماءُ قطرَها، فاشتد بهم

القحط، وأسرع فيهم الموت.

❁ فلما علموا أن ذلك من غضب الله لإلياس نبيه عليه السلام، فزعوا إليه في الجبل، وقالوا له:

❁ نحن طوعُ يديْك، فانزل إلينا، وادع اللهَ أن يمطرَ علينا السماءَ، ويُنبتَ لنا الأرض.

❁ فرق لهم إلياس عليه السلام ونزل إليهم، ودعا الله، فجاءت سحابة وهطلت عليهم بالمطر.

***

❁ وأقام إلياسُ عليه السلام بين أظهرهم وهم صالحون.

❁ ثم مالبثوا أن أدركهم البطر والطغيان، فجحدوا حقه وتمردوا عليه!

❁ فسلطَ اللهُ عليهم عدواً قصدَهم ولم يشعروا به.

❁ فألحق بهم الهزيمة، وقتل الملك وامرأته، وألقاهما في بستان ذلك الرجل الصالح الذي قتلته زوجة ذلك الملك، بينما كان الوحي الالهي يجلجل في السماء قائلاً:

❁ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ، إِلاَّ عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ، وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الأَخِرِينَ﴾

***

❁ ووصّى إلياسُ عليه السلام إلى تلميذه اليسع.

❁ ورفعه الله من بين أَظْهُرِ بني اسرائيل

❁ ثم بعث إليهم اليسع رسولاً، وأوحى إليه، وأيّده.

❁ وكان البلاء قد عمّ بني إسرائيل وأتت عليهم الكوارثُ والمجاعات.

❁ فآمنوا باليسع عليه السلام وكانوا يعظمونه ويهتدون بهداه.

❁ حتى إذا كبُر اليسع عليه السلام أوصى لذي الكفل عليه السلام.

❁ فأقام في بني اسرائيل وقد بعثه الله إليهم نبياً، وكان لا يغضب إلا لله عز وجل.

❁ ومع أنهم كانوا يطيعونه، إلا أنهم أَبَوْا عندما أمرَهم اللهُ بالجهاد، وعادوا إلى سيرتِهم الأولى.

❁ فأجرى الله تعالى فيهم سنته التي قد خلت في عباده، وخسر هنالك المبطلون.

❁ ولن تجد لسنةِ الله تحويلاً.

***

❁ ومضت أعوام وأزمان

❁ وكان هنالك جبل شاهق له قُلّة عالية

❁ فسُمع من قُلّته صوتٌ يقول:

اللهم اجعلني من الأمة المرحومة المغفورة!

فتجاوب معه هاتفُ الوحي:

﴿سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ، إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ، إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾

## ياشموئيل: ابعث لنا مَلِكا..

❁ انغمس بنو اسرائيل في المعاصي، وعتوا عن أمر ربهم بعد نبيهم موسى عليه السلام.

❁ وكان الله يبعث إليهم النبي بعد الآخر فيكذبونه ويؤذونه، وربما قتلوه بغير حق.

❁ فعاقبهم الله على ذلك وسلط عليهم من يسومهم سوء العذاب.

❁ وكان من ذلك أن قصدهم جالوت ملكُ الكنعانيين، فظفر بهم، وضرب عليهم الجزية، وأخرجهم من ديارهم، وسلب أموالهم، وسبى نساءهم وقتل ملكهم.

❁ ففزعوا إلى نبي لهم قائلين:

❁ يا نبي الله! ﴿ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

***

❁ وكان نبيُّ بني إسرائيل حينذاك يُدعى شموئيل عليه السلام.

❁ وكانت النبوة في ذلك العهد في بيت، والملك والسلطان في بيت آخر.

❁ فقال لهم شموئيل وهو الخبير بطباعهم:

❁ ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُوا﴾

❁ فأجابوه قائلين:

﴿وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾

***

❁ وسأل شموئيل عليه السلام ربه أن يبعث ملكاً إلى بني اسرائيل.

﴿ فأوحى إليه أنه ملّك عليهم طالوت.

❁ وكان طالوت هذا من أقوى بني اسرائيل واشجعهم وأعلمهم، إلا أنه كان فقيراً، ولم يكن من بيت النبوة ولا من بيت المملكة.

﴿ فكان الاختبار عسيراً لبني اسرائيل.

❁ وأقبل شموئيل عليه السلام على بني اسرائيل يبشرهم بأن الله قد استجاب لهم، وقال:

﴿ ﴿إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً﴾

❁ فغضب بنوا اسرائيل، واحتجوا قائلين:

﴿ ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾

❁ فاحتج عليهم شموئيل عليه السلام هو الآخر قائلاً:

﴿ ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

***

❁ ولكنّ بني اسرائيل كانوا قد شبوا على العناد، ودأبوا على الخلاف، فقالوا لنبيهم:

❁ إذا كان حقاً ما تقول، فأرنا آيةً لمُلْكه

❁ فأجابهم شموئيل عليه السلام :

❁ ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلاَئِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

❁ فقبل بنو اسرائيل بشرط أن يشاهدوا هذه الآية قبل أن يرضوا بطالوت ملكاً!

***

❁ وكان تابوت العهد عند بني اسرائيل يتوارثونه جيلاً بعد جيل.

❁ وكان في هذا التابوت ألواح موسى عليه السلام ودرعه وما كان عنده من آيات النبوة.

❁ وكان قد أودعه يوشعَ وصيَّه قبل وفاته.

❁ وكان التابوت مصدر خير ونصر وعز وشرف لبني اسرائيل.

❁ فلما عملوا بالمعاصي، واستخفوا به، رفعه الله من بينهم.

***

❁ وحانت الساعة الموعودة.

❁ وإذا ببني اسرائيل يشاهدون الملائكة بين السماء والأرض، وقد حملوا

التابوت وجاءوا به إليهم..!

❁ فلم يعد أمامهم بُدٌّ من الانصياع لقول شموئيل النبيعليه السلام والخروج مع ملكهم طالوت لقتال جالوت..!

***

❁ وخرج طالوت بجنوده قاصداً الأعداء.

❁ فلما فصل طالوت بالجنود قال لهم:

❁ ﴿إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾

❁ وكان الله يريد امتحانهم وتمحيص عزمهم على القتال، حتى إذا لاقوا عدوهم ثبتوا في المواجهة.

❁ فظلوا يسيرون في الصحارى والمفازات، وقد اشتد بهم العطش، وهم يتحينون ظهورَ الماء..!

***

❁ والتمع الماء من بعيد.

❁ فظنه بنو إسرائيل سراباً..!

❁ حتى إذا اقتربوا منه تحققوا بأنه نهر البلاء.

❁ ورغم تحذير طالوت لهم، فان شدة الظمأ أنستهم كلَ شيء..!

❁ فتكالبوا على النهر، ووردوا الماء من كل جانب!

وأخذوا يعبّون الماء بلا رويّة!

فشربوا منه إلا قليلاً منهم

وكان الذين شربوا ستين ألفاً.

وأما الذين لم يشربوا فكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً..!

***

ولما هدأ الضجيج، وتبيّن الموقف

عبر طالوت النهر ببني اسرائيل

فلما جاوزه هو الذين آمنوا معه، وجدوا جالوتَ وجنودَه وقد برزوا أمامهم.

فتقهقر الذين شربوا من النهر، وتقاعسوا عن القتال، وقالوا لطالوت:

﴿لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾

وأما الذين لم يشربوا فقد التفوا حول طالوت وقد وطّنوا أنفسهم على ملاقاة الله، وقالوا:

﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

فانطلق بهم طالوت راجياً نصر الله!

***

وبرز طالوت ومن معه من مؤمني بني اسرئيل لجالوتَ وجنوده.

واشتد أُوارُ المعركة، فدعوا الله قائلين:

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

وتوالت الهجمات من كل جانب حتى كاد بنو اسرائيل ييأسون من النصر.

ولكنّ أمل الفئة المؤمنة كان معقوداً على وعد الله الذي لن يُخلف وعده..!

حتى إذا بلغت القلوب الحناجر..

برز من بينهم فتى قوي شديد البأس يُدعى داوود.

فقصد داوود جالوت الذي كان يتقدم جنوده وقد التمع على رأسه تاج المملكة المرصع بالأحجار والجواهر.

ووجه إليه داوود ضربة قاتلة، فوقع على الأرض صريعاً.

فهزموهم باذن الله، وفر جنود الأعداء وقد فرقتهم الهزيمة الساحقة.

وعاد طالوت إلى شموئيل عليه السلام بجنوده المؤمنين تحلق فوق رؤوسهم طيورُ النصر البيضاء.

حتى إذا مثلوا بين يدي نبي الله..

زوّج طالوت ابنته من داوود الذي آتاه الله المُلك والحكمة وعلمه مما يشاء.

وكان العاقد هو شموئيل النبي عليه السلام.

## وآتينا داوود زبورا..

❁ ظل نبي الله شموئيل عليه السلام والملك طالوت في بني اسرائيل حقبة من الزمان، حتى لبّى كل منهما داعيَ الموت عندما حانت ساعته.

❁ فأتى بنو إسرائيل إلى داوود، وأعطوه خزائن طالوت، وملّكوه عليهم.

❁ فلما جعله الله نبياً، أنزل عليه الزبور، وأمر الجبال والطير أن يسبّحن معه إذا سبّح.

❁ وكان داوود عليه السلام حسن الصوت، حتى أنه كان يقرأ الزبور فتدنوا الوحوش حتى يأخذ بأعناقها.

❁ ورغم أنه كان ملكاً إلا أنه كان يقوم الليل ويصوم النهار، ويأكل من كسب يده.

❁ وكان من معجزاته عليه السلام أن الله ألان له الحديد، فكان يتخذ منه الدروع.

❁ وفي عهد داوود عليه السلام جمع الله الملك والنبوة في بيت واحد لبني إسرائيل بعد أن كان كل منهما في بيت لفترة طويلة من الزمان.

❁ وبذلك دخل بنو اسرائيل في عهد جديد.

***

❁ ويبدوا أن بني اسرائيل كانوا قد كفوا عن المعاصي في ذلك العهد..

فكف الله عن ابتلائهم.

حتى إذا استتبت لهم الأمور..

عادوا إلى المعاصي من جديد..

فسلط الله عليهم الطاعون.

فلما فشى بينهم، خرج معهم داوود عليه السلام إلى موضع ببيت المقدس

وكان يرى الملائكة تعرج منه إلى السماء

فدعا الله سبحانه ليكشف عنهم الطاعون

فاستجاب الله له.

فأمرهم أن يتخذوا من ذلك الموضع مسجداً..

فشرعوا في بناء بيت المقدس الذي لم يتم بناؤه في عهد داوود عليه السلام فأوصى إلى ولده سليمان باتمامه.

***

ومنّ الله تعالى على داوود عليه السلام بالفضل الوفير والعلم الغزير وآتاه الحكمة وفصل الخطاب.

وجعله خليفة في الأرض.

وأمره أن يحكم بين الناس بالحق.

فاختبره بالفتنة والابتلاء..

فعندما كان منقطعاً للعبادة ذات يوم، وقد أغلق كافة الأبواب ليخلو

إلى ربه..

❁ نظر فرأى اثنين يتسوران المحراب ويدخلان إليه..!

❁ ففزع داوود عليه السلام مما حدث.

❁ فاقتربا منه، وقالا له:

❁ ﴿لاَ تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلاَ تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾.

***

❁ ثم أخذ أحدهما يتحدث، فقال:

❁ ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾

❁ فأسرع داوود عليه السلام قائلاً دون أن يستمع إلى الآخر:

❁ ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ﴾

❁ فابتسما، وعرجا في الحال.

❁ فعلم داوود عليه السلام أنهما كانا ملكين، وفهم الأمر، وذكر خطيئته في التسرع بالحكم دون الاستماع إلى حجة المدّعى عليه..!

***

❁ ولمّا أدرك داوود عليه السلام أنها كانت فتنة له من الله..

❁ فانه استغفر ربه، وخرّ راكعا، وأناب إلى الله.

❁ وظل داوود عليه السلام يبكي ليله ونهاره لا يفتر عن الركوع والسجود حتى انخرق جبينه وسال الدم من عينيه.

❁ فناداه الله تعالى: مالك يا داوود؟ أجائع فنشبعك؟ أو ظمأن فنسقيك؟ أم عُريانٌ فنكسوَك؟ أم خائفٌ فنؤمنك؟

❁ فقال داوود عليه السلام:

❁ إيْ ربّ، وكيف لا أخاف وقد علمتَ ما بدر مني، وأنت الحكم العدل، لا يجوزك ظلمُ ظالم؟

❁ فرحمه الله وغفر له

❁ ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَئَابٍ﴾

***

❁ وكان مما ابتُلي به داوود عليه السلام أيضاً، ما حدث مع زوجة أوريّا قائد جيشه.

❁ وقد أغرق البعض في هذه القصة، حتى أنهم نسبوا إلى داوود عليه السلام التهاونَ بصلاته والاقدامَ على الفاحشة!

❁ بل إنهم نسبوا إليه القتل أيضاً!

❁ وكل هذا مع ما ثبت للأنبياء عليهم السلام من العصمة بالبراهين والأدلة القاطعة.

❁ ولا يبعد أن يكون هذا كله من الاسرائيليات!

***

وحقيقة الأمر..

أن المرأة في عهد داوود عليه السلام كانت إذا مات زوجها أو قُتل لا يجوز لها أن تتزوج بعده أبداً.

فأراد الله أن ينسخ ذلك الحكم بعدما كان من قتل رجال كثيرين في الحروب.

فبدأ بداود عليه السلام عندما قُتل قائد جيشه أوريا.

فأمره بالزواج من امرأة أرويّا تثبيتاً للحكم الجديد.

فشقّ ذلك على بني اسرائيل وكثر منهم القيل والقال..

وهو ماحدث لنبينا محمد صلى الله عليه وآله عندما تزوج من زينب بنت جحش بعد أن طلقها زيد بن حارثة لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم.

وكان هذا غير جائز فيما سلف.

***

وظل داوود عليه السلام في بني اسرائيل يعلّمهم الزبور ويدعوهم إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

حتى كان ذات ليلة وهو منقطع للعبادة في داره.

وفجأة شاهد أمامه رجلاً غريباً

فسألة داوود عليه السلام:

من أنت؟ وكيف دخلت هذه الدار؟!

فقال الرجل:

أنا الذي أدخل على الملوك بلا إذن

فعلم داوود عليه السلام أنه ملك الموت، وقال له:

فهلا أرسلت إليّ فأستعدّ للموت؟!

فقال ملك الموت:

لقد أرسلت إليك كثيراً!

فسأله داوود عليه السلام:

ومن كان رسولك؟

فأجاب:

أين أبوك وأخوك وجارك ومعارفك؟ فقال داوود عليه السلام:

لقد ماتوا.

فقال ملاك الموت:

فهم رسلي إليك بأنك تموت كما ماتوا.

***

ومات صاحب المزامير، وقارئ أهل الجنة، نبيّ الله داوود عليه السلام، بعد أن ملك أربعين سنة.

وكان قد أوصى قبل موته لولده سليمان عليه السلام

فورث سليمان داوود عليهما السلام

وعندما كانوا يسيرون بداوود عليه السلام وقد حملوا تابوته إلى قبره..

نظر بنو إسرائيل، وإذا بالطيور تظلله بأجنحتها!

## إنه من سليمان..

❁ كان سليمان عليه السلام من أنبياء الله المكرمين

❁ فقد شب في بيت النبوة وفي كنف أبيه داوود عليه السلام.

❁ وقد آتاه الله علماً وفضلاً وأعده للنبوة

❁ حتى إذا مات داوود عليه السلام ورث سليمان عليه السلام ماله وملكه.

❁ وخصه الله بالنبوة حيث كان وصيّ داوود عليه السلام.

❁ كما حباه بفضائل خاصة، فعلمه منطق الطير وآتاه من كل شيء، وسخر له الجن والطير والريح.

***

❁ وفي أحد الأيام تجلّت آيات المُلك..

❁ ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾.

❁ حتى أن كل طائفة كانت في موقعها الخاص لا تتفرق، ولا تختلط بالطائفة الأخرى.

❁ ثم سار سليمان عليه السلام في مُلكه العظيم يحوطه جنوده من كل جانب.

❁ وقد استجاب الله دعاءه عندما قال:

﴿ ربِّ هَبْ لِي مُلْكاً لاَ يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾

***

❁ وبينما كان سليمان عليه السلام في طريقه.

﴿ صار هو وجنوده على مقربة من وادي النمل

❁ حتى إذا أتوْا على وادي النمل، قالت نملة:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُواْ مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾

❁ وسمع سليمان عليه السلام النملة وهو الذي يعرف منطقها، فتبسم ضاحكاً من قولها، وقال:

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾.

***

❁ وواصل سليمان عليه السلام طريقه.

﴿ فالقى نظرة على جنود مملكته.

❁ وتفقد الطير، فقال:

﴿ ﴿مَا لِيَ لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾.

❁ ولما كان الهدهد غائباً أردف سليمان عليه السلام قائلاً: ﴿لاَعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾.

***

ولم يكد يمر سوى زمن وجيز وغير بعيد

وإذا بالهدهد قد حضر..

وسأله سليمان عليه السلام عن شأنه، فقال:

﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾

وكان الهدهد بمنطقه الحصيف هذا يريد كسر سَوْرَةِ الغضب لدى سليمان

وأدرك نبي الله ما يرمي اليه الهدهد وأستخبره عن النبأ الذي جاء به من سبأ.

فقال الهدهد وقد أمن غضب سليمان عليه السلام:

﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾.

ثم استطرد الهدهد قائلاً:

﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لاَ يَهْتَدُونَ﴾.

ولم يكتف الهدهد بنقل المشهد وحكاية الأنباء، بل عبّر عن رأيه مستنكراً عبادة الوثنية، وقال:

﴿أَلاَّ يَسْجُدُواْ للهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ، اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾

ورغم ذلك، فان سليمان عليه السلام لم يقطع بما جاء به الهدهد من أخبار، بل

قال له:

❁ ﴿سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾

***

❁ وكتب سليمان عليه السلام كتاباً، وختمه بخاتمه، ثم استدعى الهدهد، وأمره قائلاً:

❁ ﴿اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَا ذَا يَرْجِعُونَ﴾.

❁ وطار الهدهد رسولاً من نبي الله سليمان عليه السلام إلى سبأ.

❁ حتى إذا حلّق على أرض اليمن، اتخذ طريقه نحو قصر ملكة سبأ.

❁ وهناك ألقى إليهم بالكتاب، ثم تولى عنهم كما أمره سليمان عليه السلام

❁ وتلقفت الملكة الكتاب، وقد أدهشها الأمر..

❁ وبدأ القلم يكتب صفحة جديدة من حياة بلقيس..!

***

❁ وفضّت بلقيس الكتاب، وقرأته، وعلمت بمصدره، ووقفت على فحواه.

❁ فاستدعت وزراءها وأشراف قومها في الحال، وقالت:

❁ ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُاْ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ، إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أَلاَّ تَعْلُواْ عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾.

❁ ولأنها لم تكن ملكة مستبدة، فقد سألتهم المشورة، وقالت:

❁ ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُاْ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْراً حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾

❁ فطمأنوها قائلين:

❁ ﴿نَحْنُ أُولُواْ قُوَّةٍ وَأُولُواْ بَأسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَا ذَا تَأْمُرِينَ﴾.

❁ فلما أعادوا إليها الأمر نتيجة الشورى، ووجدت أنهم يميلون إلى الحرب والقتال، أخذت تذم الحرب وويلاتها، وتقول:

❁ ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُواْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾.

❁ ثم رأت الملكة بلقيس أن تتبصر في أمر سليمان عليه السلام وتختبره قبل أن تصدر قرارها الأخير، فاستدركت في خطابها للملأ:

❁ ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾.

***

❁ وبعثت بلقيس بجمع من قومها إلى نبي الله سليمان عليه السلام وقد حمّلتهم بالهدايا.

❁ فلما وصلوا أدهشهم ما هو فيه من ملك عظيم يفوق ملكهم.

❁ ولما قدموا الهدايا إلى سليمان عليه السلام فانه أنكر عليهم ذلك، حيث كان مرامه أن يُسلم القوم، وقال لهم موبخاً:

❁ ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا ءَاتَانِيَ اللهُ خَيْرٌ مِمَّا ءَاتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾

❁ وأدرك سليمان أنهم استنكفوا عن الاسلام، ولم يمتثلوا أمره.

❁ فرد إليهم الهدية ولم يقبلها منهم.

❁ ثم خاطب رئيسهم مهدداً.

❁ ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لاَ قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾

***

❁ وعادت رسل بلقيس إلى سبأ

❁ وأخبروا الملكة بقوة سليمان وحكمه وعظمته.

❁ فأدركت أنه ليس ككل الملوك، وأن وراءه خبراً أرادت الوقوف عليه.

❁ فجمعت وزراءها، وتداولت معهم الأمر.

❁ ثم جاء قرارها الأخير بأنه لا محيص لها عن الذهاب.

❁ فأعدت عدتها، ثم خرجت في طريقها إلى سليمان عليه السلام.

***

❁ ونزل جبرائيل عليه السلام بالوحي على سليمان عليه السلام.

❁ وأخبره أن بلقيس في طريقها إليه.

❁ فأراد سليمان عليه السلام أن يقيم لها دليلاً ومعجزة على صدقه ونبوته حالما

تصل إليه.

❁ فجمع خاصته، وقال لهم:

﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾

❁ وكانت بلقيس قد تركت عرشها في قصرها، ووكلت به من يحرسونه من ثقاتها ورجالها الأشداء.

❁ وإنما فعل سليمان عليه السلام ذلك قبل مجيئها، استثماراً لعنصر المفاجأة.

❁ وكان سليمان عليه السلام في تلك اللحظة محاطاً بخيرة رجاله من الانس والجن.

***

❁ وشعر الجن المسخرون لسليمان عليه السلام وكأن هذا السؤال موجه إليهم لما يتميزون به من قوة خارقة.

❁ فقام عفريت من الجن، وقال لنبي الله سليمان عليه السلام:

﴿أَنَاْ ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾.

❁ ولكن ذلك لم يُرض سليمان عليه السلام..

❁ وأراد منهم أن يأتوه بعرش بلقيس بأسرع من ذلك!

❁ وعندئذ، قال آصف بن برخيا وصيُّ سليمان عليه السلام:

﴿أَنَاْ ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾

***

❁ وفي أسرع من لمح البصر..

نظر القوم، وإذا بالسرير أمامهم، وقد جيء به من اليمن..!

فلما رآه سليمان مستقراً عنده، قال:

﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾.

ولم يكن سليمان عليه السلام بحاجة إلى من يأتيه بعرش بلقيس.

بل كان بامكانه الأتيان به بنفسه..

إلا أنه عليه السلام أراد أن يعرّف أمته من الجن والانس أن آصف بن برخيا هو الحجة من بعده حتى لا يختلفوا فيه.

وقد ظهر لهم ذلك عندما فاق علم آصف بن برخيا قوة الجن الخارقة.

وهو علم كان قد أودعه إياه سليمانُ بأمر الله تعالى.

***

وأراد سليمان عليه السلام اختبار بلقيس لدى وصولها..

فقال لأتباعه:

﴿نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لاَ يَهْتَدُونَ﴾

فأدخلوا عليه تغييرات وتعديلات بحيث تغيب حقيقته عن ملكة سبأ في الوهلة الأولى.

ثم جلس سليمان عليه السلام على سريره في مجلسه.

وأمر الانس والجن والوحوش والسباع والطير، فاصطفوا عن يمينه وعن

يساره وفوقه صفوفاً طويلة بلغت العديد من الفراسخ.

ثم أمر الجن فوضعوا له ميداناً واسعاً بلبنات من الذهب ولفضة..

وشيدوا حوله جدراناً أنيقة شرفاتها من الأحجار الكريمة..!

***

ووصل ركب سبأ إلى مملكة سليمان عليه السلام

فلما شاهدت بلقيس المجلس والميدان أصابتها الحيرة والدهشة، وأخذ منها العجب مأخذه

ثم استقبلها رجال البلاط، وأرشدوها إلى مجلس سليمان عليه السلام.

فمشت إليه وجلةً مستغربة

حتى إذا طلب منها سليمان عليه السلام الجلوس..

جلست، وهي تقلب بصرها فيما حولها من مشاهد الجلال، دون أن تدري ما إذا كانت في حقيقة أم خيال!!

***

وبعد مراسم الاستقبال والترحيب..

كشفوا لبلقيس عن عرشها..

ثم قيل لها:

﴿أَهَـٰكَذَا عَرْشُكِ﴾؟!

فأجابت مترددة:

❁ ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾..!!

❁ ثم أدركت ملكة سبأ أن السؤال كان تلويحاً بملك سليمان وعظمته، فأقرت باليقين، وأتمت كلامها قائلة:

❁ ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾

❁ فعبرت بذلك عن سابق انقيادها وطاعتها لسليمان عليه السلام عندما جاءت تسعى إليه من مملكتها البعيدة!

***

❁ ولكنّ سليمان عليه السلام كان مازال يدخر لها المعجزة بعد الأخرى، والآية تلو الثانية، طمعاً في إسلامها عن حجة مبينة، وهي التي صدّها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين.

❁ فكان قد أمر بأن يبنوا لها صرحاً من الزجاج الأملس الشفاف.

❁ وكان ذلك الصرح قصراً شاهقاً مكشوفاً، لا سقف له، يقوم متلألئاً على موضع منبسط، تجري من تحته المياه الرقراقة..

❁ حتى إذا انتهى المجلس، صاحبها سليمان عليه السلام إلى الصرح إكراماً لشأنها.

❁ فنظرت إليه وقد حار بصرها، ثم سارت مشدوهة بما ترى من بهاء عمارته:

❁ ولما اقتربت من المدخل الفسيح، قيل لها:

❁ ﴿ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَ﴾..!

❁ وحسبته بلقيس لجة من المياه..

❁ فكشفت عن ساقيها، ورفعت ثيابها حتى لا تبتل بالماء..!

❁ فأنقذ سليمان عليه السلام الموقف، وقال لها:

❁ ﴿إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَ﴾..!

❁ فبادرت بلقيس وقد تمت عليها الحجة، وقالت:

❁ ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَانَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَالَمِينَ﴾.

***

❁ وانتصف النهار في مملكة نبي الله سليمان عليه السلام ثم جاء وقت الزوال، وتبعه العشيّ، وأشرف النهار على آخره.

❁ وكان سليمان عليه السلام جالساً بين رجاله في ميدان العرض الكبير.

❁ بينما كانت الصافنات الجياد والخيول الأصيلة تمر من أمامه في استعراض عظيم

❁ فقال عليه السلام: ﴿إِنِّي أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ﴾

❁ وذلك مبالغة في حبه للجياد

❁ فان الشخص قد يحب شيئا ولايحب أن يحبه

❁ وأما إذا أحبه ، وأحب أن يحبه ، فذلك مبالغة في حبه

❁ فقال سليمان عليه السلام:

❁ إن ذلك ﴿عَن ذِكرِ رَبِّي﴾

❁ ويقصد أن هذه المحبة بسبب ذكر الله وعن أمره ، لا عن هوى النفس.

❁ وذلك أن رباط الخيل مندوبٌ إليه شرعاً.

❁ ثم أمر عليه السلام بإركاض الخيل ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِـالْحِجَابِ﴾ رياضةً لها

❁ وعندئذ أمر بردّها

❁ وجعل يمسح سوقها وأعناقها تشريفاً لها.

❁ وإظهاراً لشفقته بها

❁ لأنها أعظم الأعوان في دفع العدو

❁ وإظهاراً لاهتمامه بمصالح الدين والدنيا

❁ ولا وجه لعودة الضمير إلى الشمس كما قال البعض

❁ فذلك خلاف الأصل لأنه عود إلى غير مذكور

❁ ولأن قوله ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ موجه إلى رجاله وأعوانه وفرسانه

❁ وهؤلاء لا قدرة لهم على رد الشمس

***

❁ وافتُتن سليمان عليه السلام بالمرض

❁ كما في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَداً﴾

❁ وليس صحيحا أن شيطانا من الجن تمثل بصورته ، وجلس على سريره !

❁ أو أنه أخذ خاتمه الذي فيه النبوة ، وألقاه في البحر ، فذهبت نبوته !

وأنكره قومه حتى عاد إليه من بطن سمكة.. !

فهذا لا يليق بمقام نبيٍّ معصوم كنبي الله سليمان عليه السلام.

***

وتوجه سليمان عليه السلام إلى الله سبحانه وتعالى داعيا :

﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّك أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾

عازماً على ألا يشغله المُلك عن طاعة الله تعالى ، وأن يقهر به الكفار والأعداء

وأن يكون ذلك معجزة له في زمن كان أهله يتنافسون في الملك والمال والجاه ، أملاً في إيمان قومه.

واستجاب الله المنّان دعاء نبيه سليمان عليه السلام

فسخّر له ﴿ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾.

﴿وَٱلشَّيَاطِينَ كلَّ بَنَّاء وَغَوَّاصٍ﴾.

﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ﴾

وأسال له عين القطر، وهو النحاس المذاب

فبنى بيت المقدس

وبنى الهيكل.

فبدت مدينة القدس وكأنها حلم في عمر الزمان.

***

وكان سليمان قد أمر ببناء المدينة من الرخام وصفائح الصخر.

وجعلها اثنتي عشرة محلة على عدد أسباط بني اسرائيل.

فلما فرغ من بناء المدينة شرع في بناء المسجد.

فأرسل من الجن من يستخرج الذهب والياقوت من المعادن.

ومن يأتي بالجواهر والأحجار الكريمة.

ومن يأتي بالمسك والعنبر والطيب

ومن يأتي بالدرر واللآلئ من البحار

حتى اجتمع عنده من كل ذلك ما لا يحصى.

***

ثم أحضر سليمان أهل الصنائع والمهرة والصاغة.

وبنى المسجد بالرخام الأبيض والأصفر والأخضر، ونصب الأعمدة والأساطين ورصعها باللؤلؤ والحصى الأبيض.

ثم بنى الأسقف بألواح الجواهر، ورصعها باليواقيت والجواهر.

وبسط أرض المسجد بألواح الفيروز.

حتى إذا فرغ من كل ذلك، بات المسجد يضيء في الظلمة كالقمر في السماء

واتخذ سليمان عليه السلام من ذلك اليوم عيداً

وظل بيت المقدس على مابناه سليمان زمناً طويلاً..

حتى غزا نبوخذ نصّر بني اسرائيل

فخرّب المدينة وهدمها ونقض المسجد الأقصى

وأخذ ما في سقفه وجدرانه من الذهب والدر والياقوت والجواهر..

ثم حملها إلى مملكته مع الأسرى والسبايا.

***

ورغم كل هذا الملك العظيم الذي وهبه الله تعالى لسليمان عليه السلام

فانه كان يعيش حياة الفقراء والزاهدين

وكان إذا أصبح تصفح وجوه الأغنياء والأشراف وسائر الطبقات

حتى يجيء إلى المساكين فيقعد معهم

وكان يأنس بهم ويحب الجلوس بينهم، ويقول:

مسكين مع المساكين

***

كما كان سليمان عليه السلام رغم ما هو فيه من الملك يلبس الصوف والشعر.

حتى إذا جن الليل شد يديه إلى عنقه، فلا يزال قائماً حتى يصبح باكياً حزيناً

وكان يحصل على قوته من سفائف الخوص يعملها بيده ويبيعها

وإنما سأل الله تعالى ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ليقهر بذلك ملوك الكفر

فأعطاه الله ما أراد، لعلمه تعالى بعواقب الأمور.

***

وفي يوم من الأيام..

دخل سليمان عليه السلام محرابه، وقام متكئاً على عصاه

فقبضه الله تعالى إليه وهو على هذه الحالة.

وبقي سليمان عليه السلام متكئاً على عصاه وهو ميت ماشاء الله والناس ينظرون إليه وهم يظنون أنه حي.

حتى إذا طالت المدة اختلفوا في أمره فمنهم من ذهب لتأليهه ومنهم من قال إنه ساحر

ومنهم من قال إنه عبد الله ونبيه يدبر الله أمره كما يشاء.

***

ومر عام كامل، وما زال سليمان عليه السلام متكئاً على عصاه بلا حراك..!

فبعث الله الأرضة، فأكلت منسأته.

فخر سليمان عليه السلام

فلما خر نبي الله سليمان عليه السلام وقد انكسرت عصاه بعد ما أكلت الأرضة جوفها

﴿ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾!

## أشعيا: رأيت راكبين.. أضاءت لهما الأرض..!

(أوردنا هذه القصة لما فيها من عظمة وعبرة، وإن كان أشعيا ـ وهو من أنبياء بني إسرائيل ـ لم يرد اسمه في القرآن الكريم)

❁ أقبل بنو إسرائيل على المعاصي

❁ وابتدعوا البدع

❁ وبدلوا كلمات الله

❁ وحلّت عليهم لعنة السماء

❁ فابتلاهم الله بغزو عظيم أعد له ملك بابل.

❁ فشعروا بالخطر الشديد..

❁ ولكنهم ظلوا مقيمين على الآثام والذنوب.

***

❁ وكان في بني اسرائيل ملك صالح..

❁ إلا أنهم تألبوا عليه

❁ فأرسل الله إليهم نبيه أشعيا

❁ فأخذ ينذرهم بغضب الله

ويحذرهم من عواقب المعاصي والذنوب

ولكنهم آذوه وخالفوا قوله..

حتى تبينوا أن ملك بابل قادم لغزوهم.

وأن معه مالا قبل لهم به من الجنود.

فأصابهم الرعب والفزع من الهلاك..

وعندئذ فقط،، عادوا إلى الله، وتضرعوا، وتابوا..!

***

وكان من رحمة الله بعباده..

أنه تاب على بني اسرائيل وقبل تضرعهم

فتعجب نبي الله أشعياعليه السلام

ولكن الله تعالى أوحى إليه قائلاً:

يا أشعيا..! لقد قبلت توبتهم لصلاح ملكهم.

فشكر أشعياعليه السلام ربه سبحانه

وأخذوا يتجهزون للقاء ملك بابل وجنوده.

***

وفي هذه الأثناء..

أصاب ملكَ بني اسرائيل مرض خطير وابتُلي بقرحة قاتلة..!

فأوحى الله تعالى إلى نبيه أشعياعليه السلام بأن يأمر ملك بني اسرائيل

باعداد وصيته واستخلاف واحد من أهل بيته، وليعهد عهده، لأنه قابضه عما قريب..!

***

وأخبره أشعيا عليه السلام ملك بني اسرائيل برسالة الله سبحانه

فحزن الملك حزناً شديداً

واستحوذ عليه الهم والكمد..

فأقبل على التضرع والبكاء، وتوجه إلى الله تعالى بالدعاء، وهو يقول:

اللهم إنك ابتدأتني بالخير من أول يوم وسببته لي

وأنت فيما استقبل رجائي وثقتي..

فلك الحمد بلا عمل صالح سلف مني.

وأنت أعلم مني بنفسي..

فأسألك أن تؤخرَ عني الموت، وتُنسئ لي في عمري، وتستعملني بما تحب وترضى

***

واستمر ملك بني اسرائيل في تضرعه ودعائه ليلاً ونهاراً.

وهو لا يرجو سوى رحمة ربه..

فأوحى الله تعالى إلى أشعيا عليه السلام

أخبر عبدي بأني رحمت تضرعه، واستجبت دعوته، ومننت عليه

بالشفاء، وزدت في عمره، وكفيته وبني اسرائيل مؤونة عدوهم.

❁ وشاع الخبر في المدينة..

❁ فعم الفرح ملكها وأهلها..

***

❁ وأصبح بنو اسرائيل وهم الذين لم يناموا من الفرح..

❁ فوجدوا جنود بابل صرعى في عسكرهم..

❁ ولم يفلت منهم أحد سوى القليل..

❁ بينما عاد الباقون منهزمين إلى أرض بابل..

❁ وتكللت المعركة بالنصر دون نزال

❁ فازداد بنو اسرائيل فرحاً وسروراً

❁ وأقبلوا على طاعة نبيهم وخدمة ملكهم.

***

❁ وتصرمت الأيام والأعوام..

❁ واستيقظ بنو اسرائيل ذات صباح

❁ فوجدوا ملكهم قد لبى دعوة ربه..

❁ فحزنوا لموته حزنا شديداً..

❁ ولكنهم اختلفوا فيما بينهم..

❁ وأخذ كل منهم يدعو لنفسه..

وعادوا إلى المعاصي والشرور..

وابتدعوا البدع والضلالات

ومضى عليهم وقت طويل وقد كثرت فيهم الأحداث..

بينما نبيهم أشعيا يأمرهم وينهاهم..

فلا يأتمرون، ولا ينتهون..!

***

وحل الغضب الالهي على بني اسرائيل..

فأوحى الله تعالى إلى نبيه أشعيا عليه السلام بأن ينذر قومه بعاصفة الغضب السماوي..

فسخر بنو اسرائيل من نبيهم

وازدادوا في عصيانهم وطغيانهم

فأوحى الله جلت قدرته إلى نبيه قائلاً:

إني مهلك من قومك مائة وأربعين ألفاً من شرارهم وستين ألفاً من خيارهم

فناجى أشعيا عليه السلام ربه قائلاً:

يا ربّ..! هؤلاء الأشرار، فما بال الأخيار..؟

فجاءه الوحي مجيباً:

داهنوا أهل المعاصي، فلم يغضبوا لغضبي

❁ ورأى أشعياعليه السلام وكأنّ طيور العذاب تحلق بأجنحتها السوداء في سماء المدينة..

***

❁ وانطلق أشعياعليه السلام إلى قومه فأنذرهم بما جاءه به الوحي.

❁ فثاروا عليه وغضبوا..

❁ وعدوا عليه ليقتلوه..!

❁ ففر من أمامهم هارباً..

❁ فتعقبوه وقد أجمعوا أمرهم على قتله..!

❁ واقترب أشعياعليه السلام من شجرة ضخمة.

❁ فانفلقت له..

❁ فاختبأ في أصلها..

❁ ولما افتقده بنو اسرائيل وقفوا ينظرون يساراً ويميناً وهم يجدّون في البحث عنه..!

***

❁ وبينما هم على هذه الحالة..

❁ شاهدوا رجلاً مسرعاً إليهم، وهو يشيرنحو الشجرة، ويعدو نحوها فتبعوه..

❁ وأمرهم الرجل بأن يحضروا منشاراً..

فأحضروه في الحال..

ثم أمرهم بأن يشقوا الشجرة إن كانوا يريدون العثور على أشعيا..

فوضعوا المنشار على أصل الشجرة وبدأو في شقها..

وكان الرجل الذي دلهم على الشجرة يقهقه فرحاً وسروراً..

وكان صوت يأتي من داخل الشجرة، وكأنه قادم من أعماق الغيب، وهو يتمتم يقول:

رأيت راكبيْن أضاءت لهما الأرض، أحدهما لابسا جلابيب النور، والآخر ضوءه كضوء القمر

***

ولم يحفل بنو اسرائيل بوحي السماء ونداء النبوة..

فواصلوا العمل بالمنشار على جذع الشجرة..

وشقوها نصفين..

فنعر إبليس نعرة، وانطلق مسرعاً بعيداً عن المكان..

وعندئذ نزل العذاب الالهي فأهلك بني اسرائيل ببغيهم وتمردهم وعصيانهم..!

وكان الصوت مازال يتمتم قادما من أعماق الغيب:

رأيت راكبين.. أضاءت لهما الأرض ..!

## هنالك.. دعا زكريا ربه

❁ كان زكرياعليه السلام من أكابر بني اسرائيل

❁ فكان رئيس الأحبار والرهبان.

❁ وكان يتولى أمر النذور والهدايا التي ترد إلى بيت المقدس وإلى الهيكل.

❁ وهو مع ذلك من أنبياءِ بني إسرائيل ذوي القدرِ والمنزلة والكلمة المسموعة.

❁ إلى أنَ جاء الزمان بأحداث غيرت عليه بني إسرائيل.

فتحولوا إلى أعداء مناوئينَ مبغضين.

***

❁ ففي يوم من الأيام..

❁ جاءت (حنَّةُ) امرأة عمران إلى بيت المقدس.

❁ وكانت تحمل مولودة لها وقد لفتها في خرقة

❁ وكانت قد نذرتها للهِ وهي ما زالت في بطِنها

❁ بيد أنها كانت تظن حملها ذكراً

❁ فلما وضعتها أنثى، وليس الذكرُ كالأنثى

❁ فانها أسمتها (مريم) وعزمت على الوفاءِ بنذرها.

***

❁ وعندما دخلت (حنَّةُ) إلى المسجد الأقصى

❁ فانها قصدت الأحبار، وقالت لهم:

❁ دونكم هذه المنذورة، فخذوها إليكم.

❁ فلما رأوا (حنة) وعرفوا أنها امرأة سيدهم وإمامهم وصاحب قربانهم عمران الذي كان قد وافاه الأجل

❁ فانهم تنافسوا على المنذورة، وجرى بينهم نزاعٌ شديد

❁ وكل منهم يتمنى أن يحظى بها

❁ حتى إذا أوغلَ القومُ في المنافسة

❁ فان زكريا قال لهم:

❁ أنا أحق بها، فأنا كبيرُكم وسيدُكم، و(إيشاع) أخْتُ (حنة) هي زوجتي، وأنا القيّم على مثلِها.

❁ ولكن بني اسرائيل لم يقبلوا منه، وأبوا إلاَّ القرعة على زكريا عليه السلام.

***

❁ واجتمع الأحبارِ جميعاً.

❁ وكانوا سبعة وعشرين رجلاً ومعهم زكريا عليه السلام

❁ فانطلقوا إلى نهرِ الأردن ومَعهم الأقلام، لاجراءِ القرعة.

❁ وألقوْا أقلامهم في الماء أيهم يكفل مريم

❁ فغرقت الأقلام كلّها، إلا قلم زكريا عليه السلام.

حيث طفا على وجه الماء ورسب ما عداه من الأقلام.

فلم يكن للأحبار بُدٌّ من الرضوخ.

***

وكَفَل زكريا عليه السلام مريم المنذورة عليها السلام.

فعيّنَ لها مكاناً خاصاً بالقربِ من المحراب

وجاءَ لها بمربيةٍ وخادمة

ولم يكن يكّفُ عن تفقدِها ورعايتها وشدةِ العناية بها.

إلى أن شبت مريم عليها السلام

وأصبحت تقومُ بخدمةِ نفسها

***

وكانت مريم عليها السلام عابدة متبتلة

وكانت إذا صلت أضاءَ المحرابُ بنورِها

وكان زكريا عليه السلام كثيراً ما يدخل عليها

فكلما دخلَ عليها المحرابَ وجدَ عندها رزقاً

فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف

وفاكهة الصيف في الشتاء

فاذا سألها زكريا عليه السلام:

﴿أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا﴾؟!

فانها كانت تجيب قائلة:

﴿ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

***

وكان زكرياعليه السلام شيخاً كبيراً

ولم يكن له ولد

وكانت امرأته عاقراً

فطمعَ في رحمة ربهِ بعدما رأى عندَ مريمعليها السلام

وزادَ رجاؤه في أن تكونَ له ذريةٌ صالحة

هنالك دعا زكريا ربه راغباً في عطائِهِ وكرمه وسخائه ، ونادى ربه نداءاً خفياً، قائلاً:

﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَأسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾

وواصل مناجاته ونداءه، وهو يقول:

﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا، يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾

***

وكانت أبواب السماوات مشرعة..

فاستقبلت النداء النبويَ بترحاب

❁ وكان زكرياعليه السلام قائماً يصلي

❁ وقد تبللت عيناهُ ولحيتهُ بدموعِ الرهبة والرجاء

❁ فنادته الملائكةُ وهو قائمٌ يصلي في المحراب:

❁ ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِّنَ ٱلصَّالِحِينَ﴾

❁ وجلجل صوتُ الوحي الالهي مبشرا

❁ ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾

❁ فتعجب زكرياعليه السلام وقال متسائلاً:

❁ ﴿رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾

❁ ودوى صوت الوحي الالهي من جديد

❁ ﴿قال كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً﴾

❁ فقال زكيرياعليه السلام:

❁ ﴿رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾.

❁ فجاءه الوحي الالهي:

❁ ﴿قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾

❁ فتسائل زكرياعليه السلام: وكيف يكون ذلك يا رب؟

❁ فصدر الوحي الالهي موضحاً

❁ ﴿آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزا﴾

❁ وصدق الوعد الحق

❁ وتمت الآية الالهية لزكريا

❁ ورزقه الله يحيى مصدقاً بكلمة من الله، وسيداً، وحصوراً، ونبياً من الصالحين.

❁ فحقد عليه بنو إسرائيل

❁ وضمروا له الخصام والعداء

❁ ثم مالبثوا أن زادت نقمتهم على زكرياعليه السلام بعدما جاءت مريمُ بعيسىعليه السلام

❁ فاتهموها بنبيّ الله زكرياعليه السلام حيث لم يكن يدخل عليها من الرجال سواه

❁ وكان إبليس اللعين هو الذي يوسوسُ لهم ويحرضُهم ويزين لهم هذه التهمة الشنيعة.

***

❁ وقويت الظنون عند سفهاء اليهود

❁ لا سيما أن الناس لم يعهدوا امرأة تحمل بلا زوج.

❁ فأشاعوا الفاحشة بحق زكرياعليه السلام

❁ وثبّتوها في نفوس السفلة

❁ فأخذوا يلاحقون زكرياعليه السلام حتى اضطر للخروج من بيت المقدس

❁ فلما خرج التحم الشر، وتفاقم الأمر، واشتدت الفتنة.

❁ حتى اجتمع رأيهم على قتل زكرياعليه السلام.

***

❁ واشتغل سفهاء بني اسرائيل بالبحث عن زكرياعليه السلام.

❁ فلم يعثروا عليه، وكادوا ييأسون.

❁ فدلهم إبليس اللعين على مكانه.

❁ فقصدوه وقتلوه في الحال

❁ ثم تفرقوا عنه، وتركوه

❁ وعندئذ بعث الله عز وجل الملائكة فغسّلوه وصلوا عليه ثلاثة أيام قبل أن يدفن.

❁ فجاء إليه خيار بني اسرائيل، ثم أخذوه ودفنوه..!

## يايحيى.. خذ الكتاب بقوة

❁ أتى يحيى إلى الوجود بدعوة من أبيه زكرياعليهما السلام.

❁ ولم يستغرق حملُه سوى ستة أشهر فقط

❁ وعندما وُلد جاء خُلُقه مطابقاً للبشارة الالهية.

❁ فقد كان سيدا في قومه.

❁ وكان حصوراً مبالغاً في حصر نفسه عن الملاهي والملذات والشهوات.

❁ وكان نبياً من الصالحين، رضيّاً.

❁ وقد عدد القرآن صفاته الطيبة وخلقه الحميد، قائلاً:

❁ ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾.

❁ ﴿وَحَنَاناً مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾.

❁ ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّاراً عَصِيًّا﴾.

❁ ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ﴾..

❁ ﴿وَيَوْمَ يَمُوتُ﴾..

❁ ﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾.

***

وشب يحيى عليه السلام في بيت النبوة على الزهد والصلاح والورع، وقد خصته السماء بعنايتها الفائقة.

فكان يتردد دائما على بيت المقدس

وكان لا يُرى إلا قائماً في محاريب العبادة.

وكان لا يشارك الأطفال والصبيان لعبهم ولهوهم.

حتى إذا مر بصبيان يلعبون فانه كان لايتوقف عندهم، فاذا دعوه إلى اللعب قال لهم:

ما للّعب خُلقت..!

***

وذات يوم..

ذهب يحيى عليه السلام إلى بيت المقدس

فنظر إلى الأحبار والرهبان وعليهم مدارع الشعر وبرانس الصوف.

وقد خرقوا تراقيهم وسلكوا فيها السلاسل وشدوها إلى سوارى المسجد، فعاد إلى أمه، وقال لها:

يا أماه، انسجي لي مدرعة من شعر وبرنسا من صوف حتى أذهب إلى بيت المقدس وأعبد الله تعالى مع الأحبار والرهبان

فتعجبت الأم من كلام ولدها الصغير، ولكنها أجابته قائلة:

لا بأس يا بني، ولكني أنتظر أن يأذن لي نبي الله ويأمرني بذلك.

***

وانتهى الحديث إلى نبي الله زكريا عليه السلام، فسأل ابنه يحيى عليه السلام قائلاً:

يا بنيّ، ما الذي دعاك إلى هذا وأنت صبيّ صغير؟

فقال له يحيى عليه السلام والحكمة تتجلى في قوله:

يا أبتِ، أما رأيت من هو أصغر مني سناً وقد مات وذاق مرارة الموت؟

فأجابه زكريا عليه السلام:

بلى يا بنيّ، هو ما تقول.

ثم أمر أمه بتلبية رغبته..!

***

وتدرع يحيى عليه السلام المدرعة على بدنه، ووضع البرنس على رأسه، ثم أتي بيت المقدس.

وأقبل على العبادة مع الأحبار والرهبان حتى أكلت مدرعة الشعر لحم بدنه.

فنظر ذات يوم إلى نحول جسمه، فبكى.

فأوحى الله تعالى إليه:

يا يحيى! أتبكي من نحول جسمكِ؟ وعزتي وجلالي لو اطّلعت على النار اطّلاعة لتدرعت الحديد فضلاً عن الشعر..

فبكى يحيى عليه السلام حتى أكلت الدموع لحم خدّيه وبدت أضراسه للناظرين..!

***

ووصلت الأنباء إلى أم يحيى عليه السلام

❁ فجاءت إليه في بيت المقدس

❁ ثم أقبل زكريّا عليه السلام

❁ واجتمعت عليه الأحبار والرهبان

❁ فهالهم ما آل إليه حال يحيى عليه السلام

❁ وسأله أبوه متعجباً:

❁ يا بُنيّ! ما الذي دعاك إلى كل هذا؟!

❁ فأجابه يحيى عليه السلام:

❁ أنت أمرتني يا أبتاه!

❁ فقال زكريا عليه السلام متسائلاً:

❁ ومتى كان ذلك يا بني؟

❁ فقال يحيى عليه السلام:

❁ ألست أنت القائل بأن بين الجنة والنار عقبةً لا يجوزها إلا البكاءون من خشية الله؟!

***

❁ وشبّ نبي الله يحيى عليه السلام دارجاً على تلك الحالة.

❁ فعظمت منزلته بين قومه.

❁ حتى إذا قتل بنو إسرائيل أباه زكريا عليه السلام

❁ عظم عليه الأمر.

❁ واشتدت عليه المحنة بما وجهوه إلى أبيه نبي الله زكرياعليه السلام من فرية هو منزّه عنها.

❁ ولكنه قام بالأمر من بعده، فتحققت دعوة أبيه زكرياعليه السلام.

❁ وكان يحيىعليه السلام يخطب في الناس ويخبرهم قائلاً:

❁ إن محن الصالحين إنما كانت لذنوب بني إسرائيل

***

❁ وفي تلك الأيام

❁ كان يحكم بني إسرائيل ملك فاسق فاجر.

❁ وكانت إحدى بغايا بني اسرائيل تراجعه فيأتي معها بالمنكر، وكانت تلك البغيّ هي زوجة أخ الملك..!.

❁ فنهاه يحيىعليه السلام عن ذلك

❁ ولكنّ الملك لم يرتدع..!

❁ حتى إذا فشى الخبر بين بني اسرئيل، وافتُضح أمر البغيّ على الملأ..

❁ فانها دبرت له مكيدة عظيمة..!

***

❁ فذات مساء..

❁ زينت البغيّ ابنتها وهيأتها للذهاب بدلاً عنها إلى الملك.

❁ وكانت الابنة فتاة شابة وغانيةً حسناء، وكانت تُدعى (سالومي).

❁ وأوصت البغيّ ابنتها قبل الذهاب إلى الملك بما يطفئ لهيب حقدها على نبي الله يحيى عليه السلام.

❁ فلما شاهد الملك الفتاة الحسناء على هذه الحالة من التهتك والاغراء..

❁ لم يُطق صبراً وقد استولت الغانية على مشاعره وأخذت بمجامع قلبه.

❁ وبعدما انطفأت شعلة النزوة الآثمة، التفت الملك إلى الفتاة قائلاً:

❁ اطلبي حاجتك يا عزيزتي حتى لو كانت نصف مملكتي

❁ فقالت له الغانية بدلال:

❁ أريد رأس يحيى ابن زكريا..

***

❁ وأسقط في يد ملك بني اسرائيل وطلب من (سالومي) أن تسأل شيئاً آخر.

❁ فأصرت (سالومي) على طلبها تنفيذا لوصية أمها.

❁ وتغلبت فتنة (سالومي) على كبرياء الملك.

❁ فأمر أن يأتوه في الحال بيحيى بن زكريا عليه السلام

❁ حتى إذا جاء، أمر بطشت، وأوعز إلى الزبانية بذبحه..!

❁ فتناول الملك رأس يحيى عليه السلام ثم وضعه في إناء من ذهب، وأهداه إلى (سالومي) ..!

❁ وعندئذ..

❁ بكت الشمس،وأدمعت السماء

❁ وكانت دموعهما دماً قانياً..!

# ذلك عيسى ابن مريم

❁ اعتزلت مريم ابنة عمران عليها السلام قومها، وانقطعت للعبادة والتبتل في ركن قصيّ شرق بيت المقدس.

❁ واحتجبت عنهم ليخلو لها المجالُ مع خالقِها ومعبودِها، وقد ضربت ستاراً بينها وبين من سواه.

❁ وكان لا يدخل عليها إلا نبيّ الله زكريا

❁ فكان يجدُ عندَها الرزقَ الكثير وهي التي لم تغادرْ المحراب

❁ وعندما كان يسألها: أنّى لك هذا؟ كانت تجيب:

❁ ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

***

❁ وبينما كانت مريم عليها السلام في خلوتها تناجي الذات المقدسة..

❁ إذا بشابٍ وسيمٍ يدخلُ عليها فجأةً فينغصُ عليها وحدتها.

❁ فشعرت بالخوف والهلع، وخاطبته مستغيثة بالرحمن، وقالت:

❁ ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾

❁ فقال لها روح الله مطمئناً، وقد تمثل لها بشراً سويا:

❁ ﴿إِنَّمَا أَنَاْ رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلاَماً زَكِيًّا﴾

❁ فبلغ بها الجزع مبلغه، وتساءلت:

﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾

❁ فأجابها الملاك مهوناً عليها الخطب:

﴿كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ ءَايَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْراً مَقْضِيًّا﴾

***

❁ ونفخ الملاك في مدرعة مريم عليها السلام.

❁ فحملت في التو بقدرة الله تعالى.

❁ وكانت مريم عليها السلام تستمع إلى بشارة الملائكة بالمولود الخارق، وهم يقولون:

﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ . وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ ٱلصَّالِحِينَ﴾

❁ وكانت مريم عليها السلام تناجي ربها متسائلة:

﴿رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾؟!

❁ فكان يجيئها الجوابُ الالهي مواسياً ومنبئاً عن مستقبل الوليد:

﴿كَذَلِكِ اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ، وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ، وَرَسُولاً إِلَى

بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

❁ وكان نور الوحي كفيلاً بأن يضيء كيان مريم عليها السلام بإشراقة الأمان والطمأنينة.

***

❁ وعندما شعرت مريمُ بالحمل، وأنها على وشك الوضع..

❁ وجدت أن الحياة بالقرب من قومِها باتت أمراً مستحيلاً

❁ ﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً﴾

❁ وأسرعت بحملها من بيت المقدس إلى بيت لحم لكي لا يطلع أحد عليها حين ولادتها وهي بلا بعل.

❁ وكان اللهُ سبحانه وتعالى قد دلها على مكانِ ولادتها وهو بجوار جزع نخلةٍ جافة.

❁ فأخذت تبحث عن ذلك المكان حتى انتهت إليه، فجلست تستريح.

***

❁ ولم تكدْ مريمُ العذراء عليها السلام تستعيدُ أنفاسها المنهكة

❁ حتى جاءها المخاض وأخذها طلق الولادة

❁ وما هي إلا فترةٌ وجيزة حتى أطلَ المسيحُ عيسى بن مريم عليه السلام إلى الدنيا فأضاءت باشراقة وجهِهِ النبوي المتلألئ.

❁ فلما رأته مريمُ عليها السلام تحتها نظرت إليه، وقالت محدثة نفسها بلوعة

وأسف وحسرة:

﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيًّا﴾

وفجأة، سمعت بمن يناديها من تحتها قائلاً:

﴿لا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾.

فنظرت مريم عليها السلام وإذا بنبع ماء عذب يجري تحتَ رجليها.

وقبل أن تستفيقَ من دهشتها..

سمعت مريم عليها السلام وليدها يستدرك كلامه، ويقول:

﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيًّا فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾

***

وافتقد بنو إسرائيل مريم عليها السلام.

وبحثوا عنها، فلم يجدوا لها أثراً

فخرجوا في طلبها بالقرب من بيت المقدس، ومعهم زكريا عليه السلام.

فلمحوا طيفاً قادماً من بعيد

وإذا بالقادم مريم عليها السلام وقد أتت وهي تحمل رضيعاً على صدرها.

فأقبل عليها نساءُ بني اسرائيل باللوم والاستنكار والزجر بلا رحمة ولا شفقة

فأعرضت مريم عليها السلام عن قومها.

وتجاوزتهم صامتةً وهي تشق طريقها نحو المسجد، والناس يتبعونها.

وأمام المحراب، جلست مريم عليها السلام وهي تضم بين يديها الطفل المعجزة..!

***

وأقبل بنو اسرائيل على مريم عليها السلام وقد استقرت في محرابها متوجهة إلى الله تعالى.

ثم صاحوا بها مؤنبين:

﴿يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيًّا﴾!

وخاطبوها معيّرين:

﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾!

واستمر بنو إسرائيل في توبيخها ورميها بالفاحشة ونسبة الزنا إليها.

ولم تجد مريمُ عليها السلام وسيلةً لردّ التهمةِ عن نفسها سوى أن أشارت إلى الصبيّ

فقال لها بنو إسرائيل محنقين:

﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾

ثم ارتفعت صيحات السخرية، وتعالت همهمات الاستنكار.

***

وبينما هم على هذه الحالة..

إذا بالوليد ينطق، ويقول:

﴿ إِنِّي عَبْدُ اللهِ ءَاتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا. وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾.

❁ وبعد أن دلهم عيسى عليه السلام على نفسه وعلى رسالته التي وُلد من أجلها، استمر يُثني على والدته، ويكشف طرَفاً من أستار الغيب، ويقول:

﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيًّا. وَالسَّلاَمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾. فصمت بنو إسرائيل مشدوهين، وقد أدركوا أنهم أمام آية إلهية.

***

❁ وعندما نطق روح الله عيسى بن مريم عليه السلام بالحكمة وهو في المهد.

❁ وبعدما أخبرهم بنبوته ورسالته وبعض من خصاله المباركة، ونفى التهمة عن أمِه البتول العذارء.

❁ فان بني اسرائيل لم يعد أمامهم سوى العودة من حيث جاءوا، وقد عاينوا بأنفسهم تلك المعجزة الكبرى

❁ بينما انصرفت مريمُ عليها السلام إلى عبادتها ورعاية صغيرها حتى شبَ عن الطوق.

❁ فعند ذلك أخذ عيسى عليه السلام يدعو الناس إلى التوحيد وينشر رسالته بينهم.

❁ ورغم أن روحَ الله عليه السلام لم يكنْ يتكلمُ إلا بالحكمة، ولا يمشى إلا بالمعجزة..

❁ فان اليهود خالفوه وناصبوه العداء، وظلوا يؤذونه ويكيدون له..

❁ لدرجةِ أنهم قررّوا قتله في نهاية المطاف.

***

❁ وكانت نعمُ الله على نبيهِ عيسى عليه السلام كثيرةً لا تُحصى..

❁ فمنها أنه أيدّهُ بروحِ القدس

❁ وعلمه الكتابَ والحكمة والتوراة والانجيل

❁ وجعلَه يخلق من الطين كهيئةِ الطير باذنه

❁ فينفخُ فيها، فتكون طيراً باذنه

❁ وألهمَه اللهُ تعالى كيف يُبرئُ الأكمه والأبرص باذنه.

❁ وكيف يُحيي الموتى باذنه..

❁ فكلما كانت تصدرُ عنه معجزةٌ جديدة..

❁ كان اليهود يعودون إلى غيهم وضلالهم

❁ ويتهمونَ عيسى عليه السلام بالسحرِ المبين.

***

❁ وكان الحواريون هم صفوة من آمن بنبيّ الله عيسى عليه السلام.

❁ فراحوا يتبعونه حيثما ذهب، ويتعلمون منه

❁ وكان عيسى عليه السلام من أزهد عباد الله وأشدهم بعدا عن متاع الحياة الدنيا..

❁ فكان يتوسدُ الحجر..

❁ ويلبس الخشن

❁ وكان أدامُهُ الجوع.

❁ ولم تكن له زوجة تفتنه

❁ ولا ولدٌ يُحزنه

❁ ولا مال يتلفه

❁ ولا طمعٌ يذلهُ

❁ فَصَفَى قلبه للحكمة..

❁ وحلقت روحهُ في عوالمِ الملكوت

❁ ولم تتغير سيرته هذه طوال حياته

❁ والحواريون كلٌ منهم يأخذ من حكمته بقدر ما يستطيع.. وحسب ما لديهِ من الاخلاص.

❁ والمسيح يجدّ في تعليمهم وتهذيبهم وإعدادهم لمستقبل الأيام.

***

❁ ففي يومٍ من الأيام

❁ قال عيسى بن مريم عليه السلام للحواريين:

❁ يا معشر الحواريون، لي إليكم حاجة، فاقضوها لي.

❁ فسأله الحواريين مستعجبين:

❁ وما هي حاجتُك يا روح الله؟

❁ فقال لهم:

❁ حاجتي هي أن تمكنّوني من غسل أقدامِكم

❁ فقالوا له وقد ازدادت دهشتهم

❁ فنحنُ أحقُ بهذا العمل معك

❁ فقال المسيح عليه السلام

❁ لا، فهذه حاجتي منكم

***

❁ وقام المعلم العظيم وغسل أقدام تلاميذه، ثم قال لهم:

❁ إن العالِمَ هو أحقُ الناس بالخدمةِ للناس

❁ فلما عجب الحواريون من شدة تواضعه، خاطبهم عيسى عليه السلام قائلاً:

❁ لقد تواضعتُ لكم هكذا، لكيما تتواضعوا بعدي للناس كتواضعي لكم.

❁ فسأله أحد الحواريين:

❁ وما حقيقة التواضع يا روح الله؟

❁ فقال روح الله عليه السلام:

❁ بالتواضع تعمُرُ الحكمة، لا بالتكبر. وفي السهل ينبتُ الزرعُ ويخصب، لا في الجبل والصخور

❁ وقد اخلص بعض الحواريين لعيسى عليه السلام، حتى أنهم كانوا يمشون على الماء..!

***

واستمر عيسى المسيح عليه السلام يدعو قومهُ إلى الايمان، وهم يكذّبونه تارة، ويقبلون منه تارة أخرى

حتى قال له الحواريون ذات يوم:

﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾

فأجابهم المسيح عليه السلام، وقال محذراً

﴿اتَّقُواْ اللهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

ولكنهم ألحوا عليه في الطلب، وجعلوا ذلك شرطاً لتصديقه والاطمئنانِ إلى ما يقول.

وسأل عيسى بنُ مريم عليه السلام ربَه أن ينّزلَ عليهم مائدةً من السماء..

ودعاه قائلاً:

﴿اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

وقبل الله تعالى دعاء نبيه، غير أنه حذر أتباعه من الكفر بعد ذلك قائلاً:

﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لاَ أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ﴾.

***

وأنزل الله المائدة على بني اسرائيل

وكانت مدلَّاةً بسلاسلَ من ذهب

وكان عليها تسعة ألوان من الطعام

وهو طعام أوجده الله تعالى بقدرته، فلم يكن من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة.

وأحدث نزول المائدة فتنة شديدة في بني اسرائيل، حيث كانت من أجلّ المعجزات

فمن كان راسخ الايمان ،ثابت العقيدة، فانه نجا من بلاء الفتنة.

وأما من كفر فقد مسخه الله إما خِنزيراً أو قردا

وإما هِرّاً أو دُبّاً.

وإما على صورة بعض الطيور والدواب

لدرجة أن مسوخهم بلغت نحو أربعمائة نوع من المسوخ..!

***

ومكث عيسى عليه السلام يدعو قومه ثلاثة وثلاثين عاماً.

وقد استودَعَهُ اللهُ تعالى النورَ والحكمة وجميع علوم الأنبياء قبله.

وزاده الانجيل

ومع كل ما جاء به من الخوارق والمعجزات، فلم يؤمن به سوى عدد قليل من اليهود.

وفي يومٍ من الأيام، مر عيسى عليه السلام برهطٍ من اليهود.

فقال بعضهم:

قد جاءكم الساحر ابن الساحرة

ثم تحدثوا فيه وقذفوه بأمه عليهما السلام

فحلت عليهم اللعنةُ الالهية في التو والساعة.

ومسخهم الله قردة وخنازير..!

***

وبلغ الخبر رأس اليهود

فخاف على نفسه من المسخ

فجمعَ اليهودَ، واتفقوا على قتل عيسى عليه السلام.

ثم انطلقوا إلى المسيح عليه السلام والتفوا حوله، وجعلوا يسألونه وهو يجيبهم ويكشف لهم عما أسّروه في نفوسهم.

فهموا به ليقتلوه.

فحال جبرائيل عليه السلام بينهم وبين روح الله وكلمته.

وأدخله غرفةً في آخر البيت.

بينما كان اليهود ينظرون إليه، ولا يدرون ماذا يصنعون!

***

وقام يهوذا واقتفى أثر عيسى عليه السلام إلى تلك الغرفة.

ودخل عليه ليقتله، ولكنه لم يجده.

❁ فمكث يبحث عنه بلا جدوى.

❁ فعاد إلى اليهود..

❁ وعندما خرج عليهم نهضوا إليه وقتلوه..

❁ وكان الله قد ألقى عليه شَبَهَ عيسى عليه السلام.

❁ ثم انطلقوا يبحثونَ عن يهوذا فلم يعثروا عليه!

❁ فقال بعضهم وقد اعتراهم العجب والذهول:

❁ إن كان هذا هو عيسى، فأين يهوذا..؟

❁ واشتبه الأمر عليهم، فراحوا يخبطون خبط عشواء..!

❁ بينما كان عيسى عليه السلام في السماء حياً، وقد رفعه اللهُ إليه وخلصّه من كيد اليهود ومكرِهم.

***

❁ ومضت بضعة قرون..

❁ وهي فترةُ ما بين الرسل

❁ وكان فيها عدد من الأوصياء حيث أن الأرض لا تخلو من حجة..!

❁ حتى كان عام الفيل عندما وقعَ ذلك الحادثُ العجيب.

❁ وتوالت الارهاصاتُ المدهشة..

❁ وإذا بالخلقِ يستيقظون ذاتَ صباح ربيعي

❁ فيشاهدون الوجود وقد أضاء بنور سيد الخلق أجمعين وخاتم الأنبياء

والمرسلين.

❁ وتهلل الكونُ بميلادِ خير البرية محمدٍ بن عبد الله صلى الله عليه وآله

❁ فكان هو (أحمد) الذي بشر به عيسى بن مريم عليه السلام.

❁ عندما خاطب بني اسرائيل قائلاً:

❁ ﴿إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي ٱسْمُهُ أَحْمَدُ﴾.

# إحالات


| | |
|---|---|
| **القرآن الكريم** | |
| **تفسير الميزان** | الطباطبائي، السيد محمد حسين |
| **السيرة النبوية** | الحميري، عبد الملك بن هشام |
| **عرائس المجالس** | الثعالبي، ابو اسحاق أحمد بن محمد |
| **الكامل في التاريخ** | ابن الأثير، عليّ عز الدين أبو الحسن |
| **اللوامع الإلهية في المباحث الكلامية** | السيوري الحلي، جمال الدين مقداد بن عبد الله الأسدي |
| **المسيح عيسى بن مريم** | السحار، عبد الحميد جودة |
| **قصص الأنبياء** | ـ الجزائري، السيد نعمة الله |
| | ـ الراوندي، قطب الدين ، سعيد بن هبة الله |
| | ـ سويدان، د. طارق |
| | ـ الشعراوي، محمد متولي |
| | ـ العوضي، نبيل بن علي |
| | ـ الفالي، السيد محمد باقر |
| | ـ القرشي، اسماعيل بن عمر بن كثير |
| | ـ النيسابوري، ابو اسحاق إبراهيم |
| | ـ النجار، عبد الوهاب |
| | وآخرون.. |

# المحتويات

للمركز كلمة ..... ٧

وللمؤلف كلمة..... ٩

إني جاعلٌ في الأرض خليفة .....١٥

واذكر في الكتاب إدريس .....٤٧

سلام على نوح في العالمين.....٥٩

ياهودُ .. ما جئتنا ببيّنة .. .....٧٧

أتعلمون أنّ صالحاً مُرسلٌ من ربه؟! .....٨٩

إنّ إبراهيمَ كان أمّة..... ١٠٧

أخرِجُوا آل لوط من قريتكم ..... ١٥٥

اقتلوا يوسف..... ١٦٣

واذكر عبدنا أيوب..... ٢٣٣

لنخرجنّك يَاشُعَيب..... ٢٥٩

ذروني أقتل موسى ..... ٢٧١

واذكر في الكتاب اسماعيل..... ٣٦١

سلام على إلياسين..... ٣٦٩

ياشموئيل: ابعث لنا مَلِكاً.. ..... ٣٧٧
وآتينا داوود زبوراً.. ..... ٣٨٣
إنه من سليمان.. ..... ٣٩١
أشعيا: رأيت راكبين.. أضاءت لهما الأرض..! ..... ٤٠٧
هنالك.. دعا زكريا ربه ..... ٤١٥
يايحيى.. خذ الكتاب بقوة ..... ٤٢٣
ذلك عيسى ابن مريم..... ٤٣١
إحالات ..... ٤٤٥
المحتويات..... ٤٤٧